بسم الله الرحمن الرحيم

جامعة أمد رمان الإسلامية

كلية الدراسات العليا

كلية اللغة العربية

قسم الدراسات الأدبية والنقدية

بحث مقدم لنيل درجة الدكتوراه

بعنوان :

القضايا النقدية بين الجاحظ وابن قتيبة
من خلال كتابيهما البيان والتبيين والمعاني الكبير

(دراسة نقدية مقارنة)

إعداد الطالب
محمد عبد الله محمد فضل الله

إشراف البروفسور
بابكر البدوي دشين

مارس ٢٠٠٦م

بسم الله الرحمن الرحيم

(وَالشُّعَرَاء يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ* أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ *وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ *إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيراً وَانتَصَرُوا مِن بَعْدِ مَا ظُلِمُوا وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ)(سورة الشعراء)

صدق الله العظيم

إهداء

إلى أولادي

سلمى

ساجدة

إسراء

الحارث

هذا الطريق الذي سلكته فإن رأيتم فيه الخير فسيروا فيه.

والدكم

شكر وعرفان

الشكر أجزله إلى أستاذي الجليل البروفسور بابكر البدوي دشين ،أُحيه وأعبر عن امتناني وتقصيري عن إيفائه حقه،فقد أصلح البحث وهذبه حتى خرج بهذه الصورة التي أرجو أن تكون قد حققت إضافة جديدة .والشكر إلى الزوج العزيزة نور الشام بشار ضو البيت التي كانت السند و الساعد الأيمن فى هذا الإنجاز والشكر إلى جامعة أمدرمان الإسلامية وإلى الأستاذين الجليلين /عضوي لجنة الحكم والمناقشة لتفضلعما بقبول تقويم البحث،والشكر والتقدير إلى كل صاحب فضل على

والله الموفق

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدّمة

الحمد لله الذى هدانا لهذا وما كنا نهتدى لــولا أن هــدانا الله رب العــالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى آلــه وصــحبه وســلم تسليماً كثيراً وبعد: هذه الدّراسة تتناول تجلية الصّورة، أو تبيان الحقيقة حول عدد من القضايا النّقديّة التّي وقف عندها كلّ من ابن قتيبة، و الجاحظ، تلمّ شــتاتهما، و تجمع متفرّقهما من حيث أنّها قضايا متناثرة فى أثناء كتبهما. و قضايا النّقد الأدبيّ كثيرة و متعدّدة .

المنهج: طبيعة البحث تقتضى استخدام المنهج التأريخى لتحديد ملامح الشخصيات وتتبع حياتهم وتوثيق آثارهم العلمية ،ثم المنهج الوصفى التحليلى ، لرصد المادة النقدية وتوظيفها وعرضها وتحليلها ومن ثم استنباط النتائج منها.

و موضوع النّقد هو الرّوائع الأدبيّة من شعر ، و نثر، و الآثار البيانيّة .

أمّا وظيفة النّقد ، فهي تفسير هذه النّصوص ، و الكشف عن معناها ، و بيان قيمتها . و الغاية : هي المساعدة على تذوّق جمال هذه النّصوص .

والإطار التطبيقى وهو الخطة التى بنيت عليها البحث قد بدأت دراستي بتمهيد فيه تعريف بمصطلح النّقد ما بين اللّغة ، و الاصطلاح ، و عرضت إلى التّعريفات المختلفة لكلمة "نقد" في مختلف العصور الأدبيّة.

الفصل الأوّل : تناولت الجاحظ بالدّراسة بدءً بعصره ، وبئته ، وثقافته ، و من سُمّوا بالجاحظ.

و في المبحث الثّاني : دراسة لكتاب البيان و التّبيين : عرض للكتاب ، وبعض أقوال العلماء فيه ،ومنهج الجاحظ فى التاليف والتبويب ، و المواضيع التي تناولها الجاحظ في كتاب البيان و التّبيين ، و تأريخ تأليف الكتاب ، و النّسخ و المخطوطات منه.

أمّا المبحث الثّالث : فقد اشتمل على القضايا النّقديّة عند الجاحظ التّي وردت في طيّات كتبه وخاصة فى كتاب البيان و التّبيين . بدأت بقضيّة اللفظ و المعنى

، و لمّا كانت البلاغة لا تنفصل عن النّقد ،فقد تناولت بعض القضايا البلاغيّة التي وردت في طيّات البيان و التّبيين ، و في جزء من مؤلّفاته . بدأتها بمطابقة الكلام بمقتضى الحال – و هي لا تزال مقياساً من مقاييس البلاغة و النّقد . و الجاحظ في طليعة من لحظوا هذا كقيمة بلاغيّة نقديّة . و تطرّقت إلى فصاحة الكلمة عند الجاحظ وما اشترطه فيها. كما تناولت مفهوم "البيان" عنده، و اهتمامه به في كلّ ما كتب ، حتّى أفرد له كتاباً خاصّاً ، وهو الذّي نحن بصدده .ثم تناولت رأي الجاحظ في الشّعر ، و قوله إنّ الشّعر صناعة ، ممّا يبيّن أنّه كان يؤثر اللّفظ على المعنى .

ورأي الجاحظ في شعر الوسط ، و شعر العرب المولّدين ، و موقفه من النّحاة و الرّواة ، و المطبوع من الشّعراء ، و الصّنعة عند الشّعراء بمفهوم الجاحظ ، و رأيه في أبي نواس . و من القضايا التّي أثارها الجاحظ : اللّثغة ، خاصّة عند الشّعراء ، ممّا يبيّن اهتمامه بالمخارج . وقضيّة التّحكيم بين قولين ، أو المفاضلة والحَصَر والعِيِّ.

المبحثالرابع: تناولت بعض القضايا البلاغية كالتشبيه ، و المجاز بأنواعه ، و الكناية و الإيجاز ، و البديع و أهمّ قضاياه ، و المزدوج، و التّقسيم ، و الاقتباس ، و أسلوب الحكيم

أمّا الفصل الثّاني : (ابن قتيبة و كتاب المعاني الكبير) وفيه عدد من المباحث:

بدأت في المبحث الأوّل بالعصر الذي نشأ فيه ، و الحالة السّياسيّة ، و الاجتماعيّة ، و مذهبه .

أمّا المبحث الثّاني :فهو (ابن قتيبة في عصره) : نشأته ، و خلقه ، و شيوخه . و ختمته بوفاته .

أمّا المبحث الثّالث :فهو كتاب أبيات المعانى وفيه: ملخّص لكتاب المعاني ، و تطوّر فكرته .

و في المبحث الرّابع : (مكانة ابن قتيبة في معرفة الشّعر) : و فيه : ابن قتيبة النّاقد ، و أسلوبه النّقديّ .

المبحث الخامس: القضايا النقدية عند ابن قتيبة بدأتها بقضية اللفظ والمعنى [1]وقضيتى التكلف والطبع وأقسام الشعر ، ومقياس ابن قتيبة في النّقد .وتناولت ابن قتيبة العروضيّ .وقضايا متفرقة فى أبيات المعانى

المبحث السادس:البلاغة عند ابن قتيبة .

الفصل الثّالث : المقارنة بين الجاحظ وابن قتيبة:

المبحث الأول: المقارنة بين الجاحظ و ابن قتيبة من حيث الفكر والمنهجية.

المبحث الثانى: مفهوم الطّبع و الصّنعة عند كلّ من الجاحظ ، و ابن قتيبة ، و تعريف كلّ منهما للمطبوع ، و المتكلّف . كما حدّد ابن قتيبة المطبوع من الشّعراء .

المبحث الثّالث: مفهوم اللّفظ و المعنى عندهما، و خلصت فيه إلى أنّ الجاحظ قد انحاز إلى جانب اللّفظ ، و ابن قتيبة اختلف عنه في نظرته إلى قضيّة اللّفظ و المعنى ، و ساوى بينهما . و القضيّة عنده لها ركنان : (لفظ ، و معنى)

الخاتمة: واشتملت على ملخص البحث و التوصيات ،ثم ثبت المصادر وفهرس الآيات القرآنية،وفهرس الأحاديث،وفهرس الأماكن والبقاع، وفهرس الأعلام، وأخيراً فهرس الموضوعات.

[1]

التمهيد

تعريف النقد

أولاً النقد فى اللغة :

كلمة النقد كما نجدها فى المعاجم العربية[1] مأخوذة في الأصل من(نقد الصيرفي الدراهم ، و الدنانير و انتقدها) أي ميز صحيحها من زائفها ، و جيدها من رديئها. و من معانيها أيضاً النقاش يقال : ناقش فلان فلاناً في الأمر، إذا ناقشه فيه و من هذا المعنى للكلمة جاء معنى النقد في الأدب ذلك لأن ما يفعله الناقد من محاولة التمييز بين جيد الكلام و رديئه ليس إلا من جنس عمل الصيرفي في نقد الدراهم و الدنانير[2]. و من معانيها تقشر في الحافر و تآكل في الأسنان.

ثانياً النقد فى الاصطلاح:

أما النقد في الاصطلاح:فهو (تحليل القطعة الأدبية و تقدير ما لها من قيمة فنية و لم تأخذ الكلمة هذا المعنى إلاّ في العصر العباسي)[3] .و يشمل التحليل دراسة النص دراسة شاملة تقوم على التفسير والموازنة ثم يأتى إصدار الحكم عليه ببيان قيمته و هذا ما سلكه ابن قتيبة. و لا يكفي لكي نعرف النقد أن نقف عند معنى اللفظ وحده و هو لفظ (النقد) لأن تحديد معنى اللفظ يضطرنا فى أغلب الأحيان إلى الدراسة التأريخية.

عرّفه قدامة بن جعفر(ت ٣٣٧هـ) في أدق معانيه بأنه فن دراسة الأساليب و تميزها،وقال أبو هلال العسكري (ت ٣٩٥هـ) ما كان لفظه سهلاً و معناه

---

١. الصحاح في اللغة و العلوم تجديد صحاح العلامة و المصطلاحات العلمية و الفنية للمجامع للجامعات العربية للجوهري، تقديم الشيخ عبد الله العلايلي، اعداد و تصنيف نديم مزعشلي، اسامة مزعشلي، دار الحضارة. بيروت، لبنان . و كتاب العين لابي عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي، دار احياء التراث العربي، بيروت. بدون تاريخ ص ٩٨٠. و معجم متن اللغة، احمد رضاء، مجلده ص ٥٢٥ مكتبة الحياة، بيروت لبنان١٩٦٠.

٢. . تاريخ النقد الادبي عند العرب، د. عبد العزيز عتيق، دار النهضة العربية للطباعة و النشر. بيروت ، ط ٤ ،١٩٨٦ ص٨.

٣. النقد الأدبى، د. شوقي ضيف،ط ٢ دار المعارف. انظر صفحة٨ .

مكشوفاً بيناً فهو من جملة الرديئ المردود و الكلام يحسن بسلاسته، و سهولته، و نصاعته و تخير لفظه و إصابة معناه[1]. و في هذا إشارة إلى التمييز بين ما هو جيد و رديئ.وعرفه دكتور عز الدين إسماعيل بمعنى (الحكم الأدبي).

وظيفة النقد:

أما وظيفة النقد الأدبي كما قال سيد قطب فتتلخص في تقويم العمل الأدبي من الناحية الفنية و بيات قيمته الموضوعية و قيمته التعبيرية و الشعورية و تعين مكانه في خط سير الأدب و تحدد ما أضافه إلى التراث الأدبي في لغته و في العالم الأدبي كله و قياس مدى تأثره بالمحيط و تأثيره فيه و تصوير سمات صاحبه و خصائصه الشعورية و التعبيري[2] .

و العمل الأدبي هو موضوع النقد الأدبي (و ليس هناك تأريخ محدد لبداية النقد و ذلك لأن النقد الأدبي يأتي في مرحلة متأخرة عن الأثر الأدبي و كان هو الشعر في العصر الجاهلي و ليس هناك بداية جازمة لتأريخ النقد و لازم الشعر في الفترة الجاهلية و كان أحكاما عامة و موجزة)[3]

فالعمل الأدبي و غايته و قيمه الشعورية و التعبيرية و الكلام عن آدائه و طرائق آدائه و فنونه هي نفسها (النقد الأدبي)، فالعمل الأدبي هو (التعبير عن تجربة شعورية في صورة موحية)[4].

(و من الناس من لديهم استعداد فطري للنقد أي للتميز بين ما هو حسن أو غير حسن من الأشياء فالأدب أسبق إلى الوجود من النقد لأن العمل الأدبي هو مادة الناقد و النقد لا ينفصل أبداً عن البلاغة و هي شقيقته الكبرى وفى جزء منه بلاغة محدودة و في جزء آخر بلاغة موسعة و لقد نبعا من أصل واحد. و النقد كان و لا يزال يقوم في بنائه على أسس بلاغية)[5]. و لقد ادت أسواق العرب دوراً مهما في النقد حيث كان الشعراء يلقون قصائدهم فيها و يحكمون من بعد و يمكن القول

---

١. الصناعتين، للكتابة و الشعر لابي هلال العسكري، تحقيق د. مفيد قميحة دار الكتب العلمية بيروت، لبنان ط ٢ (١٩٨٤) انظر الصفحات ٦٩-٧٨.

[2]. النقد الأدبىأصوله ومناهجه،سيد قطب ،دار الشروق ،ط٧(١٩٩٠)،ص٧

[3] .محمد محمد على ناقداً ،رسالة دكتوراه،جامعة أمدرمان الإسلامية،فاروق الطيب،ص٧

[4]. النقد الادبى أصوله ومناهجه –سيدقطب-ط٥-ص٩

[5]-محمد محمد على ناقدً-ص٧

إن النقد الجاهلي يلقى مختصراً، مجملاً، بلا تعليل كنقد طرفة بن العبد لخاله المتلمس:

وَقَد أَتَناسى الهَمَّ عِندَ اِحتِضارِهِ   بِناجٍ عَلَيهِ الصَيعَرِيَّةُ مُكدَمِ[1]

فقال طرفة: (استنوق الجمل) حيث الصيعرية سمه من سمات النوق و قد وصف بها جمله ثم قال المتلمس: لطرفة ويل لك من هذا أي سيكون حتفك من لسانك و ستقتل بسببه و قد كان ذلك.

(أما صدر الإسلام فقد جاء الإسلام بتصور كامل للحياة و مغاير كل المغايرة للحياة الجاهلية و قد أقر الإسلام بعض العادات الجاهلية و ما جاء به الاسلام من قيم و مباديء انعكس على الشعر و على النقد معاً، أما الشعر فتنوعت اغراضه فلم يكن للشعراء مجالٌ متاحٌ ليتحدثوا عن الخمر و عن النساء فالنظرة الإسلامية تحولت إلى نظرية نقد في مجال الشعر. حيث أفسح الإسلام المجال أمام الفضائل الكثيرة التى جاء بها لتتبدى في أشعارهم)[2].

قال رسول الله صلى الله عليه و سلم لاصحابه دافعتم عنا بسيوفكم و أنفسكم فمن يدافع عنا بلسانه فانبرى لهم حسان مادحاً الرسول صلى الله عليه و سلم هاجياً للكفار.

و في العصر العباسي تنوعت الحياة و اختلطت الشعوب و ازدهرت المدنية و مالت الحياة إلى اللين و الرفاهية فرق الذوق و احتفل الشعر بالمشاعر الرقيقة و استبعدوا الجفاء في التعب و نتيجة لهذا الاختلاف و الاختلاط بين ثقافات مختلفة اختلف الأسلوب النقدي والمعايير النقدية. (و كان الشاعر يقول قصيدته ثم ينام مطمئناً و ليفعل القوم من بعده ما يشاءون فهذا حقهم لأن القصيدة قد صارت ملكهم)[3]. قال الشاعر:

أَنا الَّذي نَظَرَ الأَعمى إِلى أَدَبي   وَأَسمَعَت كَلِماتي مَن بِهِ صَمَمُ
أَنامُ مِلءَ جُفوني عَن شَوارِدِها   وَيَسهَرُ الخَلقُ جَرّاها وَيَختَصِمُ

فالشاعر قال قصيدته و نام ملء الجفون عن عيوبها و لكن هناك من سهر من جرائها و اختصم .

---

[1] -ديوان طرفة بن العبد-دار صادر
[2] -محمد محمد على ناقداً –ص٧
[3] - دراسات فى النقد الادبى –د.وليد قصاب –دار العلوم للطباعة والنشر –ط١-١٩٨٣

الفصل الأول
الجاحظ وكتابه البيان والتبين

المبحث الأول

الجـــاحـــــــــــــــظ

١. عصر الجاحظ

امتاز العصر العباسي الأول(١٣٢_٢٣٢ هــ) بقوة الخلافة و عظمة الخلفاء و مجد الدولة متأثراً بالحضارات السابقة،وظهرت فيه الشعوبية ،وفى هذا العصر ولد الجاحظ.

(فلما جاءت الدولة العباسية بحرية الشعوب المسلمة علي اختلاف أجناسهم كان الفرس أول من استجاب للدعوة العباسية واقتدي بهم كل من تطاول إلي شرف الرئاسة أو سعة الجاه في هذه الدولة)[١]. أما العصر العباسي الأول فعرف بالعصر الذهبي للأمة العربية وهو عصر هرون الرشيد وابنه المأمون

٢. البيئة السياسية:

أخذ العباسيون يرفعون الراية السوداء رمزاً لسلطانهم من مكان إلى مكان و النصر حليفهم و إذا بلاد الشام كلها تفتح بجيوش الثائرين. و انتهج العباسيون نهج القياصرة و الأكاسرة في تنظيم دولتهم و مالوا إلى الترف معتمدين في ذلك على من يقوم مقامهم في مباشرة الأعمال[٢] .

إن طابع الدولة و استقرار الحكم فيها تتحكم فيه البيئة الاجتماعية إن كانت متصلة ومترابطة، غير أن اقتصاديات الدولة العباسية أغلبها انحصر فى أيد الخلفاء لوصفهم الذاتي والاجتماعي حيث كانت اقتصاديات البلاد واسعة جداً مما أفسح لها مجالاً واسعاً في الترف الذي عاش فيه الخلفاء حياة البذخ فهم يمثلون طبقة خاصة، و هي صاحبة الثروة والنفوذ و الجاه فحياتهم مترفة لاهية، على حين كان الفقر والبؤس والشقاء للعامة وهم أكثر الناس[١] .

١– صر العباسي الأول، د. شوقي ضيف.ص٢٣

٢–مرجع السابق، ص١٩.

١– الإسلام ، د. احمد أمين ، القاهرة، مطبعة خلف ١٩٥٨ ج ١ ص ٩٧.

٢– صر العباسي الثاني، د. شوقي ضيف ط ٢ ، ص٨٠.

وانتشرت تجارة الرقيق حيث كان في بغداد شارع يسمى (شارع دار الرقيق). وكان الأرقاء ولا سيما الجواري، أنواعاً مختلفة فهناك السود من السودان والبيض من أتراك وصقالبة و غيرهم مما جعل الجاحظ يشبه أصناف الرقيق عند النحاسين بألوان الحمام فشبه الصقالبة بالحمام الأبيض و الزنج بالحمام الأسود)[٢].

و في مقابل هذا الفن و تجارة الرقيق ظهرت الزندقة والتي كان يمثلها بشار بن برد و غيره وظهر الزهد والنساك والوعظ والإرشاد. بجانب ذلك كانت الدولة قد ضمت إليها من الشعوب ما اختلفت أجناسهم ودياناتهم من مسلمين متعددي الفرق ونصارى مختلفي النزعات ومن يهود وصابئة وكانت المعتزلة من أشهر الفرق الدينية فى ذلك العهد بل أشهرها على الإطلاق و أشدها تأثيراً في التحرر الفكري الذي يخالف ثوابت أهل السنة.

٣. البيئة الثقافية:

أولاً: ماذا نعني بالثقافة في العصر العباسي؟ نعنى بذلك تفاعل العوامل الاجتماعية و السياسية و الفكرية التي ساعدت على قيام الدولة العباسية على أنقاض الدولة الأموية وهذه لم تكن امتداداً للإرث العربي التي بانت كل ملامحه في العصر الأموي ولاسيما الجاهلية مما دعم بنية العصر العباسي بثقافات خارجية اقترنت مع الثقافة العربية حيث صارت البيئة الثقافية من أقوى العوامل في النهضة العباسية إذ أخذ الخلفاء يشجعون الحركة العلمية في نواحيها المتعددة و يمدونها بمالهم وجاههم و قد بالغوا في إكرام الأدباء فجالسوهم وولوهم أحياناً المناصب العالية، ثم حذا الأمراء والوزراء حذو الخلفاء في أكبر مدن الدولة و كانوا يتنافسون في ذلك كما يتنافسون في فتح دور العلم)[١].

٤- أنواع الثقافات السائدة:

١- الثقافة العربية الخالصة: والتي تعتمد على القرآن والحديث و ما يتصل بهما من علوم الدين كالتفسير والفقه والكلام والتصوف وما إلى ذلك ، اعتمادها على الشعر وما يحيط به من العلوم الأدبية كالنحو واللغة و غيرها

٢- الثقافة اليونانية ٣ - الثقافة الشرقية

---

[١]ـ العصر العباسى الاول –ص١٠٢

كذلك اتصلت الثقافة الهندية بالدولة بواسطة التجارة والفتوحات التي شملت قسما كبيراً من الهند و يرجع انتشار تلك الثقافات في البلاد إلى المدارس والترجمات وتشجيع الخلفاء ونشرهم لها) [١] عاش الجاحظ في تلك البيئات مصورا و مؤرخاً يراقب أي المزج أو الخلط أنفع.

٥- اسمه:

عمر بن بحر بن محبوب، الكنانى بالولاء، الليثي، البصري ولادة و وفاة، البغدادي إقامة،كنيته أبو عثمان، لقب بالجاحظ لجحوظ عينيه أي لبروزهما و نتوئهما)[٢]. كبير أئمة الفكر و الثقافة ، و كبير شيوخ اللغة و الأدب و النقد و البيان. و إمام من أئمة المعتزلة، و مؤسس فرقة من المعتزلة سميت باسم الجاحظية. من أشهر كتبه (الحيوان) و هو أكبر كتبه و أغزرها مادة و (البيان و التبيين) و (البخلاء) و هو كتاب في النقد الاجتماعي و الخلقي .

٦-مولده:

ولد الجاحظ في البصرة التي وصلت أوج ازدهارها حتى أصبحت من أعظم قبل العلم وبيئة من أخصب البيئات الثقافية التقى فيها العلماء و الأدباء و اجتمعوا بالمربد. في هذه البيئة ولد الجاحظ . أما تاريخ ميلاده فقال الجاحظ: أنا أسن من أبي نواس بسنة، ولدت في أول سنة خمسين و مائة وولد في أخرها)[٣].لهذا اعتمد ياقوت في تحديد سنة مولده سنة ١٥٠هـ وهو أمر اختلف فيه المؤرخون بين الأعوام (١٥٥هـ-١٥٩هـ-١٦٣هـ- ١٦٥هـ).

٧-نسبه:

ما قاله الخطيب البغدادي و من بعده ابن عساكر أن الجاحظ ينتسب إلى قبيلة مضرية من كنانة ضاربة في جهات مكة على أنه إما كناني أو مولى لهذه القبيلة على أنهما يذكران بعد ذلك خبراً يصعد إلى خال أم الجاحظ الذي قال: كان فزارة جد الجاحظ عبداً أسود و كان جمالاً لعمر بن طلحة الكنانى)[٤].

---

[١]- المرجع السابق

٤- معجم الالقاب والاسماء المستعارة فى التاريخ العربى والاسلامى -د.فؤادصالح السيد -دار العلم للملاين-ط١-مارس -١٩٩٠-
[٢]ص٦٨

[٣]- معجم الادباء -ياقوت الحموى -ج٦-ص٧٥

[٤]- معجم الالقاب والاسماء المستعارة -ص٧٥

٨.من سمو بالجاحظ:

محمد بن أحمد(٣٠٥هــ) الكوفي، البغدادي وفاة و يكنى بأبي موسى نحوي لغوى لقب بالجاحظ ربما تشبيهاً بالجاحظ أما في جحوظ عينيه أو في سعة علومه و غزارة معارفه. الجاحظ الثاني (٥٢١هــ) هو محمود بن عزيز العارضي الخوارزمي أبو القاسم لغوي ، أديب ومناظر أقام مدة بخوارزم ثم ارتحل إلى مروفزنج ، لقبه الزمخشري بالجاحظ لكثرة حفظه وفصاحة لفظه تشبيها له بأبي عثمان عمر بن بحر الجاحظ)[١].

---

[١]ـ المرجع السابق-ص٦٨

المبحث الثاني

البيان و التبيين

عرض الكتاب:

هذا الكتاب هو الحلقة الثانية من سلسلة مكتبة الجاحظ وهو أكثر كتب الجاحظ تداولاً و أعظمها نفعاً.

١- بعض أقوال العلماء فيه:

قال فيه أبو هلال الحسن بن عبد الله العسكري، في كتاب الصناعتين (وكان أكبرها وأشهرها كتاب البيان والتبيين لأبي عثمان عمر بن بحر الجاحظ وهو لعمري كثير الفوائد جم المنافع وأن الإبانة عن حدود البلاغة و أقسام البيان و الفصاحة مبثوثة في تضاعيفه فهي ضالة بين الأمثلة لا توجد إلا بالتأمل الطويل و التصفح الكثير)[1]

أما ابن رشيق القيرواني (٣٦٠-٤٦٣هـ) في كتابه العمدة فقال: (و قد استفرغ أبو عثمان الجاحظ وهو علامة وقته الجهد و صنع كتاباً لا يبلغ جودة و فضلاً ثم ما ادعى إحاطته بهذا الفن ، لكثرته وأن كلام الناس لا يحيط به إلا الله عزّ و جلّ)[2]

أما ابن خلدون المغربي (٧٣٢-٨٠٨هـ) فسجل لنا رأي قدماء العلماء في هذا الكتاب إذ يقول (و سمعنا من شيوخنا في مجالس التعليم أن أصول هذا الفن وأركانه أربعة دواوين: أدب الكاتب لابن قتيبة، الكامل للمبرد، البيان والتبيين للجاحظ وكتاب النوادر لأبي على القالي وما سوى هذه الأربعة تبع لها و فروع منها)[3]

---

[1]-الصناعتين لابى هلال العسكرى،تحقيق محمد البجاوى و محمد ابو الفضل ابراهيم ص١١
[2]-العمدة فى محاسن الشعر ،لابن رشيق القيروانى ،ج١ ص٥٣٩
[3]- مقدمة ابن خلدون ص (٨٠٥)

٢ –منهج الجاحظ فى التأليف والتبويب:

إن دأب الجاحظ في تأليفه أن يرسل نفسه على سجيتها فهو لا يتقيد بنظام محكم يترسمه تراه يبدأ الكلام في قضية من القضايا ثم يدعها في أثناء ذلك ليدخل في قضية أخرى، ثم يعود إلى ما أسلف من قبل وهذه سمة كثير من علماء عصره وكان يشعر بذلك ويعتذر عنه أحياناً ، فمثلاً قال عند الكلام عن البيان(و كان الحق أن يكون هذا الباب في أول الكتاب ولكنا أخرناه لبعض التدبير)[1]وهو يعد في آخر هذا الجزء أن يتكلم في الجزء الثاني عن طعن الشعوبية على العرب في اتخاذ المخصرة ثم يحاول الوفاء بما وعد في الجزء الثاني و لكنه يرى أن الفرصة لم تسنح له بعد فيعتذر بقوله (و لكنا أحببنا أن نصدر هذا الجزء بكلام من كلام رسول رب العلمين و السلف المتقدمين والجلة من التابعين)[2]. ومضى في الجزء الثاني بأكمله ولم يوف بما وعد إلا في صدر الجزء الثالث من الكتاب. ونستطيع أن نجمل مباحث الكتاب والقضايا التي تناولها فيما يلي:

١- البيان و البلاغة
٢- القواعد البلاغية
٣- القول في مذهب الوسط
٤- الخطابة
٥- الشعر
٦- الأسجاع
٧- نماذج من الوصايا والرسائل
٨- طائفة من كلام النساك والقصاص وأخبارهم
٩- عرض لبعض كلام النوكي والحمقى ونوادرهم
١٠–ضروب من الاختيارات البلاغية

---

١ -البيان والتبيين،ج١،ص٧٦
[2]المرجع السابق،ص٥

١-البيان و البلاغة:

تحدث الجاحظ في تعريف البيان([1]) ،وساق فى تفصيل أنواع الدلالات البيانية من اللفظ و الإشارة والعقد والنصبة وعقد أبواباً لمدح اللسان والبيان ([2])

وصنع موازنة بين لغة العامة والحضريين والبدويين([3]). ونوه تنويها بصحة لغة الأعراب في عصره وروي مقطعات من نوادر الأعراب وأشعارهم وتحدث في لكنة النبط و الروم([4]). وعرض نماذج من كلام الموالي وعقد في الجزء الثاني باباً للحن وأخبار اللحانين بعد أن تكلم في الجزء الأول([5]). عن اللحن ومتي يستملح ومتي يستهجن وفي الجزء الثاني عرض صوراً من صور العِيِّ والحصر .وبسط مذهباً له في وجوب أداء القصص والنوادر كما هي إن معربة فمعربة ،أو ملحونة فملحونة زاعماً أن الإعراب يفسد نوادر المولدين[6]. كما ذكر في صدر كتابه طائفة من الآيات التي تنوه بشأن البيان والبلاغة ثم أعاد الكرة في الحث علي البيان و التبيين إذ يقول (و أنا أوصيك ألا تدع التماس البيان والتبيين إن ظننت أن لك فيهما طبيعة)[7]، كما تكلم في مخارج الحروف وبين أثر سعة الشدق وأثر اكتمال الأسنان أو نقصها في البيان) [8].ونقل قول محمد الرومي (وقد صحت التجربة وقامت العبرة علي أن سقوط جميع الأسنان أصلح في الإبانة عن

١- البيان و التبيين للجاحظ ج١ (ص ٧٥، ١٦٦، ١٧٢، ١٩٢).

٢- المرجع السابق (ص ١٢٠).

٣- المرجع السابق (ص ٧٠).

٤- المرجع الساق (ص ١٤٦).

٥-المرجع السابق ج١ (ص ١٤٦).ن ج٢ (١٣).

٦-المرجع السابق ج ١(٢٠٠)

٧-المرجع السابق (١٩٤)

[8]-المرجع السابق ص ١٩٤

الحروف منه إذا سقط أكثرها). وتكلم عن اللثغة .

كما روي طائفة من أخبار البلغاء و الخطباء و من جمع بين الخطابة و الشعر وعرض نماذج من كلام الرسول صلي الله عليه وسلم في صدر الجزء الثاني .

أما البلاغة وهي المرتبة التي فوق البيان فعرفها عند الفرس والروم والهند والأعراب وأعلام البلغاء ،ولم يتعرض للمسائل التي عرفت فيما بعد .وتكلم في المشاكلة البديعية و عرض أمثله من القرآن و الشعر .

٢ –القول في مذهب الوسط:

نلاحظ أن للجاحظ مجهوداً طريفاً، فهو عقد باباً للصمت وحث عليه وأن الصواب و الخير كله في إصابة القدر في الكلام وأن تكون الألفاظ و المعاني أوساطا بين بين.

٣ –الخطابة:

أما الخطابة فقد عني بها عناية خاصة فالخطابة دعامة من دعائم الدعوة، و قد رسم للخطابة أدباً يستحسن فيه أن يقتبس من القرآن والشعر وأنواع الخطب)[١] .

٤ –الشعر:

الشعر وسيلة من وسائل البيان ومعرض من معارض البلاغة وله ميسم يبقي علي الدهر في المدح والهجاء ومن شدة وقع اللسان ومن بقاء أثره علي الممدوح والمهجو وأورد قول امرئ القيس بن حجر:

و لَوْعَنْ نَثَا غَيرِهِ جاءني وجُرْحُ اللِّسان كجرحِ اليدِ

و له أوزان لابد من القصد إليها فقد ورد في القرآن وفي الحديث كلام موزون على أعاريض الشعر ولكنه لا يسمى شعراً[٢]. وأورد قول الرسول صلى الله عليه وسلم (اسجع كسجع الجاهلية) وقال: قال عبد الصمد (وجدنا الشعر من القصيد ورجز وقد سمعه النبي صلى الله عليه وسلم فاستحسنه وأمر به،ومن يجمع بين الشعر والخطابة قليل وذكر منهم قس بن ساعدة الأيادي والخطباء كثير

[١]-المرجع السابق ج١ ص٣٠٧

[٢]- البيان و التبيين ج١ ص٤٦

والشعر أكثر منهم و منهم عمر بن الأهتم المنقري و من الخطباء والشعراء البعيث المجاشعي واسمه خداش بن بشر بن نبيه ومنهم الكميت بن زيد الأسدي و الطرماح بن حكيم الطائي. قال : قال القاسم بن معن قال محمد بن سهل راوية الكميت: أنشدت الكميت قول الطرماح [1]

إِذا قُبِضَت نَفسُ الطِرِمّاحِ أَخلَقَت — عُرى المَجدِ وَاِستَرخى عِنانُ القَصائِدِ

قال: قال الكميت أي والله وعنان الخطابة والرواية. قال أبو عثمان الجاحظ : لم ير الناس أعجب حالاً من الكميت والطرماح. كان الكميت عدنانياً عصبياً و كان الطرماح قحطانياً عصبياً وكان الكميت شيعياً من القالية، وكان الطرماح خارجياً من الصفرية وكان الكميت يتعصب لأهل الكوفة، وكان الطرماح يتعصب لأهل الشام. وبينهما مع ذلك من الخاصة والمخالطة ما لم يكن بين نفسين قط، ثم لم تجر بينهما صرم ولا جفوة ولا أعراض ولم ير الناس مثلهما إلا ما ذكروا من حال عبد الله بن يزيد الإباضي و هشام بن عبد الحكم الرافضي (و هو صاحب مذهب الهاشمية و هي فرقة من القالية) فإنهما صارا إلى المشاركة بعد الخلطة و المصاحبة. قال أبو عثمان ذكر خالد بن صفوان شيب بن شيبة فقال: (ليس له صديق في السر ولا عدو في العلانية) قال أبو عثمان تدل كلمة خالد هذه على أنه يحسن أن يسب سب الأشراف.[2]

ومن الخطباء الشعراء عمران بن عصام العنزي وهو الذي أشار على عبد الملك بخلع عبد العزيز أخيه والبيعة للوليد بن عبد الملك في خطبته المشهورة و قصيدته المذكورة وهو الذي لما بلغ عبد الملك بن مروان قتل الحجاج له قال: لم قتله؟ ويله ألا رعى له قوله فيه:

و بَعثتَ من وَلَد الأغرِّ مُعَتّبٍ — صَقراً يلوذُ حمامُـــه بالعَرفجِ
فإذا طبختَ بنارِهِ أنضَجتَها — وإذا طَبَخْتَ بغيرها لمَ تَنْضَجِ
وهو الهِزَبْرُ إذا أرادَ فريسةً — لم يُنْجِها منه صِـــياحُ مُهجهِجِ

ومن خطباء الأمصار وشعرائهم والمولدين منهم بشار الأعمى وهو بشار

---

[1] -الحيوان ج٥ ص ٥٩٢،عيون الاخبار ج٣ ص٧٣،العقد الفريد ج٢ ص٢٧٢
[2] -البيان والتبين ج١ ص٤٧

بن برد وكنيته أبو معاذ. قال أبو عثمان أنشد عقبة بن رؤبة رجزاً يمتدح به بشار بن برد و هو حاضر فأظهر بشار استحسان الأرجوزة فقال له عقبة بن رؤبة هذا طراز يا أبا معاذ لا تحسنه. فقال بشار المثلي يقال هذا الكلام؟ أنا و الله أرجز منك ومن جدك ثم غدا على عقبة بن سلم بأرجوزته التي أولها:

يا طَلَلَ الحيُّ بذاتِ الصمّدِ   بالله خبّر كيف كُنتَ بعدِي[1]

وقال أبو عثمان المطبوعون على الشعر من المولدين بشار العقيلي والسيد الحميري وأبو العتاهية وابن أبي عيينة و قد ذكر الناس في هذا الباب يحي بن نوفل وسلما الخاسر وخلف بن خليفة و أبان بن عبد الحميد اللاحقي أولى بالطبع من هؤلاء و بشار أطبعهم كلهم[2].

٥-السجع:

هذا الفن أثار خلافاً بين العلماء والأدباء والحديث النبوي (اسجع كسجع الجاهلية) هذا الحديث حجة لمن يرفض هذا الفن ويرى البعض أن السجع منهي عنه وهو مرتبط بالكهانة والترجيم بعلم الغيب مرسية ابن أبي السلط خير شاهد وهي في أهل بدر)[3]. وصاغ الجاحظ المأثور من السجع.

٦ -الرسائل والوصايا:

وهي من مظاهر البيان العربي ونشر الجاحظ قدراً منها للاهتداء بها.

٧ - النساك و القصاص:

اعتنى الجاحظ في كتابه البيان و التبيين بالنساك وقد نبغ منهم نوابغ في البيان فمنهم قوم لانت ألسنتهم و رق إحساسهم بما حفظوا من كلام الله وحديث الرسول صلى الله عليه وسلم و كانت لهم صولات وجولات في مساجد البصرة والكوفة وكذلك القصاص كانت صناعتهم تقتضي العناية بالبيان مثل موسى بن سيار الأسواري. وعقد الجاحظ باباً في الزهد.

---

[1] البيان و التبيين ج١ (٤٩).

[2] البيان و التبيين ج١ (ص ٥٠

[3] -المرجع السابق ص٢٩١

٨ -النوكي و الحمقى:

والجاحظ هو ذلك المرح قد أعجب الناس من هذا الخلق وهو مصدر عبرة وموعظة و مصدر عزاء وتسلية عن النفس. وهؤلاء النوكي والحمقى فيهم من البيان الساخر و أشار إلى خطأ بعضهم ظاهراً أو خفياً محذراً من ذلك وتكلم عن العِيِّ والحمقى والنوكي وطائفة من المعلمين[١].

٩-الاختيارات:

أضاف الجاحظ إلى كتابه الجيد المتخير من الشعر والنثر وذلك في الجزئيين الثاني و الثالث مستشهداً بما ينبغي أن يدعمه و يؤيده من قضايا البيان منها للفظ و روى نوادر الأعراب و طائفة من أدب بني العباس وهو العصر الذي عاش فيه وهذه إشارات يمكن أن تقودنا وتقرب الخطوط الرئيسة التي ينبني عليها البحث و تتبع ما يحوي الكتاب من الجانب النقدي وقضاياه و قلما تجد أديباً من المحدثين لم يتمرس بما فيه من أدب و استمد منه كبار المؤلفين كابن قتيبة و هو تلميذ للجاحظ و خطيب أهل السنة في كتابه عيون الأخبار والمبرد في الكامل وابن عبد ربه في العقد الفريد والعسكري في الصناعتين وابن رشيق في العمدة والجرجاني في دلائل الإعجاز وأسرار البلاغة التي أفرد لها الجاحظ باباً)٢

١٠ -تاريخ تأليف البيان والتبيين:

قيل أن الجاحظ ألفه في أخريات حياته حيث علت به السن وكان ذلك بعد كتاب الحيوان وهناك نص قاطع في البيان و التبيين يدل على ذلك قوله: (كانت العادة في كتب الحيوان أن أجعل في كل مصحف من مصاحفها عشر ورقات من مقطعات الأعراب ونوادر الأشعار فأحببت أن يكون حظ هذا الكتاب في ذلك أوفر إن شاء الله) و أهدى الجاحظ كتابه البيان والتبيين إلى القاضي أحمد بن أبي داؤد (ت٢٤٠هـ) وكان أحمد من البلغاء والشعراء وكتاب البيان والتبيين ألف بعد سنة ٢٣٣هـ .

- [١]-البيان والتبين ج١ ص ٢٤٨-٢٥٠

١-البيان و التبيين ج١ (ص ١٠٦).

١١ –نسخ ومخطوطات كتاب البيان والتبيين:

ذكر ياقوت الحموي في كتابه إرشاد الأديب أن كتاب البيان والتبيين نسختان أولى وثانية والأخيرة أصح وأجود [١]. والسؤال أين أولاهما وأين الأخرى؟ قال المحقق عبد السلام محمد هرون (حينما اتجهت إلى معارضة أصول الكتاب بعضها ببعض تبين لي في أثناء ذلك أن نسخة مكتبة كوبر يلي هي أصح نسخة من أصول الكتاب) ولاحظ أنها انفردت ببعض النصوص و العبارات التي لا توجد في سائر النسخ أو توجد ولكن بعبارة أخرى مخالفة و أن سائر النسخ كثيراً ما تتفق في ذكر نصوص و عبارات لا نجدها في نسخة (كوبر يلي) وجزم المحقق أن نسخة كوبريلي أصح النسخ وأوثقها إذاً النسختان هما نسخة كوبر يلي والأخرى ما عداها من النسخ. والاختلاف بينهما في الافتتاحية حيث نسخة مكتبة كوبر يلي افتتاحها (الحمد لله و سلام على عباده الذين اصطفى) و سائر النسخ افتتاحها (بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على محمد النبي الكريم و سلم، عونك اللهم و تيسيرك).

أما المخطوطات فهي أربعه كما قال المحقق:

١/نسخة مكتبة (كوبر يلي) وهى وقف للوزير أبو العباس أحمد بن الوزير أبي عبد الله محمد

٢/نسخة دار الكتب المصرية.وتاريخ هذه النسخة يرجع إلي سنة١٢٩٩هـ.

٣/ نسخة دار الكتب المصرية وهي في مجلد واحد.

٤/ نسخة المكتبة التيموريةوهى في مجلد واحد و مجهولة التاريخ .

أما الطبعات :

النشرة الأولى المطبعة العلمية (١٣١١–١٣١٣هـ) عنى بها حسن أفندي الفاكهاني و أتمها الشيخ محمد الزهري القمراي.

النشرة الثانية في ثلاث مجلدات، مطبعة الفتوح و مطبعة الجمالية (١٣٣٢هـ) إشراف الأستاذ السيد محب الدين الخطيب و امتيازها على سابقتها

[١]--المرجع السابق ج١ ص٢٤٨-٢٥٠

بإشارتها إلى بعض روايات النسخ المخطوطة.النشرة الثالثة و الرابعة من صنع الأستاذ حسن السند وبي (١٣٤٥هــ- ١٣٥١هــ)

الخامسة الناشر جامعة الدول العربية من مكتبة في الله بالآستانة.

المبحث الثالث

أهم القضايا النقدية عند الجاحظ

١ -قضية اللفظ المعنى :

قضية (اللفظ والمعنى) من قضايا النقد الأدبي التي كانت وما زالت موضع اهتمام قديماً وحديثاً ، على أساس أنهما من عناصر العمل الأدبي ، ومن الخصائص التي تؤخذ في الاعتبار عند تقديره والحكم عليه.

والجاحظ من أوائل أدباء العرب الذين بحثوا في (اللفظ والمعنى) من زوايا متعددة وجوانب مختلفة. فهو يرى أن أحسن الكلام ما كان معناه في ظاهر لفظه ، وأن ذلك لا يتم في رأيه إلا عن طريق المزاوجة بين المعنى الشريف واللفظ البليغ وهو في تثبيت هذا الراي وتوضيحه يقول (وأحسن الكلام ما كان قليله يغنيك عن كثيره ، ومعناه في ظاهر لفظه ... فإذا كان المعنى شريفاً واللفظ بليغاً ، وكان صحيح الطبع ، بعيد الاستكراه ، ومنزهاً عن الاختلال مصوناً عن التكلف ، صنع في القلوب صنيع الغيث في التربة الكريمة) [1]

ومن ناحية ثانية يرى أن الأدب والشعر منه على سبيل المثال ليس في المعنى وحده ، لأن المعاني في متناول الجميع ، ولا يكفي في المعنى أن يكون شريفاً حتى يكتسب به الكلام صفة البلاغة ، وإنما الأسلوب القوي الحكم بكل عناصره هو الذي يجلوه ويضفي عليه من نعوت البلاغة ، وبالتالي يحدث تأثيره في النفوس. وعن ذلك يقول (وذهب الشيخ أبو عمرو الشيباني إلي استحسان المعنى والمعاني مطروحة في الطريق يعرفها العجمي والعربي ، والبدوي والقروي والمدني ، وإنما الشأن في إقامة الوزن، وتخير اللفظ ، وسهولة المخرج ، وفي صحة الطبع وجودة السبك ، فإنما الشعر صناعة، وضرب من النسج ، وجنس من التصوير)[2].

ولكن لا ينبغي أن يفهم من هذا القول أن الجاحظ ينكر المعاني وشأنها في بلاغة القول ، لأننا نراه ينوه بألوان المعاني الغريبة العجيبة، والشريفة الكريمة ،

---

[1] البيان والتبيين : ج١ ص٨٣

[2] كتاب الحيوان: ج٣ ص١٣١ ،دار الجيل بيروت تحقيق وشرح عبد السلام محمد هرون، ١٩٨٨

والبديعة المخترعة، وبين كيف يتنازعه الشعراء ، فيدعي كل أنها من بنات أفكاره ووحي خياله ، وكيف أن من هذه المعاني ما يخرجه الشاعر إخراجاً لا يباري فينصرف الشعراء عنه عجزاً)[١].

وقد استرشد الجاحظ وهو يعالج قضية (اللفظ والمعنى) إلي حقيقة هامة لها أثرها في البلاغة والنقد الأدبي. هذه الحقيقة هي أن لكل فن من القول ولكل أديب ناثراً أو شاعراً ألفاظه أو معجمه اللغوي الخاص.

قال الجاحظ (ولكلِّ قَوْمٍ ألفاظٌ حظِيتْ عِنْدَهم، وكذلك كلُّ بليغٍ في الأرض وصاحِب كلامٍ منثور، وكلُّ شاعِرٍ في الأرض وصاحِبِ كلامٍ موزون؛ فلا بد من أن يكون قد لهجَ وألف ألفاظاً بأعيانها؛ ليديرَها في كلامه، وإن كان واسعَ العلمِ غزيرَ المعاني، كثيرَ اللَّفظ..) [٢]

ولعله أخذ هذه الحقيقة من بشر بن المعتمر حيث لاحظ أن للمتكلمين الفاظاً خاصة تدور على السنتهم وفي بيئتهم وأنه حري بهم ألا يستعملوها في كلامهم للعامة [٣].

٢ –النظم

وحديث الجاحظ عن (اللفظ والمعنى) لا يقصد به اللفظ المفرد وحده أو المعنى المفرد وحده ، وأشاد باللفظ كثيراً وهذا لا يعنى أنه يقدمه على المعنى ، لأنه في الوقت الذي كان يشيد فيه بالقيمة اللفظية كان يرى في المعاني رأي العتباني من أنها (تحل من الألفاظ محل الروح من البدن).

وعليه فبلاغة الكلام عنده هي في المزاوجة أو الملاءمة بين اللفظ والمعنى وهذه المزاوجة أو الملاءمة تتمثل في الأسلوب المحكم ، أو في (نظم) الألفاظ التي يتطلبها المعنى على نحو يسمح لجوهر المعنى أن يظهر كاملاً واضحاً مؤثراً فنظم الكلام على هذا المنوال هو الذي يضفي عليه صفات البلاغة ويعطيه قوة التاثير في النفوس.

---

[١] كتاب الحيوان : ج٣ ص٣١١
[٢] المرجع نفسه: ج٣ ص٣٦٦
[٣] البيان والتبيين: ج٣ ص١٣٩

وأضاف الجاحظ لفظة (النظم) إلى قاموسه اللغوى للإشارة إلى أكثر من معنى، فهو قد تحدث كثيراً عن (النظم) بمعنى التأليف والإنشاء ، وجعل له أنواعاً من القصيد والرجز المزدوج والمجانس والأسجاع والمنثور.

كما ذكر الجاحظ (النظم) في حديثه عن إعجاز القرآن قال إن إعجازه إنما هو في (نظمه) . و قال: (إن الرسول تحدى البلغاء والخطباء والشعراء بنظمه وتأليفه) وفي مرة أخرى قال: (إن الله صرف نفوس العرب عن المعارضة للقرآن ، ورفعها عن أوهامهم بعد أن تحداهم الرسول بنظمه) .

وفي مرة ثالثة قال :(وفي كتابنا المنزل الذي يدلنا على أن صدق نظمه البديع الذي لا يقدر على مثله العباد)[1]. وهكذا حل الجاحظ قضية المعاني التي طرحها في الطريق وأنصفت نظرية النظم عند الجاحظ ووجه آراءه النقدية التوجيه الصحيح

٣-قضية الطبع:

وهى من القضايا التى أهتم بها النقاد قديماً وحديثا وفى طليعتهم الجاحظ قال :(والمطبوعون علي الشعر من المولّدين بشارُ العُقيليّ و السّيِّد الحِميري ،وأبو العتاهية ،وابن أبي عُيَيْنة)[1]. و قال الجاحظ في مسألة المطبوع و الحاذق و التمويه للمعاني (أُنذِرُكم حُسنَ الألفاظ و حلاوةَ مخارج الكلام، فإنَّ المعنى إذا اكتسى لفظاً حسناً و أعاره البليغُ مخرجاً سهلاً و منحه المتكلم دَلّا مُتعشّقاً صار في قلبك أحلى و لصدرك أملاء و المعاني إذا كُسيت الألفاظ الكريمة و ألبست الأوصاف الرفيعة تحولت في العيون عن مقادير صُورها ، و أربت على حقائق أقدارها بقدرِ ما زُينت و حَسب ما زُخرفت،فقد صارت الألفاظ في معاني المعارض و صارت المعاني في معنى الجواري و القلب ضعيفٌ و سلطانُ الهوى قويٌ و مَدخل خُدَع الشيطان خفيّ)[٢]. فالقصد في هذا كله تجنب الحوشي و السوقي و الوحشي من الألفاظ.

---

[1]كتاب الحيوان: ج٤ ص٩٠

[1]-البيان و التبيين ج١ (ص ٥٠).

[٢]-المرجع السابق (ص ٢٥٤

و من النسابين أبو إياس النصري و كان أنسب الناس و هو الذي قال: (كانوا يقولون أشعر العرب أبوداؤدٍ الإيادي و عدِي بن زيد ألعِبادي)[١]. و في رداءة اللفظ و المعنى في الخطابة قال: (لم أجِد في خطب السّلفِ الطيّبِ و الأعراب الأقحاحِ ألفاظاً مسخوطة و لا معانيَ مدخولة و لا طبعاً رديئاً و لا قولاً مستكرهاً و أكثرُ ما نجد ذلك في خطب المَولّدين و في خطب البلديّين المتكلّفين من أهل الصنعة المتأدّبين، سواء أن كان ذلك منهم على جِهة الارتجال والاقتضاب أو كان من نتاج التحبير* والتفكير)[٢].

و قال :(من شعراء العرب من كان يدع القصيدةَ تمكث عنده حولاً كريتاً و زمناً طويلاً يردّد فيها نظره و يُجيل فيها عقله و يقلّب فيها رأيه اتّهاماً لعقله ، و تتبّعاً على نفس فيجعل عقله زِماماً على رأيه و رأيه عِياراً على شعره، إشفاقاً على أدبه، و إحرازاً لما خوّله الله تعالى من نِعمته و كانوا يسمُّون تلك القصائدَ الحولياتِ، و المقلَّداتِ، و المنقَّحات ،و المُحكَمات، ليصير قائلها فحلاً خنديداً، وشاعراً مفلقاً)[٣].

و في بيوت الشِّعر الأمثال والأوابد ومنها الشَّواهد والشوارد والشعراء عندهم أربع طبقات: فأوّلهم الفحل الخنديد. والخنديد هو التامّ. قال الأصمعي: قال رؤبة: (الفُحولةُ هم الرواة)* دون الفحل الخِنديد الشاعر المُفلِقُ، ودون ذلك الشاعرُ فقط و الرَّابع الشُّعرُور))[٤]. و الشاهد على ذلك قول الشاعر في هجاء بعض الشعراء :[٥]

يا رابعَ الشعراءِ كيف هجوتني   و زعمتَ أني مُفحَمٌ لا أنطِقُ

فجعله سُكّيتاً مُخلَّفاً، ومسبوقاً مؤخراً. وقال سمعتُ بعض العلماء يقول: طبقات الشعراء ثلاث : شاعر و شوَيْعر، وشُعْرُور. و سمي منهم الشويعر صفوان بن عبد ياليل واسمه ربيعة بن عثمان. وقال:وكان زُهير يسمِّي كبارَ قصائده:

---

[١]-المرجع السابق (ص ٣٢٣)

* التحبير :بمعنى التحسين (والتفكر والتخير)

[٢]-المرجع السابقص٩

[٣]البيان والتبين ج٢ ص٩-

[٤]-المرجع السابق ص٩

-المرجع السابق ص٩-١٠*-يريد الذين يرون شعر غيرهم فيكثر تصرفهم فى الشعر ويقون على القول*شاعر فارس من شعراء الدولة [٥]الاموية ٠

الحولِّيات. و قد فسر سُويد بن كُراعٍ العُكليُّ* ما قلنا في قوله :

أَبِيتُ بأبوابِ القوافي كأنّما أُصادِي بها سِرباً من الوَحشِ نُزّعَا
أُكالئُها حتى أُعَرّسَ بعدما يكون سـُحيراً أو بُعيداً فأهجَـعا
عَواصِيَ إلاّ ما جعلتُ أمامَها عصا مِرْبَدٍ تغشي نحوراً واذرُعا
أهُبتُ بغُرِ الآبدات فراجعت طـريقاً أملّتْهُ القصـائدُ مَهْـيَعا
بعيدةٌ شأوٍ لا يكـاد يُردُّها لهـا طالبٌ حتى يَكِلّ و يَظْلَـعا
إذا خِفْتُ أن تُروَى عَلَي رددتُها وراء التراقِي خشيةً أن تطلّعا
و جشّمني خوفُ ابنِ عَفّان ردّها فثّقفْتُها حَولاً حَريداً و مَربْـعَا
و قد كان في نفسي عليها زيادةٌ فلم أرَ إلا أن أطيعَ و أسمـعَا

قال أبو عثمان في زهير و الحطيئة و غيرهم عبيد الشعر (لولا أنّ الشعرَ قد كان استعبدَهم و استفرغ مجهودَهم حتى أدخلَهم في باب التكلُّف و أصحاب الصنعة ... لذهبوا مذهبَ المطبوعين و إنّما الشعر المحمود كشعر النابغة الجَعدي و رؤبة)[1].

و في ذمهم للتكلف لم يذمون التكلف للبلاغة فقط بل ذموا المتكلف للغناء و لا يكادون يضعون اسم المتكلف إلا في المواضع التي يسمونها. قال أبو عثمان قال أبو الحسن أجرى رسول الله صلى الله عليه و سلم الخيل و سبق بينها فجاء فرساً له أدهم سابقاً فجثا رسول الله صلى الله عليه و سلم على ركبتيه فقال (ما هو إلا بحرٌ) فقال عمر بن الخطاب كذب الحطيئة حيث يقول :

وإن جيادَ الخيل لا تستفزّنُا * و لا جاعلاتُ العاج فوقَ المعاصمِ

وقد زعم ناسٌ من العلماء أنه لم يستفزّه سَبق فرسِه و لكنه أراد إظهارَ حُبِّ الخيل وتعظيمِ شأنها.

و في فظاعة الاسم قال أبو عثمان لما بلغ عبد الله بن الزبير قتل عبد الملك بن مروان عمرو بن سعيد الأشدق قام خطيباً فقال: أن أبا الذبان قتل لطيم الشيطان)[2].
وقال عمربن الخطاب رضي الله عنه: خيرُ صناعات العرب أبياتٌ يقدِّمها الرجلُ

---

[1]-البيان و التبين ج٢ ص١٣
[2]-المرجع السابق ص٢٩-

بين يدَي حاجَته يستميل بها الكريم و يستعطف بها اللَّئيم) [1] .و قال أبو عثمان كان مالك بن الأخطل قد بعثَه أبوه ليسمع شعرَ جرير و الفرزدق فسأله أبوه عنهما فقال: جرير يغرِف من بحر و الفرزدق ينحِت من صَخر فقال الذي يغرف من بحرٍ أشعرهُما) [2]. أي أن جرير أشعر من الفرزدق.

و أنشد رجل عمر بن الخطاب رضي الله عنه قول طرفة:

فلولا ثلاثٌ هُنّ من عِيشة الفَتَى * وجدّك لم أحفِلْ متى قام عُوّدِي

فقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه:(لو لا أن أسيرَ في سبيل الله و أضع جبهتي لله و أُجالس أقواماً ينتقون أطايب الحديث كما ينتقون أطايب التمرِ لم أبالِ أن أكُونَ قد مِتُّ) [3]. فطرفة يرى أن متاع الحياة في ثلاثة أشياء و هي مجالسة النساء، و شرب الخمر، و إكرام الضيف ،بينما عمر رضي الله عنه يرى متاع الحياة الدنيا في ثلاثة و هي السير في سبيل الله، و السجود لله، و مجالسة قوم لا يتحدثون إلا بأطايب الحديث.و شتان بين الاثنين.

و لما سمع الأحنف فتيان بني تميم يضحكون من قول العرندس* :

لَحَا الله قومــاً شوَوا جــارَهُمْ   إذ الشَّاةُ بالدِّرهمين الشَّصِبْ

أرى كلَّ قومٍ رَعَوا جـــــارهْم   وجـــــارُ تَميم دُخَانٌ ذَهبْ

قال أتضحكون ؟ أما والله إنّ فيه لمعنى سَؤ . وقال :وكان قبيصة * يقول : (رأيتُ غُرفةً فوق البيت) [4].

قال الكميت بن زيد :ـــ

لقد غيّبوا برّاً وحزماً ونائلاً   عشيّةَ واراه الصّفيحُ المُنَصّبُ

قال أبو عثمان :(وهذا شعر يصلُح في عامّة الناس) [5]. و الكميت أكثر من مدح آل البيت .مثل هذا الشعر لا يرتقى أن يكون في رسول الله صلي الله عليه وسلم . وعد الجاحظ كُثير عَزَّه من الحَمقى . ومن حُمقه انه دخل علي عبد العزيز بن مروان فمدحه بمديحٍ استجاده ،فقال له : سلني حوائجَك .قال تجعلني في مكانِ

---

[1] -المرجع السابق ص١٠١
[2] -المرجع السابق ج٢ ص١١٧
[3] -البيان والتبين ج٢ ص١٩٥
[4] -المرجع السابق ص٢٣٧
*العرندس هو العرندس العوذى من الازد،بصرى اسلامى.*قبيصة بن المهلب
[5] المرجع السابق ص٢٤٠

ابن رُمَّانة قال : ويلك ،ذاك رجلٌ كاتب وأنت شاعر فلما خرج ولم ينل شيئاً قال في ذلك :[1]

عجبتُ لأخذي خُطّةٌ ألغَى بعدما تبيّن من عبد العزيز قَبُولُها
فإن عَادَ لي عبدُ العزيز بمثلِها وأمكننى منها إذاً لا أُقِيلُها

قال ابن عبد يغوث :

ألا لا تَلومانِي كفَى اللَومَ مابيَا فما لكما في اللّوم خيرٌ و لا ليَا
ألم تَعلما أنّ الملاَمَةَ نفعُـــها قليلٌ و ما لومي أخي من شماليا
فيا راكباً إما عَرضْتَ فبلّـــغَن نداماي مــــن نَجرانَ أنّ لا تَلاقيَا
أقول وقد شدّوا لساني بِنسعةٍ أمعَشَرَ تميمٍ أطلِــقُوا مـــن لسانِيا
و تَضحكُ منِّي شيخةٌ عبشميّة كأنْ لم تَرَ قبلي أسيراً يمانِيا

قال:الجاحظ (ليس في الأرض أعجبُ من طرفةَ بنِ العبد و عبدِ يغوث و ذلك انَّا إذا قِسنا جودةَ أشعارهما في وقت إحاطة الموت بهما لم تكن دون سائر أشعارهما في حالة الأمن و الرفاهِية)[2]. و قال الباهلي :قيل لأعرابي ما بالُ المراثي أجود أشعاركم؟ قال لأنّا نقول و أكبادنا تحترق). و قال: كان العرب أميين لا يكتبون و مطبوعين لا يتكلفون و كان الكلام الجيد عندهم أظهر و أكثر و هم عليه أقدر و له أقهر ، و كل واحد في نفسه أنطق و مكانه في البيان أرفع و خطباؤهم للكلام أوجد و الكلام عليهم أسهل... و ليس هم كمن حفظ علم غيرهم و لم يحفظوا إلا ما علق بقلوبهم من غير تكلف و لا قصد)[3]. و من قدم الشعر قول الحارث بن يزيد وهو جد الأحيمر اللص السعدي: قال: لا أعق و لا أحوب و لا أغير على مصر و لكنما غروي إذا ضج المطي من الدبر ومن جيد الشعر قول جرير:[4]

لئن عمرت تميم زماناً بغرةٍ لَقَد حُديَت تميم حداءً عَصَبْصَبَا
فلاَ يَضغمَّن الليثُ تيما بِغرةٍ و تيم يَشِمُّون الفريس المُنَيَّبا

و من قدر الشعر و موقعه في النفع و الضر أن ليلى بنت النضر ابن

[1]-المرجع السابق ص ٢٤١
[2]-البيان والتبين ج٢ ص٢٦٨
[3]-المرجع السابق ص٣٢١
[4]-المرجع السابق ج٤ ص٤٤

الحارث بن كلدة لما عرضت لرسول الله صلى الله عليه و سلم و هو يطوف بالبيت و استوقفته و جذبت رداءه حتى انكشف منكبه و أنشدته شعرها بعد مقتل أبيها فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم لو كنت سمعت شعرها هذا ما قتلته.[1]و شعرها هو:

يا راكباً إن الأثَيلَ مَظِنّةٌ   من صُبحِ خامسةٍ وأنتَ موفّـــقُ
أبلِغْ بها ميتاً بأن قصيدةً   ما إن تَزالُ بها الركائبُ تَخفُـــقُ
فليسمعَنّ النّضرُ إن ناديتُهُ   إن كان يَسمعُ ميّتٌ لا يَنطِـــقُ
ظلّت سيوفُ بني أبيهِ تنُوشُه   للهِ أرحام هُناكِ تَشقَّـــــــقُ
قَسْراً يُقادُ إلى المنّيةِ مُتعَباً   رَسفَ المقيّدِ وهْو عانٍ مُوثَـــقُ
أمُحَمّدٌ ها أنتَ ضَنٌ نجيبُةٍ   في قومِها و الفحلُ فحلٌ مُعُـــرِقُ
ما كانَ ضـــرّكَ لوْ منَنَتَ وربُّما   مَنّ الفتَى وهو المَغيظُ المُحنَقُ
فالنّضر أقربُ مَن تركتَ قرابةً   وأحقُّهم إن كان عتقٌ يُعتـــــــقُ

و قال خلفٌ: لم أرَ اجمعَ من بيت أمريء القيس:

افادَ وجادَ وسادَ فزادَ   و قادَ و دادَ وعادَ فأفضلْ

وجرى على طريقة أمريء القيس هذه أبو العميثل الأعرابي ثم المتنبئ[2]

قال جرير يعاتب المهاجر بن عبد الله الكلابي:

يا قيسَ عَيلانَ إنّي قد نَصبتُ لكمْ   بالمَنْجنيقِ ولمَّا أرُسِلِ الحَجرا

قال: فوثب المهاجرُ فأخذ بحَقوه وقال: لك العُتبى يا أبا حَزْرة لا ترسِله) [3] .

و قد خاف المهاجري من أن ينشر هذا الشعر فوثب لإرضائه.

و قال أبو عثمان (كان الشّاعر أرفعَ قدراً من الخطيب،وهم إليه أحوج، لردِّه مآثرهم عليهم وتذكيرهم بأيّامهم، فلما كثُر الشُّعراء و كثُر الشّعر صارَ الخطيبُ أعظَمَ قدراً من الشّاعر)[1]. و كان الشاعر يمثل الناطق الرسمي باسم القبيلة فإذا نبغ في القبيلة شاعرٌ جاءت القبائل تهنئها بذلك . و زعم أبو عمرو بن

[1]-المرجع السابق ص٤٣
[2]-المرجع السابق ص٥٣
[3]-المرجع السابق ج٤ ص٦٦
[1] البيان والتبيين : ج٤ ص (٨٤)

العلاء أن الشعر فتح بامرئ القيس و ختم بذي الرمة

٤-المطبوعون من المولَّدين:

تناول الجاحظ المطبوعين من الشعراء المولّدين وعند النقاد ، وفاضل بينهم في الطبع، وعين أطبعهم في نظره.

وفي ذلك يقول: (والمطبوعون على الشّعر من المولَّدين بشارٌ العُقيليّ، والسّيِّد الحِميريّ وأبو العتاهية ، وابن عُيَيْنة . وقد ذكر الناسُ في هذا الباب يَحي بن نوفلٍ ، وسلماً الخاسرَ ، وخَلَفَ بن خليفة . وابانُ بن عبد الحميدِ اللاحقيُّ أولى بالطّبع من هؤلاء ، وبشارٌ أطبَعُهم كلِّهم)[٢].

ولكن الجاحظ انتقد بشاراً وأخذ عليه مناظرته لحماد عجرد في الشعر ، فقال (وما كان ينبغي لبشّارٍ أن يناظر حمّاداً من جهة الشّعر وما يتعلقُ بالشّعر ، لأن حمّـــاداً في الحضيض ، وبشّاراً مع العَيُّوق . وليس في الارض مولّد قَرَوي يُعَدُّ شعرهُ في المحدث إلاّ وبشّارٌ أشعرُ منه)[١].

٥-قضية السرقات الشعرية:

السرقات الشعرية هي أن شاعراً أخذ شعر شاعر ، لفظـــاً أو معنـــى ، أو أغار على بعض شعره ونسبه لنفسه.

ولفظ السرقة في الأدب العربي لا يقف عند حد الأخذ والإغارة أو الاعتداء على أدب الأخرين وإنما تتجاوز السرقة ذلك إلي أمور أخرى كالتضمين والاقتباس والتحوير والمحاكاة وعكس المعنى إلي غير ذلك . فالآمدي يعدها من مساويء الشعراء والجرجاني يرى أنها داء قديم وعيب عتيق وما زال الشاعر يستعين بخاطر الأخر ويستمد من قريحته ويعتمد على معناه ولفظه)[٤] .أما ابن رشيق فقال: (وهذا باب متسع جداً لم يعذر أحدٌ من الشعراء)[٥]. أما ابن سلام فهو أول من تحدث عن سرقات الجاهلية [٦]

---

[٢] البيان والتبيين: ج١ ص ٥٠

[١]-الحيوان ج٤-ص٤٥٣-٤٥٤

[٤] الوساطة : الجرجاني ص٢١٤

[٥] العمدة :ص١٣٣٥

[٦] طبقات فحول الشعراء ص ٧٣٣ – ٧٣٤

السرقات الشعرية عند الجاحظ:

وحديث الجاحظ في قضية (اللفظ والمعنى) قاده إلى الكلام عن مشكلة (السرقات الشعرية) أو مشكلة (أخذ الشعراء بعضهم معاني بعض) على حد تسميته.

وفي ذلك قال: (ولا يعلم في الأرض شاعر تَقَدَّمَ في تشبيهٍ مُصيبٍ تامّ، وفي معنًى غريبٍ عجيب، أو في معنًى شريف كريم، أو في بديعٍ مُخترع، إلاّ وكلُّ مَنْ جاءَ من الشُعَراءِ منْ بَعدِه أو معه، إنْ هو لم يعدُ على لفظه فيسرقَ بعضه أو يدعِيَه بأسْره، فإنّه لا يَدعُ أن يستعينَ بالمعنى، ويجعلَ نفسه شريكاً فيه؛ كالمعنى الذي تتنازعُه الشعراءُ فتختلف ألفاظهم، وأعاريضُ أشعارهِمْ، ولايكونُ أحدٌ منهم أحقَّ بذلك المعنى من صاحبه، أو لعلّه أن يجحد أنّه سمع بذلك المعنى قَطُّ، وقال إنَّه خطرَ على بالي من غير سماع، كما خطَر على بال الأوّل، هذا إذا قرَّعُوه به، إلاَّ ما كان من عنترة في صفةِ الذباب؛ فإنه وصفَه فأجاد صفته فتحامى معناهُ جميعُ الشعراء فلم يعرضْ له أحدٌ منهم، ولقد عَرضَ له بعضُ المحدَثين ممن كان يحسِّنُ القَول، فبلغ من استكراهه لذلك المعنى، ومن اضطرابه فيه، أنّه صار دليلاً على سوء طبعه في الشعر، قال عنترة:

جادَتْ عليها كلُّ عينٍ ثَرَّةٍ فَتَركْنَ كلَّ حَدِيقةٍ كالدِّرْهم
فترى الذُّبابَ بها يغنِّي وحْدَه هَزِجاً كفِعْل الشَّاربِ المترنِّم
غَرداً يُحكُّ ذِراعَه بذِرَاعهِ فِعْلَ المكبِّ على الزِّنَادِ الأجذم

قال: يريد فعل الأقْطعِ المكبِّ على الزِّناد، والأجذم: المقطوع اليدين، فوصف الذّباب إذا كان واقعاً ثمَّ حكّ إحدى يديه بالأخرى، فشبَّهَهُ عند ذلك برجلٍ مقطوع اليدين، يقدَحُ بعودين، ومتى سقط الذُّبابُ فهو يفعل ذلك. ولم أسمع في هذا المعنى بشعر أرضاه غير شِعر عنترة.

فالجاحظ عرّف السرقات الشعرية بأنها (أخذ الشعراء بعضهم معاني بعض) ثم قرر أنها لا تكون في مطلق معنى ، وإنما تكون في المعنى الغريب العجيب ، أو في المعنى الشريف الكريم، أو في المعنى البديع المخترع.

كما قال بأنها تكون بأخذ معاصر من معاصر ، أو بأخذ متأخر من متقدم ، وأن الأخذ قد يكون بسرقة بعض الألفاظ أو إدعائه بأسره ، وأن المعاني المشتركة مع اختلاف الألفاظ والأوزان يصعب فيها تحديد الآخذ والمأخوذ منه، لدعوى كل شاعر بأن المعنى خطر على باله من غير سماع، وأن المعنى الذي يتحاماه الشعراء هو المعنى البديع المخترع لصعوبة إخفائه أو الارتفاع في التعبير عن مستوى مخترعه.

ولا شك أن الجاحظ كان من أوائل من تطرق لقضية (السرقات الشعرية) وسار على دربه النقاد ونوعوها أنواعاً ولقبوها ألقاباً غريبة ، كالإغارة ، والنصب ، والاختلاس ، والانتحال ، والاتلاب ، والاستلحاق ، والاهتدام ، والمرافدة.

٦-مطابقة الكلام لمقتضى الحال:

ومطابقة الكلام لمقتضى الحال أصل من الأصول البلاغية والنقدية وقد كان ولايزال ينظر إليه من البلاغيين والنقاد كمقياس من مقاييس البلاغة والنقد وبمقدار تحققه في الكلام يكون حظه من البلاغة والإصابة.

والجاحظ من أوائل من لاحظوا هذا الأصل كقيمة بلاغية نقدية ، ولهذا أكثر من الإشارة إليه والتاكيد عليه، كقوله (حقُّ المعنى أن يكون الاسم له طِبقاً ، وتلك الحال له وَفْقاً ٠٠٠ ومدارُ الأمر على إفهام كلِّ قومٍ بقدر طاقتهم).

ومن مطابقة الكلام لمقتضى الحال وجوب تحري الموضوع أو الغرض المتحدث عنه واختيار ما يلائمه ويناسبه من الألفاظ ، وفي ذلك يقول (ولكل ضرب من الحديث ضرب من اللفظ، ولكل نوع من المعاني نوع من الأسماء:

فالسخيف للسخيف، والخفيف للخفيف، والجزل للجزل، والافصاحُ في موضع الإفصاح ، والكنايةُ في موضع الكناية ، والاسترسال فى موضع الاسترسال)[١]،

وإذا كان للموضوع المتحدث عنه ألفاظ خاصة به ، فإن مطابقة الكلام لمثل هذا الموضوع تتطلب عدم استعمال هذه الألفاظ إلاّ فيه ، وعن ذلك قال (فإن كان الخطيبُ متكلّماً تجنَّبَ ألفاظ المتكلِّمين، كما انّه إنْ عبّر عن شيء من صناعةِ الكلام واصفاً أو مجيباً أو سائلاً، كان أولى الألفاظ به ألفاظ المتكلّمين ، إذ كانوا

---

[١] كتاب الحيوان: ج٣ ص٣٩

لتلك العبارات أفهَمَ ، وإلي تلك الألفاظ أميل، وإليها أحنَّ وبها أشغَف) [٢] . ولهذا أقرّ (ولكل مقام مقال ولكل صناعة شكل)

وأقرّ الجاحظ أن الألفاظ الخاصة بموضوع أو علم معين قد تحسن أو تقبل في الشّعر على وجه التظرّف والتملُّح ، كقول أبي نواس مستعملاً بعضَ ألفاظ المتكلمين:

يا عاقدَ القلبِ منِّي * هَلا تذكرتَ حَــلا؟
تركتَ مِنِّي قليلاً * من القليل أقـــــــلاّ
يكاد لا يتجــزَّا * أقلُّ في اللفظ من "لا" [٣]

وقد ذهب الجاحظ في سبيل مطابقة الكلام لمقتضى الحال إلى حدٍ جعله يدعو إلي اللحن ومجانبة الإعراب إذا اقتضى المقامُ ذلك .وقد أشار إليه في أكثر من مرة. فمرة يقول (إن الإعراب يُفسِد نوادرَ المولّدين ، كما أن اللحنَ يُفسِد كلامَ الأعراب، لأن سامع ذلك الكلام إنّما أعجبته تلك الصورةُ وذلك المخرجُ، وتلك اللغةُ ، وتلك العادةُ ، فإذا دَخّلْتَ على هذا الأمر الذي إنما أضحكك بسُخْفه وبعضِ كلامِ العَجَميَّة- حروفَ الإعراب والتحقيق والتثقيلِ ، وحوّلتَه إلي صورةِ ألفاظِ الأعراب الفصحاء وأهل المروءة والنَّجابة ، انقلب المعنى مع انقلاب لفظه ، وتبدّلتْ صورتُه) [١].

ومرة ثانية قال (وإذا كان موضعُ الحديث على أنه مُضحِكٌ ومُلهٍ وداخل في باب المزاح و الطيّب ، فاستعملتَ فيه الإعراب ، انقلب عن جهته وإن كان في لفظه سُخْف وأبدلتَ السخافة بالجزالة صار الحديث الذي وُضِع على أن يَسُر النفسَ يَكربُها ، ويأخذ بأكظامها)[٢].

ومرة ثالثة قال (ومتى سمعتَ – حفِظك الله – بنادرةٍ من كلام الأعراب فإياك أن تحكيها إلا مع إعرابها ومخارجِ ألفاظها، فإنَّك إن غيَّرتَها بأن تلحَنَ في

---

[٢] لبيان والتبيين : ج١ ص١٣٩

[٣] المرجع نفسه : ج١ ص١٤١

[١] كتاب الحيوان : ج١ ص٢٨٢

[٢] كتاب الحيوان: ج٣ ص٣٩، ويكرب النفس : يحزنها ويغمها ، والاكظام بالتحريك: مخرج النفس من الحلق ، وياخذ باكظامهـا : اي بمخارج انفاسها

إعرابها وأخرجتَها مخارجَ المولّدين والبلديِّين ، خرجتَ من تلك الحكايةِ وعليك فضلٌ كبير . وكذلك إذا سمِعتَ بنادرةٍ من نوادر العوامّ ومُلحة من مُلَح الحُشوَة والطَّغام ، فإياك وأن تستعمِلَ فيها الإعراب، أو تتخيَّر لها لفظاً حسناً، أو تجعل لها مِن فيك مخرجاً سَرِيَّاً ، فإنّ ذلك يفسد الإمتاع بها ، ويُخرجها مِن صورتها ، ومن الذي أُرِيدَت له ، ويُذهب استطابَتهم إياها واستملاحَهم لها) [٣] .

وجدير بنا ان نذكر حقيقتين : الاولى ان ما اورده هنا ليس مقصوراً على موضوع النوادر والمُلح ، فقد ذكرها على سبيل المثال ، وإنما القصد العام عنده هو ضرورة رعاية المطابقة بين الكلام ومواضعه.

والحقيقة الثانية أن ما ذكره عن لغة النادرة والحكاية إنما هو من وحيِ تجربته الذاتية، لأنه من أصحاب الأسلوب الساخر وصُنّاع الفكاهة في الأدب العربي . فهو أدرى من غيره بالخصائص الأسلوبية التي تتطلبها طبيعة النادرة أو الطُرفة الأدبية ، لتُعطي أقصى ما تملك من إمتاع وإضحاك.

٧-فصاحة الكلمة وفصاحة الكلام:

ومن القضايا البلاغية و النقدية التي عرض لها الجاحظُ (فصاحةُ الكلمة وفصاحةُ الكلام) .فالجاحظ اشترط في فصاحة (الكلمة) سلامتَها من تنافر الحروف، وهو يرى أن تجاورَ الحروف المتنافرة في الكلمة يؤدِّي إلي تعثُّر اللِسان في النطق بها، وهذا مما يقلِّل من درجة فصاحتَها. وتجنبُ التنافر يكون بملاحظة الحروف التي لاتتجاور والتفرقة بينهما حتى يَسهل النطقُ بها. قال (ومن ألفاظ العرب ألفاظٌ تتنافر ، وإن كانت مجموعةً في بيت شعرٍ لم يستطع المنشدُ إنشادَها إلاّ ببعض الاستكراه ، فمن ذلك قول الشاعر:

وقبرُ حربٍ بمكان قفرُ * وليس قربَ قبرِ حربٍ قبرُ

ومن ذلك قول ابن سيرين:

لم يَضِرْها والحمدُ لله شيٌء * وانثنت نحو عَزْفِ نفس ذَهولِ

---

[٣] البيان والتبيين : ج١ ص١٤٥ ، والحشوة من الناس : وذالتهم ، والطعام هنا اراذل الناس واغادرهم.

فانه يعلق عليه بقوله (تفقد النصفَ الأخيرَ من هذا البيت ، فإنك ستجد بعضَ ألفاظه يتبرأ من بعض)[1] .وكذلك يرى أن الشعرُ إذا كان مستكرَهاً، وكانت ألفاظُ البيت من الشِّعر لا يقع بعضُها مماثلاً لبعض ، كان بينهما من التَّنافُر ما بين أولاد العَلَّات*.وإذا كانت الكلمةُ ليس موقعُها إلي جنب أُختها مَرْضِيَّاً موافقاً ، كان على اللِّسان عند إنشاد ذلك الشعر مَؤُونة. وقال:وأجودُ الشِّعر ما رأيَته متلاحم الأجزاء ، سهلَ المخارج ، فتعلمُ بذلك أنه قد أُفرغ إفراغاً واحداً ، وسُبِك سبكاً واحداً ، فهو يجري على اللِّسان كما يجري على الدِّهان).

فقد اورد قول ابي البيداء الرياحي:

وشعرٍ كبعر الكَبْش فرَّق بيَنه * لسانُ دَعِيٌّ في القريضِ دخيلِ

ثم علق عليه بقوله (وأما قوله "كبعر الكبش" فإنما ذهب الي أنَّ بعرَ الكبشِ يقع متفرقاً غير مؤتلفٍ ولا متجاور. وكذلك حروف الكلام وأجزاءُ البيتِ من الشِّعر ، تراها متَّفقة مُلْساً وليِّنة المعاطف سهلة ، وتراها مختلفة متباينة ، ومتنافرة مستكرهه ، تشقُّ على اللسان وتكُدُّه ، والأخرى تراها سهلةً ليّنة ، ورَطْبة مُتَواتيه ، سِلِسةَ النِّظام ، خفيفةً على اللِّسان ، حتى كأنّ البيتَ بأسرهِ كلمةٌ واحدة ، وحتّى كأن الكلمةَ بأسرها حرفٌ واحد)[1].

ومن فصاحة الكلمة عند الجاحظ أيضاً أن تكون مألوفةً غيرَ غريبة . فالفأفأ' والقَرقرةُ من الألفاظ الغريبة المستهجَنة، والمُغربُون: قوم مَدخلون في عقولهم إذا كانوا من غير الأعراب.

فكلام مثل رسالة يحيى بن عمير النحوي على لسان يزيد بن المهلب التي يقول فيها (إنّا لقِينا العدُوّ فقتلنا طائفةً وأسرنا طائفة ولحقَتْ طائفةٌ بعَراعِر الأودية، وأهضام الغِيطان ، وبتنا بعُرعُرة الجبل ، وبات العدُوُّ بحضيضة.)[2]. أبعد ما يكون عن الفصاحة . وفي التعليق عليه قال الجاحظ (فإن كانوا إنَّما روَوا هذا الكلام لأنَّه يدلُّ على فصاحةٍ فقد باعده الله من صفة البلاغة والفصاحة ، وإن

[1]- البيان والتبين ج ١ ص(٦٥-٦٧)
*العلة و العلات:ابناء الرجل الواحد من امهات شتى
[1]-البيان والتبين ج١ ص٦٥-٦٧
[2]- المرجع السابق ص-٣٧٧

كانوا إنّما دوَّنوه في الكتب، وتذاكروه في المجالس لأنّه غريب ، فأبياتٌ من شعر العجّاج وشعر الطِّرِمّاح وأشعارِ هُذيل ، تأتِي لهم مع حُسن الرَّصف على أكثر من ذلك.) [1] ، وقال أبو عثمان :(حدثني أبو سعيد عبدُ الكريم بن رَوح قال: قال أهل مكّةَ لمحمد بن المُناذِر الشاعر :ليست لكم معاشرَ أهل البصرة لغةٌ فصيحة، إنّما الفصاحة لنا أهل مكّة. فقال ابن المُناذِر :أمّا ألفاظُنا فأحْكَى الألفاظ للقرآن، وأكثرُها موافقةً فضَعُوا القرآن بعد هذا حيثُ شِئتم .انتم تُسمُّون القِدر بُرْمَة وتجمعون البُرمة على بِرامٍ ونحن نقول قِدر ونجمعها على قُدور)[2]. و أورد قوله تعالى :(و جِفَان كالجَوَابِي وقُدورٍ رَاسِياتٍ)[3] و الجَوابِي وهي قراءة ورش وأبي عمرو في الوصل ،أما باقي القراءات (كالجوابِ).وقال :انتم تسمُّون البيت إذا كان فوق البيت عُليّةً ،وتجمعون هذا علي عَلالِيّ ،ونحن نسمِّيه غُرفة ونجمعها علي غُرفاتٍ وغُرفٍ، قال تعالي :(غُرفٌ مِنْ فُوقِها غُرفٌ مَبنِيةٌ)[4]. وانتم تسمُّون الطّلْعَ الكافورَ والإغريضَ ،ونحن نُسمُّيه الطَّلعْ قال تعالي : (ونَخْلٍ طَلْعُها هَضِيمٌ)٣. قال أبو عمرو :قال:أبو سعيد عبدُ الكريم بن رَوح فعَدّ محمد بن المُناذِر عشرة كلماتٍ لم أحفظ أنا منها إلا هذا)٤. قال أبو عثمان (وقد يستخفُّ الناسُ ألفاظاً ويستعملونها وغيرُها أحقُّ بذلك منها)٥. كما ذكر أبو عثمان أن الناس لا يفصلون بين ذكر المطر وبين ذِكر الغَيث ، لأنك لا تجد القرآن يلفظِ به إلاّ في موضع الانتقام .

قال أبو عثمان :(و العامّة ربمّا استخفت أقلَّ اللغتين و اضعفَهما ،وتستعمل ما هو أقلُّ في أصل اللغة استعمالاً وتدَعُ ما هو أظهر وأكثر، ولذلك صِرنا نجد البيت من الشعر قد سار ولم ْيسر ما هو أجودُ منه وكذلك المَثل السّائر)٦. و في االقرآن معان لا تكاد تفترق مثل الصلاةِ و الزّكاة ،والجوعِ والخوف ،والجنة

---

[1]-المرجع السابق ص-٣٧٨
٤-المرجع السابق ج١ ص -١٨
[3]-سورة سبا الايه ١٣
[4]-سورة الزمر الايه ٢٠
٣- سورة الشعراء الاية (١٤٨) .
٤- البيان و التبيين ج١ (ص١٩).
٥- المرجع السابق (ص ٢٠).
٦- المرجع السابق (ص ٢٠).
٥- المرجع السابق (ص ٢١).

والنار ،والرّغبة و الرهبة ،و المهاجرين والأنصار ،والجنّ والإنس.
وأورد الجاحظ قول الشاعر فى واصل بن عطاء :

ويجعل البُرّ قمحاً في تصرّفه وجانَبَ الراءَ حتى احتال للشعرِ
ولم يُطِق مطَراً والقول يُعجِلُه فعاذَ الغيث إشفاقاً من المطَرِ

و ذكر المحقق أن من أسماء الشعر مما ليس فيه الراء السبَد و الهلُب و المسيحة وجمعها مسائح والجمة ما طال من الشعر واللمة ما ذاد عن الجمة والخُصلة ما اجتمع من الشعر)[1] . و قال أبو عثمان كيف كان واصل يصنع في العدد، وكيف كان يصنع بعشرةٍ وعشرين وأربعين وكيف يصنع بالقَمر والبدر يوم الأربعاء وشهر رمضان وكيف كان يصنع بالمحرم وصفر وربيع الأول والأخِر و جمادى الآخر ورجب ؟ فقال: ما لي فيه قولٌ إلا ما قال صفوان :

ملقّن ملهَمٌ فيما يحاوله جَمّ خواطرُه جوّابُ أفاقِ

و قال صفوان يهجو بشاراً :

أتجعل ليلَى النّاعِظية نِحـــــلةً وكلُّ عريقٍ في التناسُخِ والرّدِّ
عليك بدَعدٍ و الصّدوف وفضرتَّي وحاضِنَتَي كِسفٍ وذا ملتَي هِندِ
تُواثِب أقماراً وأنت مُشـــــوّةٌ و أقربُ خلِقِ الله من شبَه القِردِ

ولذلك قال فيه حماد عجرد:

يا أقبحَ مِن قـــــردٍ إذا ما عَمِيَ القِــــــــردُ

قال أبو عثمان (انه لم يجزعْ بشار من شيء قطٌّ جزعَه من هذا البيت)[2]

والجاحظ الذي فهم الناس كلامه على غير ما أراد ثم لعب على هذا المفهوم المغلوط الذي لم يكن لأبي عثمان يد فيه ودورٌ في توجيه الاهتمام الأدبي نحو مقاييس أدبية ضارة ، وجعله محور الاهتمام وموطن الفضل وأنصفته نظرية عبد القاهر التى حاولت أن توجه آراءه التوجيه السديد الذي أراده الجاحظ رداً على من اتهمه بأنه أهمل شرح المعاني وقال عنه: (إنّها مطروحة في الطريق يعرفها العجمي والعربي) . فأي معانٍ هذه التي يتحدث عنها الجاحظ إن ابا عثمان كما

---

[1]-البيان والتبين ج١ ص٢١
[2]-المرجع السابق ص٣٠

فهم عنه الجرجاني يميز بين لونين من ألوان المعاني. الأول هو (المعاني الغُفل) أو الصورة العامة للمعنى والثاني التي برزت في غالب النظم وفي معرض التاليف والتركيب .

فاللون الأول فهو الذي لا قيمة له وهو المطروح في الطريق ويعرفه الناس العربي منهم والعجمي والقروي والبدوي وهذا اللون من المعنى يشبه في معرض المقارنة بين عمل الأديب وعمل الصائغ فالمادة الأولية للسوار أو الخاتم في متناول أيدي الناس جميعاً وإنّما تكتسب القيمة عندما تُصاغ على شكل معين كالسوار أو الخاتم . كذا شأن المعاني ، فهي لا قيمة لها ، ولا يقع منها تمايز أو فضل ما دامت لم تدخل في حيزِ التركيب أو الصياغة فهو في هذه المشابهة التي عقدها بين العملية الأدبية وعملية صياغة الحُلي والجواهر ، يحس بما يتميز به العمل الأدبي من فنية وتقنية عاليتين من ناحية وما يلوح فيه من اتحاد وذوبان بين شكله ومضمونه . يقول عبد القاهر : (معلوم أن سبيل الكلام سبيل التصوير والصياغة ، أن سبيل المعنى الذي لا يغير عنه سبيل الشيء الذي يقع التصوير والصوغ فيه ، كالفضة والذهب ، يصاغ منهما خاتم أو سوار ، فكما أن محالاً إذا أنت أردت النظر فيه صوغ الخاتم وفي جودة العمل ورداءته أن تنظر إلي الفضة الحاملة لتلك الصورة أو الذهب الذي وقع فيه العمل وتلك الصنعة وكذلك محالاً إذا أردت أن تعرف مكان الفضل والمزية في الكلام أن تنظر في مجرد معناها٠٠٠وكذلك ينبغي إذا فضلنا بيتاً على بيت من أجل معناه ألا يكون تفضيلاً له من حيثُ هو شعر وكلام وهذا قاطع ما عرفه) .

فهذا الكلام وأمثاله يُبين رأي الجاحظ في الغريب وأهله، والتكلّف وأصحابه. وفي ذلك (وكما لا ينبغي أن يكون اللفظ عامياً وساقطاً سوقياً ، فكذلك لا ينبغي أن يكون غريباً وحشياً ، إلا أن يكون المتكلم بدوياً أعرابياً ، فإن الوحشي من الكلام يفهمه الوحشي من الناس، كما يفهم السوقي رطانة السوقي) ففصاحة الكلمة في رأيه هي في أصوات حروفها لا تنافرها، حتى لكأن الكلمة بأسرها حرف واحد. وفصاحة الكلام هي في بعده عن الغرابة ، وفي تلاحم أجزائه

وائتلاف ألفاظه ، حتى كان الكلام بأسره من حُسن الجوار وشدة التلاحم كلمة واحدة.

٨-مفهوم البيان عند الجاحظ:

اهتم الجاحظ اهتماماً بالبيان العربي في كل ما كتب ، حتى لنراه قد أفرد له كتاباً خاصاً هو (البيان والتبيين) وتطرق له في بعض كتبه الأخرى. وفيما يلي خلاصة لمعنى البيان ومفهومه عند الجاحظ ، وكذلك لأهم مباحثه التي ألمَّ بها.

معنى البيان:ورد كثيراً عند الجاحظ بمعناه اللغوي العام هو (الفهم والإفهام) . وفي هذا الوجه من أوجه معاني (البيان) قال (لأن مدَارَ الأمرِ والغايةَ التي إليها يجرِى القائل والسّامع إنَّما هو الفَهْمُ والافهام ، فبأيِّ شيءٍ بلغتَ الإفهامَ وأوضَحْتَ عن المعنى فذلك هو البيانُ في ذلك الموضع)[1].

وياتي(البيان) بمعنى (البرهان) وذلك في قوله عن القرآن : إن ناساً طعنوا فيه (بغير علم ولا بيان)، وفي إيراده البيان والبرهان مترادفين في قوله (سأُوضح ذلك بالبرهان القاطع والبيان الساحر).

وياتي بمعنى (البلاغة) حين يضع البيان مرادفاً لها ، ويذكر ما في البلاغة المشوبة بالتكلف والبيان الممزوج بالتعمل ، من لائمة ومذمة . ويظهر هذا المعنى في قوله عند تكلمه على صناعة البلاغة وكتب الأعاجم فيها فمن قرأ هذه الكتب وعرف غور تلك العقول وغرائب تلك الحكم ، عرف أين البيان والبلاغة ، وأين تكاملت تلك الصناعة)[2]

واستعمل (البيان) أيضاً بمعنى روعة التعبير وقدرة صاحبه على نصرة رأيه بالحق وبالباطل، مستشهداً على ذلك بقول مالك بن دينار(ربَّما سمعتُ الحجّاج يخطب ، يذكُر ما صنع به أهلُ العراق وما صنَع بهم ، فيقع في نفسي أنّهم يظلمونه ، وأنّه صادقٌ لبيانه وحسن تخلُّصه بالحجج)[1].

---

[1] البيان والتبيين: ج١ ص٧٦

[2] المرجع نفسه: ج ١ انظر ص١٠٦

[1]- البيان والتبين : ج١ ص ٣٩٥

خلاصة القول إن الجاحظ لم يثبت على تعريف واحد للبيان:

فمرة يعرفه تعريفاً عاماً بقوله (والبيان اسمٌ جامعٌ لكلِّ شيءٍ كشَفَ لك قِناعَ المعنى ، وهتَكَ الحِجاب دونَ الضمير حتّى يُفضِيَ السّامعُ إلي حقيقته ، ويَهجُم على محصولِهِ كائناً ما كان ذلك البيانُ، ومن أيِّ جنسٍ كان الدّليل)[٢] .

ومرة اخرى يعرفه بقوله (والدِّلالة الظّاهرةُ على المعنى الخفيِّ هو البيانُ الذي سمِعتَ الله عزّ وجلّ يمدحُه ، ويدعو إليه ويحثُّ عليه . بذلك نَطَقَ القُرآنُ ، وبذلك تفاخَرتَ العَرب ، وتفاضَلَتْ أصنافُ العَجَم)[٣].

ولكى نوضح هذا التعريف نقف على قوله إن جهابذة الألفاظ ونقاد المعاني من أن المعاني القائمة في صدور النّاس المتصورة في أذهانهم ، والمتخلِّجة في نفوسهم ، والمتَّصِلة بخواطرهم ، والحادثة عند فِكَرهم ، مستورةٌ خفيّة ، وبعيدةٌ وحشية ومحجوبةٌ مكنونة.

وإنما يُحي تلك المعانيَ ذكرُهم لها ، وإخبارُهم عنها ، واستعمالُهم إيّاها. وهذه الخصالُ هي التي تقربها من الفهم، وتُجلِّيها للعقل، وتجعل الخفيِّ منها ظاهراً، والغائبَ شاهداً ، والبعيدَ قريباً ٠٠٠ والمجهولَ معروفاً،والوحشي مألوفاً .

وعنده أن عالم المعاني أوسع من أن تحيط به الألفاظ والأسماء . وفي ذلك قال (ثم اعلم– حفِظَكَ الله– أنّ حُكمَ المعاني خلافُ حُكمِ الألفاظ ، لأن المعانِيَ مبسوطةٌ إلي غير غاية ، وممتدّةٌ إلي غير نهاية وأسماءَ المعاني مقصورةٌ ،معدودة،ومحصّلةٌ، محدودة)[١]

ثم يستطرد الجاحظ إلي بيان أصناف الدلالات على المعنى فقال (وجميعُ أصنافِ الدِّلالات على المعاني من لفظ وغير لفظ خمسة أشياءَ لا تنقُص ولا تَزيد : أولها اللفظ ، ثم الإشارة ، ثمَّ العَقدة ، ثمَّ الخَطّ ، ثمَّ الحالُ التي تسمّى نِصبةً . والنِّصبة هي الحال الدالةُ التي تقوم مقامَ تلك الأصنافِ ، ولا تقصِّرُ عن تلك الدِّلالات . ولكلِّ واحدٍ من هذه الخمسة صورة بائِنةٌ من صورةِ صاحبتها ، وحليةٌ

---

[٢]- المرجع السابق: ج١ ص ٧٦

[٣]- المرجع السابق: ج١ ص ٧٥

[١] البيان والتبيين: ج١ ص ٧٦

مخالفةٌ لحِلية أُختها، وهي التي تكشِف لك عن أعيان المعاني في الجملة، ثمَّ عن حقائقها في التَّفسير ، وعن أجناسها وأقدارها ، وعن خاصّها وعامِّها ، وعن طبقاتها في السارّ والضارّ، وعمّا يكون منها لَغْواً بَهْرَجاً ، وساقطاً مُطَّرّحاً)[٢]

ذلك مجمل رأي الجاحظ في تعريف (البيان) وفي حُكمِ المعاني وحُكم الألفاظ، وفي أصناف الدلالات على المعاني من لفظ وغير لفظ. و أن من جاء بعده من علماءِ الشِّعر والنقد قد استفادوا من آرائه هذه في مناهجهم النقدية.

قضايا البيان:

كانت لفظة (البيان) إلي عصر الجاحظ تستعمل بمفهومها العام الذي يتسع فيشمل كل ما له اتصال بفن القول على اختلاف صوره من شعر ونثر ، كما شمل البحث في المسائل البلاغية .

فلفظة البيان قبل الجاحظ كانت تطلق ويراد بها أحياناً الفصاحة أو البلاغة أو الخطابة أو البديع ، وتحت مظلة لفظة (البيان) كانت تبحث قضايا البلاغة الجزئية .

فالجاحظً عَدَّ من قضايا (البيان) تنافر الحروف وتنافر الألفاظ وقبح استعمال الغريب واستعمال بعض الألفاظ في غيرِ موضعها ، ووجوب التناسب بين اللفظ والمعنى في الشرفِ والسخفِ .

وتناول الجاحظ بعض مباحث (البيان) بالمعنى الاصطلاحي من تشبيه ومجاز واستعارة وكناية أطلق عليها (اسم البديع) كأن يقول ((ومن الخطباء الشعراء ممن كان يجمع الخَطابةَ والشِّعرَ الجيّدَ والرسائلَ الفاخرة مع البيان الحسن: كلثوم بن عمرو العَتَّابيّ ، وكنيته أبو عمرو، وعلى ألفاظِه وحَذْوه ومثاله في البديعِ يقولُ جميعُ من يتكلَّف مِثلَ ذلك من شعراء المولَّدين ، كنحو منصورٍ النَّمَري ، ومسلم بن الوليد الأنصاريّ وأشباهِهما.وكان العتابيُّ يحتذِى حَذْوَ بشَّار في البديع ، ولم يكن في المولَّدين أصوبُ بديعاً من بشَّارٍ وابن هَرمْه))[١] .

---

[٢] المرجع نفسه : ج١ ص ٧٦

[١] البيان والتبيين : ج١ ص ٥١

وكان يقول أيضاً ((والبديع مقصورٌ على العرب، ومن أجله فاقت لُغَتُهم كلَّ لغة،وأربَتْ على كلِّ لسان . والرَّاعِى كثير البديع في شعره ، وبشَّارٌ حسن البديع، والعتَّابيّ يذهب في شعرِه في البديع مذهبَ بشَّار))[٢]

والجاحظ طريقته في كلِّ ما يَعرض له من شؤون البلاغة والبيان والنقد لا يتكلم فيها مباشرة ، وإنّما يتناول بيانها أو البرهنة عليها أن يتطرق إلي جوانب من البلاغة أو البيان أو النقد.

هذه ناحية وناحية أخرى في حديثه عن بعض عناصر البيان أوالنقد في معرض الشرح أو الاستدلال على موضوع معين لا يصبَّها صباً كما فعل الذين جاءوا من بعده من رجال النقد والبلاغة في قوالب التعريفات والتحديات ، وإنما هو يسوقها في نماذج ونصوص من بليغ الحديث نثراً أو شعراً، مع شرح بعضها أحياناً أو التعليق عليها.

٩-رأي الجاحظ في صناعة الشعر.

يرى الجاحظ أن الشعر (صناعة) مما يدل على أنه يُؤثر اللفظَ على المعنى ، وقدر الشعر وقاسه بمقياس جودة الأسلوب وصحة الطبع.

نجد ذلك فى قوله ((وذهب الشيخ – أبو عمرو الشيباني – إلي استحسان المعنى، والمعاني مطروحة في الطريق يعرفها العجميُّ والعربيُّ ، والبدويَّ والقَرَوِيُّ والمدنيُّ. وإنما الشأن في إقامة الوزن وتخيرِ اللفظ، وسهولة المَخرج ، وكثرةِ الماء وفي صحة الطبع وجودة السبك ، فإنما الشعرُ صناعةٌ، وضربٌ من النسج ، وجنسٌ من التصوير))[١]

١٠-رأيه في الشعر الوسط:

لم يثبُت الجاحظ على رأي واحد بالنسبة للشعر الوسط، فهو في مرة يؤثره وفى مرة يذمه وقد جاء إيثاره للشعرِ الوسط في تعقيبه على موعظة لبعض الربانيين *من الأدباء وأهل المعرفة من البلغاء ممن يكره التشادق والتعمق

[٢] المرجع نفسه: ج٤ ص ٥٥ -٥٦

[١] كتاب الحيوان: ج٣ ص ١٣٢

*الرباني: العالم الراسخ العلم ، او العالم العامل المعلم

ويبغض الإغراق في القول ، والتكلف و الاجتلاب* ويعرف أكثر أدواءِ الكلام ودوائِه ، وما يصيب المتكلم من الفتنة بحسن ما يقول ، وما يصيب السامع من الافتتان بما سمع.

وهذه موعظة الرباني في الأديب البليغ، قال: ((أُنذِرُكم حُسنَ الألفاظ ، وحلاوةَ مخارج الكلام، فإنَّ المعنى إذا اكتسى لفظاً حسناً وأعارة البليغُ مَخرجاً سهلاً، ومنحه المتكلم دَلاًّ مُتَعشَّقاً، صار في قلبك أحلى ، ولصدرك أمْلا. والمعاني إذا كُسِيت الألفاظ الكريمة، وألبست الأوصافَ الرفيعة تحوَّلت في العيون عن مقادير صُوَرها ، وأرْبَتُ على حقائق أقدارها ، بقدرِ ما زُيِّنت ، وحَسَبِ ما زُخرِفت. فقد صارت الألفاظ في معاني المعارض* وصارت المعاني في معنى الجوارى))[1].

وقد عقب الجاحظ على هذه الموعظة بقوله ((فالقصد في ذلك أن تجنب السوقيَّ والوحشيّ لا تجعلَ همَّك في تهذيب الألفاظ، وشغلَك في التخلُّص إلي غرائب المعاني. وفي الاقتصاد بلاغٌ ، وفي التوسُّط مجانبةٌ للوُعورة ، وخروجٌ من سبيلِ من لا يحاسب نفسَه. وقد قال الشاعر:

عليك بأوساط الأمور فإنَّها * نجاةٌ ولا تركب ذلولاً ولا صعْبَاً

لا تَذهَبَن في الأمورِ فَرطا * وكُن مِن الناسِ جَميعاً وَسطـــــــاً

وليكن كلامُك ما بين المُقصِّر والغالي ، فإنك تسلم من المِحنة عند العلماء ومن فِتنة الشيطان)) [2]

فالجاحظ أخذ هنا بمذهب الوسط فى الكلام . أما عن ذمه الشعر الوسط فقد جاء في معرض إبداء رأيه في كلام الأعراب العقلاء الفصحاء، والعلماء البلغاء ، قال وأنا أقول(إنه ليس في الأرض كلامٌ هو أمتعُ ولا آنَق ، ولا ألذُّ في الأسماع ، ولا أشدُّ اتصالاً بالعقول السليمة، ولا أفتَقُ للِّسان، ولا أجودُ تقويماً للبيان مِن طول استماعِ حديثِ الأعراب العقلاء الفصحاء ، والعلماءِ البلغاء.وقد أصابَ القومُ في

---

*الاجتلاب: ان يجتلب معاني سواه ، اي يسرقها لفقره في معانيه.

*المعارض :جمع معرض،على وزن منبر ،وهو ثوب تجلى فيه الجارية او العروس

[1] -البيان والتبيين ج١ص(٢٥٤)

[2] -المرجع السابق ص(٢٥٥)

عامَّةِ ما وَصَفوا ، ألاّ أنّي أزعمُ أنّ سخيفَ الألفاظ مشاكلٌ لسخيف المعاني . وقد يُحتاج إلي السَّخيف في بعض المواضع، ورُبّما أمتعَ بأكثرَ من إمتاع الجزلِ الفخم من الألفاظ ، والشريفِ الكريم من المعاني.

كما أنّ النادرةَ الباردة جِداً قد تكون أطَيبَ من النادرة الحارَّة جدّا. وإنّما الكَربُ الذي يَختِم على القلوب ، ويأخذُ بالأنفاس، النادرةُ الفاترة التي لا هي حارّةٌ ولا باردة. وكذلك الشِّعر الوسَط ، والغِناء الوسط. وإنّما الشّأن في الحارّ جداً والبارِدِ جدّا)[1] .

وهذا كلام يغني عن كلِّ وصفٍ وتعليق بالنسبة لرأي الجاحظ في الشّعر الوسط، أو الشّعر الفاتر الذي لا هو حار ولا بارد.

١١ –رأيه في شعر العرب المولَّدين:

والجاحظ الذي عاش في عصر كانت الخصومة فيه على أشدها بين أنصار القديم و الحديث من الشّعر ، أو بين العرب والمولّدين من الشّعراء لم يتوانى من إبداء رأيه في هذه القضية.

وعند الجاحظ أنّ عامّة العرب في مجموعهم أشعر من عامة الشعراء المولَّدين في مجموعهم ، وهذا الحكم التفضيل فيه لا يشمل كل ما قالوه . كذلك يرى الجاحظ أن راويه الشّعر العالم بجوهره لا يخفى عليه صحيح الشعر وزائفه، وأنه يعرف موضع الجيّد عند أي شاعر كان ، وفي أيّ زمانٍ كان.

وفي ذلك يقول ((والقضيةُ التي لا أحتشم منها، ولا أهاب الخصومة فيها أن عامة العرب والأعراب والبدوِ والحضرِ من سائر العرب، أشعر من عامة شعراء الأمصار والقُرَى من المولّدَةِ والناتية.وليس ذلك بواجب لهم في كل ما قالوه. وقد رايت أُناساً منهم يبهرجون أشعار المولّدين ، ويستسقطون من رواها ولم أر ذلك قطُّ إلاّ في راويةٍ للشعر غيرِ بصيرٍ بجوهرِ ما يَروي . ولو كان له بَصرٌ لعرَف موضعَ الجيّد ممَّن كان ، وفي أيٍّ زمان كان))[1].

---

[1]-البيان و التبيين ج١ ص(١٤٥)-

[1] كتاب الحيوان: ج٣ ص١٣٠ ، والناتية: مخفف الناتية ، ولعله اراد بهم الطارئين واحتشم من الامر : استحى منه

كما فرّق بين المولّد والأعرابيّ من جهة جودة الشعر،وأن المولّد يلحق بالأعرابي في الأبيات لا في القصائد الطوال.

ويقول فى ذلك (ونقول : إن الفرق بين المولّد والأعرابيّ : أن المولّد يقول بنشاطه وجَمع بالِه الأبياتَ اللاحقةَ بأشعار أهل البدو، فإذا امعَنَ انحلَّتْ قُوّتُه واضطرب كلامه) [٢] .

١٢ –موقف الجاحظ من النحاة والرواة:

قلل الجاحظ من شأن النحاة ورواة الأخبار والأشعار في النقد وعلّي عليهم عامة الرواة من رواة الكتّاب وحُذّاق الشعر.وقال فى هذا (وقد جلستُ إلي أبي عبيدة ، والأصمعي ، ويحي بن نُجيم* وأبي مالك عمرو كِركِرةَ * مع من جالستُ من رُواة البغداديين ، فما رأيت أحداً منهم قصد إلي شعرٍ في النَّسيب فأنشده. وكان خلفٌ يجمع ذلك كلَّه.ولم أر غاية النحويِّين إلا كلَّ شعرٍ فيه إعراب . ولم أر غايةَ رواة الأشعار إلاَّ كلَّ شعرٍ فيه غريبٌ أو معنىً صعبٌ يحتاج إلي الاستخراج . ولم أر غايةَ رواةِ الأخبار إلاّ كلَّ شعرٍ فيه الشاهد والمثل. ورأيت عامّتَهم – فقد طالت مشاهدتي لهم – لا يقفون إلاّ على الألفاظ المتخيَّرة ، والمعاني المنتخَبة ، وعلى الألفاظ العذْبة والمخارج السّهلة ، والدِّيباجة الكريمة ، وعلى الطبع المتمكِّن ، وعلى السَّبك الجيِّد ، وعلى كلِّ كلامٍ له ماءٌ ورونق ، وعلى المعاني التي إذا صارت في الصدور عَمَرتها وأصلحتها من الفَساد القديم ، وفتحت للِّسانِ بابَ البلاغة، ودلَّت الأقلام على مدافن الألفاظ وأشارت إلي حِسان المعاني. ورأيت البصرَ بهذا الجوهرِ من الكلام في رُواة الكتّاب أعمَّ ، وعلى ألسنة حُذَّاق الشُّعراء أظهر) [١] .

فى رأى الجاحظ أن معرفة النحو وحده،أو غريب الشعر وحده أو الشعر الذي يتضمن الشاهد أو المثل وحده لا يكفي، وإنّما الرواة وحُذَّاق الشعر ممّن يتمتعون بثقافة عالية، هم أهل العلم بالشعر وأحق الناس بتقديره ونقده .

---

[٢] الحيوان ،ج٣،ص١٣٢)

*كان من احفظ الرواه فى اللغة

*احد رواة البصرة

[١] البيان و التبيين : ج٤ ص ٢٣– ٢٤

١٣-رأيه في أبي نواس:

يرى الجاحظ (أنه لا يعرف بعد بشارٍ من أبي نواس) [١] كما يرى أن المتأمل في شعره بروح بعيدة عن العصبية والهوى لا يسعه إلاّ أن يُفضله .

وقد أورد الجاحظ هذا الرأي في معرض حديثه عن معرفة أبي نواس بالكلابِ، حيث يقول فى ذلك: (وأنا اكتب لك رجزه -(أبي نواس)- في هذا الباب ، لأنه كان عالماً راوية ، وكان قد لعب بالكلابِ زماناً، وعرف منها ما لا تعرفه الأعراب.وذلك موجود في شعره ، وصفاتُ الكلاب مستقصاةٌ في اراجيزه، هذا مع جودة الطبع وجودة السبك، والحذق بالصنعة. وإن تأملتَ شعره فضلتهُ ، إلاّ أن تعترضَ عليك فيه العصبيةُ ، أو ترى أنّ أهل البدوِ أبداً أشعرُ ، وأن المولّدين لا يقاربونهم في شيء فإن اعترضَ هذا البابُ عليك ، فإنك لا تبصر الحق من الباطل ، ما دُمتَ مغلوباً)) [٢] .

والجاحظ مع ذلك يعيب علي أبى نواس (الغلو) الذي تمادى فيه إلي حد الكفر. فهو يرى أن أبا نواس قد كان يتعرض للقتال بجهده ، وأنه لما قال في مدح العباس بن عبيد الله بن أبي المنصور.

كيف لا يُدنيك من أملٍ * مَن رسول الله مِن نَفَره؟

أحدث هذا البيت ضجة كبيرة بين الأدباء ، فأخذوا عليه قوله (من رسول الله من نفره) لأن هذا كلام مستهجن موضوع في غير موضعه ، لأن حق رسول أن يضاف إليه ، ولا يضاف إلي غيره.

فأحبِبْ قريشاً لحبِّ أحمدِها * واشكرْ لها الجزْلَ من مواهبِها

فلما قال فى أحمد بن صالح الذى كان يتعشقه:

أَحبِب قُرَيشاً لِحُبِّ أَحمَدِها وَاِعرِف لَها الجَزلَ مِن مَواهِبِها

جاء بشيء غطى على الأول

ولما قال أيضا في أحمد هذا:

يا أحمد المُرتَجى في كل نائبةٍ * قُمْ سَيِّدِي نَعصِ جبَّارَ السماواتِ

---

[١]-كتاب الحيوان: ج٤ ص(٤٥٧)-

[٢]-المرجع السابق ج٢ ص(٢٧)

غطى هذا الاول .
ويرى الجاحظ أن هذا البيت مع كفره مُقيتٌ جداً، وأنّ أبا نواس كان يُكثر في هذا الباب)[2] .وهذا كلام جيد ونقد إسلامى فى صميم الأدب الإسلامى
وقاده الحديث عن غلو أبي نواس إلي ذكر ما أُخذ عليه من الخطأ في شعره ، فقال (وأما سوى هذا الفن – الغُلوّ فلم يعرفوا له من الخطأ شعره إلا قولَه:

أمستخبرَ الدَّارِ هل تنطقُ * أنا مكان الدار لا أنطِقُ [3]
كأنَّها إذ خَرِسَتْ جارمٌ * بين ذوي تَفْنِيدِهِ مُطرقُ [4]

فعابوه بذلك، وقالوا لا يقول أحدٌ (لقد سكت هذا الحجرُ، كأنه إنسانٌ ساكت ، وإنما يُوصَف خَرسُ الإنسان بخرس الدار، ويُشَبَّه صَمَمُه بصممِ الصخر) .
وعابوه بقوله حين وصف عين الأسد بالجُحوظِ فقال:

كأنَّما عينه إذا أَلْتهبتْ * بارزة الجفن عينُ مخنوقِ

وهم يصفون عين الأسد بالغوؤر قال:قال الراجز:(كأنما ينظر من جوف حَجَرْ)
وقال أبو زيد الطائي :

كأن عينيه في وَقبَيْنِ من حَجَرٍ * قِيضَا اقتياضاً بأطراف المناقيرِ[1]

وقال أبو زيد :

وعينان كالوَقْبين في ملء صَخْرَةٍ * ترى فيهما كالجمْرَتين تَسَعُّرا

ومع هذا فإنا لا نعرف بعد بشارٍ أشعرَ منه)[2]
وعارض الجاحظ أبا نواس فى رأيه في الشاعر أبان عبد الحميد اللاحقي وأورد الجاحظ فى كتابه الحيوان قصيدة لأبي نواس يهجو فيه أباناً والزنادقة مطلعها:

جالستُ يوماً أباناً * لا دَرّ دَرُّ أبانِ[3]

---

[2]–من كتاب الحيوان : ج٢ ص ٤٥٤
[3] –الشطر الاول في هذا البيت غير مستقيم الوزن ، ولكن هكذا ورد كتاب الحيوان.
[4] –الجارم : الجاني والتنفيد : المراد به: اللوم والعذل ، وهو ايضا التكذيب والتعجيز وتخطي الراي وتضعيفه
[1] –الوقب: بفتح الواو ك والنقرة في الصخرة : قيضا : شقا وحفرا واقتياضا
[2]–كتاب الحيوان: ج٤ ص ٤٥٦
[3] لادر درة : اي لا كثرة خيرة ولا زكا عمله . وقالوا : لله درك اي لله عملك يقال هذا لمن مدح ويتعجب من عمله ، فاذا ذم عمله قيل : لادر دره

ومنها

يُريد أنْ يَتسَوَّى * بالعُصبْةِ المُجَّانِ

بعَجْرَدٍ وعُبَادٍ * والوالبيِّ الهِجانِ

وقاسمٍ ومطيعٍ * رَيْحانةِ النَّدْمانِ

وعلق الجاحظ على هذه القصيدة بقوله ((والعجيب أنه – أبا نواس – يقول في أبانٍ : إنه ممن يتشبه بعجرد ومطيع، ووالبةَ بن الحباب ، وعلى بن الخليل، وأصبغ، وأبانُ فوقَ مِلءِ الأرض من هؤلاء . ولقد أبانٌ وهو سكرانُ ، أصحَّ عقلاً من هؤلاء وهم صُحاة))[٤]

ولا شك أن الجاحظ كان معلماً فذاً وقمة شاهقة في تاريخ البلاغة وتاريخ النقد، الإسهام الذى أسهم به في هذين الميدانين يمثل في الواقع خلاصة معارف سابقيه ومعاصريه، هذا بالإضافة إلي الجديد الذي اهتدى إليه هو شخصياً فأثرى به النقد الأدبى ، وانتقل بهما نقلة كبيرة على طريق وتطوره.

وقد كان للجاحظ تأثير كبير على من جاء بعده من البلاغيين والنقاد بما قدم للبلاغة والنقد من مادة نقدية ، وبما بث فيهما من أفكاره وآرائه الشخصية .

ولم يكن هذا التاثير محصوراً على ما دار من جدل بين هؤلاء العلماء حول آرائه ونظرياته في شؤون البلاغة والنقد، وإنما تجاوز التأثير ذلك إلي الاعتراف به كمجمع أصيل فيهما وإلي الاعتراف من محيط معارفه البلاغية والنقدية بطريقة أو بأخرى.

وعلى سبيل المثال فابن قتيبة (٢٧٦هـ) لم ير بأساً في أن يستلهم روحه وينهج نهجه في كتابه عيون الأخبار، وأبو العباس المبرد (٢٨٥هـ) تلميذ الجاحظ قد تأثر به في أدبه، وابن المعتز في كتابه البديع أخذ عنه (المذهب الكلامي) الذي اعتبرهُ أحد الفنون الخمسة الرئيسية لعلم البديع.

وفي كتاب العقد الفريد لابن عبد ربه (٣٢٨هـ) نلمسُ روحَ الجاحظ ونرى بعض أدبه مرتباً بعض الترتيب ، وقُدامة بن جعفر (٣٣٧هـ) في كتابيه نقد

---

[٤] كتاب الحيوان: ج٤ ص ٤٤٨ – ٤٥١

الشعر ونقد النثر ، نقل كثيراً من الجاحظ . وعلى بن عيسى الرماني (٣٨٦هـ) تأثر به في كتاب (النُّكَت في إعجاز القرآن).

وأبو هلالٍ العسكريُّ (٣٩٥هـ) أقرَّ في كتابه الصناعتين أنه ليس إلاَّ شارحاً للجاحظ ، جامعاً للمتفرّق عند الجاحظ ، مبوباً له. وأبو علي الحسن بن رشيق القيرواني (٤٦٣هـ) استفاد منه كثيراً في كتابه العمده، كما استفاد منه ابن سنان الخفاجي (٤٦٦هـ) في كتابه سرّ الفصاحة . وغيرهم كثيرون من البلغاء والأدباء والنقاد الذين استفادوا من أدب الجاحظ.

ونرى بعض من حمل على طريقته كعبد القاهر الجرجاني (٤٧١هـ) لم يخرج من دائرته ، فنقل عنه كثيراً، وخاصة فى قضية (اللفظ والمعنى) بين مخالفة الجاحظ وموافقته.ويبدوا أن الجاحظ ، قد قصد إلي الطريقة التي اتبعها في تأليف كتبه قصداً ، وعن علم ودراية بما يعمل.

قال عن منهجه في تأليف كتاب الحيوان: (إني أُوشِّح هذا اكتاب بنوادر من ضروب الشِّعر وضروب الأحاديث ليخرج قارئهُ من باب إلي باب ومن شكل إلي شكل ، فإني رأيتُ الأسماع تمَلُّ الأصواتَ المطربة ، والأغاني الحسنة ، والأوتارَ الفصيحة إذا طال عليها ذلك . وإذا كانت الأوائل قد سارت في صغار الكتب هذه السيرةَ، كان هذا التدبيرُ لما طال وكثُر أصلح. وما غايتُنا من ذلك كلِّه إلاّ أنْ تستفيدوا خيراً).

وقال أيضاً عن منهجه: (وإنما أكتب لك من كل بابٍ طرفاً، لأنّ إخراجَك من باب إلي باب أبقى لنشاطك ، ولو كتبتُه بكماله لكان أكملَ وأنبلَ ، ولكن أخاف التطويلَ ، وأنت جديرٌ أن تعرفَ بالجملة التفصيلَ ، والآخِرَ بالأول)[1]

وفى رده على بعض نقاده قال:(وهذا كتابُ موعظةٍ وتعريف،وتفقُّهٍ وتنبيه . وأراكَ قد عِبْتَه قبلَ أن تقِفَ على حدوده، وتفكّرَ في أصوله، وتعتبرَ آخرَه بأوّله ،ومصادرَه بموارده . وقد غلّطك فيه بعضُ ما رأيت في أثنائه من مَزْجٍ لم تعرف معناه ومن بطالةٍ لم تطّلِعْ على غَورها ، ولم تدر لم اجتُلِبَتْ، ولا لأي عِلّة تُكلِّفتْ

---

[1] كتاب الحيوان: ج٧ ص ١٦٢

،وأيّ شيءٍ أُرِيغ بها ، ولأي جدٍ احتمل ذلك الهزل ، ولأيّ رياضةٍ تُجُشِّمتْ تلك البَطالةُ ، ولم تدرِ أن المزاحُ جِدٌّ إذا اجتُلِبَ ليكونَ عِلّةً للجِدّ)[٢] .

١٤-الحروف التي تدخلها اللثغة :

ومن القضايا النقدية التى أثارها الجاحظ اللُثغة و خاصة عند الشّعراء مما يبين اهتمامه بالمخارج.قال أبو عثمان (وهى أربعة أحرف :القاف،و السين ،واللام ،والراء.فاللُثغة التي تعرِض للسّين تكون ثاء، كقولهم لأبى يَكسوم:أبي يَكثوم.و الثانية الُثغة التي تعرِض للقاف فإن صاحبها يجعل القاف طاءً فإذا أراد أن يقول:قلت له، قال طُلت له.أما اللُثغة التي تقع في اللام فإن من أهلها من يجعل اللام ياء فيقول بدل قوله :اعتَلَلْتُ :اعتييْت. أما اللُثغة التي تقع في الراء فإن عددها يُضعِف على عدد لُثغة اللام.لأن الذي يعرِض لها أربعة أحرف:فمنهم من إذا أراد أن يقول عمرو، قال عمى، فيجعل الراء ياءً. ومنهم من إذا أراد أن يقول عمرو،قال عمغ فيجعل الراء غيناً . ومنهم من إذا أراد أن يقول :عمرو قال: عمذ، فيجعل الراء ذالاً و أنشد قول الشاعر *

واستبدّت مرّةً واحـــــدة إنما العاجزُ من لا يستـــــــبدّ

قال:

واستبدّتَ مذّة واحـــــدةٌ إنما العاجزُ من لا يستـــــــبدّ

ومنهم من يجعل الراء ظاءً معجمة فإذا أراد أن يقول :

واستبدّت مرة واحـــدةٌ إنما العاجزُ من لا يستــــــــــبدّ

يقول:

و استبدّت مظة واحـــدةٌ إنما العاجزُ من لا يســـتـــــــــبدّ

ومنهم من يجعل الراء غيناً معجمة فإذا أراد أن ينشد هذا البيت قال:[١]

واستبدّت مغة واحـــدةٌ إنما العاجزُ من لا يســتــــــــــبدّ

كما أن الذي لُثغتة بالياء إذا أراد أن يقول :(واستبدت مرة واحدة) يقول :

---

[٢] ئ كتاب الحيوان: ج١ ص٢٧ . واريغ: اريد طلب قصد ، من اراغ الشيء يريغه اي طلبه وقصده واراده ، ويقال : ماذا تريــغ ؟ تريغ اي ماذا تريد وتطلب ؟

١- البيان و التبيين ج١ انظر (ص ٣٤-٣٦).

(و استبدت مية واحدة). وربما اجتمعت في الواحد لُثغتان في حرفين، كنحو لُثغة شوشي، صاحب عبد الله خالد الأُموى، كان يجعل اللام ياءً والراء ياءً.قال :(موياي ويى أى) يريد:(مولاي ولى الرّاىّ).و أحقرهن لُثغة الراء و أيسرهن التي على الغين وأن صاحبها لو جهد نفسه لتخلص منها)[١] .

قال أبو عثمان : قال الأصمعى : (إذا تتعتع اللسان في التاء فهو تمتام ،و إذا تتعتع في الفاء فهو فأفاء)[٢]. فجعل الخولانى التمتام غير معرب عن معناه ولا مفصح بحاجته .وقال:قال ابن سلام الجُمَحى:كان عمرُ بن الخطاب رحمه الله إذا رجلاً يتلجلج فى كلامه، قال:((خالقُ هذا وخالقُ عمرو بن العاص واحد))
وقال:((تلخِيص المعاني رِفقٌ والاستعانة بالغريب عَجْز، و التَّشادقُ من غير أهل البادية بُغْض، و النَّظَر في عيون النَّاس عِيّ ومَسُّ اللِّحية هُلْك، والخروجُ مِمَّا بُنِي عليه أوَّلُ الكلام إسهاب)) [٣]

و قال: رأس الخطابة الطبع و عمودها الدربة و جناحاها رواية الكلام، وحليها الإعراب، وبهاؤها تخير الألفاظ و المحبة مقرونة بقلة الاستكراه[٤].وقال:إن مسلم بن الوليد الأنصارى كان أحد من يجيد قريض الشعر وتحبير الخطب ومن الخطباء والشعراء :: الطرماح بن الحكم الطائي :قال القاسم بن قصد :قال محمد بن سهل : أنشدت الكميت قول الطِّرِمّاح :

إذا قُبِضتَ نفسُ الطِّرِمّاحِ أُخلَقَتْ * عُرَى المَجد واستَرخَى عِنانُ القَصائِدِ

قال : قال الكميت :(إي واللهِ ،و عِنان الخَطابة والرِّواية .قال الجاحظ : لم يَرَ الناسُ أعجبَ حالاً من الكُميتِ و الطِّرِمّاح)[٥]
قال أبو عثمان :قال ابن الأعرابى :طلق أبو رماد امرأته حين وجدها لثغاء وخاف أن تجيئه بولد ألثغ فقال :

لثغاء تأتى بحيفس ألـــــثغ * تميس في الموشى و المصـــــــبغ

و الحيفس :القصير الصغير .

[١]-المرجع السابق ص٣٩
[٢]-المرجع السابق ص٣٩
[٣]-المرجع السابق-ص٣٩-٤٤
[٤]-البيان والتبين ج١ ص٤٤
[٥]-المرجع السابق ص٤٦

وقال :أنشدنى ابن الأعرابى كلمة جامعة كثير من هذه المعاني في قول الشاعر :

اسكُتْ ولا تَنطِقْ فأنتَ حَبْحَابْ * كلُّك ذو عيبٍ و أنتَ عــــــــَـــــيّابْ

إن صدَق القومُ فأنتَ كذّاب أو نطَقَ القومُ فأنتَ هيـــّـــــــــابْ

و عاب أبو عثمان علي الزّنجي نزع ثناياه لحاجته إلي ثناياه في إقامة الحروف وتكميل آلة البيان)[1].

و هذا يعنى اهتمامه بمخارج الحروف أكثر من المعنى .

وقال: قال أصحاب القلع :(إنهم نظروا إلي مقادم أفواهِ الغَنَم فكرهنا أن تشبه مقادمُ أفواهنا أفواهِ الغَنَم)[2]

١٥-الحَصَر و العِيِّ:

وهى من القضايا التى وقف عندها الجاحظ ،قال أبو عثمان مستعيذاً من فتنة القول وفتنة العمل ومن التكلف ومن العُجب بما نحسن واستعاذ من السلاطة والعِيّ والحصر وقال قديماً ما تعوذُوا بالله من شرّهما وتضرّعوا إلي الله السلامة منهما (لأنهم يجعلون العجزَ والعِي من الخُرْق، كانا في الجوارح أم في الألسنة)[3] روى أبو عثمان ،قول النّمر بن تولب [4]:

أعِذنِي ربّ مِن حصَرٍ وعِيّ ومن نفسٍ أعالجُهَا عِلاجَــــا

وقال الهذلي :

لا حصَرُ بخُطبــَــــتِهِ إذا ما عَزّتِ الخُطَــــــــبُ

وقد عدّ الجاحظ الحصر والعِيّ من نقصان البيان و البلاغة وقالوا في الصمتِ كقولهم في المنطق وأورد قول أُحَيحَة بن الجُلاح:

والصمتِ أجمَل بالفـــــتى ما لم يكن عِيّ يُشَيَنُــــــهْ

والقول ذو خَطَــــــــل إذا مَا لم يكن لُبّ يُعِينُــــــهْ

وقال:قال مكيٌّ بن سوادةَ:

---

[1]-المرجع السابق ص٥٨
[2]-المرجع السابق ص٦٠
[3]-البيان والتبين ج١ ص٥
[4]-المرجع السابق ص٥

وتسلّمَ بالسُكوتِ من العيوبِ فكان السّكتُ أجلَبَ للعـــيوبِ
ويرتجلُ الكلامَ وليس فيه سوى الهَذَيانِ من حَشدِ الخطيبِ

قال أبو عثمان:قيل لبُزُر جمِهْرَ بن البختكان الفارسيّ :أيُّ شيءٍ أستَر للعِيِّ ؟ قال عقلٌ يحمِّله. قالوا: فإن لم يكن له عقلٌ.قال :فمالٌ يستره. قالوا: فإن لم يكن له مال قال فإخوانٌ يعبِّرون عنه.قال :فيكون عيياً صامتاً. قالوا: فإن لم يكن ذا صَمت .قال: فموت خيرٌ له من أن يكون في دار الحياة . مستشهداً بقوله تعالي :(واحلُلْ عُقدَةً مِنْ لِسَانَي* يَفَقهُوا قَولِي)[1] .و قوله تعالى :(أم أنَا خَيرٌ من هذا الذي هو مَهينٌ ولا يكادُ يُبِينُ)[2]. وذلك في تعلق فرعون بكل سبب وقوله تعالى (ويضِيقُ صَدرِي ولا يَنطلِقُ لِسَانِي).وذلك رغبة منه في الإفصاح بالحجة .ولكن الله سبحانه وتعالي حل تلك العقدة و أطلق لسان موسى و أورد الجاحظ قوله تعالى (قال قد أُوتِيتَ سُؤلَكَ يا مُوسَى)[3].

وسمي الله القرآن فرقاناً ،قال: أبو عثمان (والمفهمُ لك و المتفهِّم عنك شريكان في الفضل إلاّ أنّ المفهِم أفضل من المتفهِّم و كذلك المعلّم و المتعلّم)[4]. هذا في قضية البيان ،وتكلم الجاحظ عن عِيّ النساء. و أورد قول النمر بن تولب :

وكلُّ خليلٍ عليه الرّعاثُ الحُبُلاتُ ضعيفٌ مـــــَــــــلِقْ

الرعاث:القرط ،الحبلات:كل ما تزينت به المراة من حسن الحلي .و قال تعالي:(أو مَنّ يُنّشأُ فِي الحِليَةِ وَهُوَ فيِ الخِصَامِ غَيرُ مُبِينٍ)[5]. هذا مما يبين عِيّ المراة عـــن حاجتها وقد تلجأ إلي البكاء للاستعطاف .كما فاضل بين ســـلاطة اللســـان عنـــد المنازعة وسقطات الخطل يوم إطالة الخُطبة بأعظمَ مما يحدُث عـــن العـــيّ مـــن اختلال الحجّة وعن الحَصَر من فوت دَرَك الحاجة)[6].

وانتقد أبو عثمان المتفيهقين الذين يتوسعون في الكلام ويفتحـــون بـــه أفـــواههم ،وأورد حديث الرسول صلي الله عليه وسلم(أبغضكُم إليَّ الثّرثارون المتفيقهون).
و عاب الر سول صلي الله عليه وسلم المتزيدين في جهارة الصوت وانتحال سعة

[1]-سورة طا الاية ١٣
[2]-سورة الزمر الاية ٢٠
[3]-سورة طه الايه ٣٦
[4]-البيان والتبين ج١ص١٢
[5]-سورة الزخرف الايه١٨
[6]-البيان والتبين ج١ ص١٢

الأشداق.

و قال كان واصل بن عطاء ألثغ فاحش اللثغ وأسقط الراء من كلامه و أخرجها من حروف منطقه . و اللُثغة في الراء تكون بالغين و الذال و الياء و الغين أقلها قبحاً وأوجدها في كبار السن)[1].

١٦ - الجاحظ والصنعة في الشعر والكلام:.

يرى الجاحظ أن الشِّعر (صناعة) وهذا يعني أنه يُؤثر اللفظَ على المعنى ، ويُقدر الشِّعر ويَقيسه بمقياس جودة الأسلوب وصحة الطبع.

نستنبط ذلك من قوله (وذهب الشيخ – أبو عمرو الشيباني – إلي استحسان المعنى). والمعاني مطروحة في الطريق يعرفها العجميُّ والعربيُّ ، والبدويَّ والقَرَوِيُّ والمدنيُّ. وإنما الشأن في إقامة الوزن وتخيُّرِ اللفظ، وسهولة المخرج ، وكثرةِ الماء وفي صحة الطبع وجودة السبك ، فإنما الشعرُ صناعةٌ، وضربٌ من النسج ، وجنسٌ من التصوير) [1]

قال أبو عثمان:قال: بعض جهابذة الألفاظ و نُقَّادِ المعاني (المعاني القائمة في صدور النّاس المتصوّرَة في أذهانهم، و المتخلِّجة في نفوسهم،المتَّصِلة بخواطرهم ،و الحادثة عن فِكَرهم مستورةٌ خفيّه ،وبعيدةٌ وحشية ،ومحجوبةٌ مكنونة ،وموجودةٌ في معنى معدومةٍ ،لا يعرف الإنسانُ ضميرَ صاحِبه ،ولا حاجة أخيه وخليطِه ،ولا معنى شريكِهِ و المعاونِ له علي أموره ،وعلي ما لا يبلغه من حاجات نفسه إلاّ بغيره ،و إنما يُحي تلك المعانيَ ذكرُهم لها ،وإخبارُهم عنها واستعمالُهم إيّاها)[2].

كما تكلم أبو عثمان في الإشارة بأنها لغة مفهومة و في الإشارة اختصار لكلام كثير .وفي ذلك إيجاز و الإشارة تكون باليد وبالرأس وبالعين والحاجب والمنكب إذا تباعد الشخص وبالثوب وبالسيف)[3]. وما أكثرَ ما تنوب الإشارة عن اللفظ .

وفي الإشارة بالطرف والحاجب وغير ذلك من الجوارح مرفقٌ كبير

---

[1]-المرجع السابق ص١٤

[1] كتاب الحيوان: ج٣ ص ١٣٢

[2]البيان و التبيين ج١ (ص ٧٥).

[3]-المرجع السابق ص٧٥

ومَعُونة حاضره ولولا الإشارة لم يتفاهم الناس معنى خاصّ الخاصّ)[1] . قال أبو عثمان :قال الشاعر :

العينُ تُبدِى الذي في نفسِ صاحبها   من المحبّةِ أو بُغضٍ إذا كانا
و العينُ تنطق و الأفواهُ صامتَةٌ   حتّى ترى من ضمير القلب تِبيانا

قال هذا و مبلغُ الإشارة أبعد من مبلغ الصّوت) [2].

أما الصوت :قال هو آلة اللفظ .أما الخط :فمما ذكر الله عزّ وجلّ في كتابه من فضيلة الخط ،وأورد الآيات :(إقرَاء ورَبُّكَ الأكرَمُ الذي عَلّمَ بالقلمِ)[3] .،وقوله تعالي :(ن و القَلَمِ وما يَسطُرُون)[4].وقال :قالوا :القلم أبقي أثراً واللسان أكثَرُ هَذَراً .

وأما القول في العَقْد: وهو الحسابُ دونَ اللّفظ والخطّ ،فقال الحساب يشتمل على معانٍ كثيرةٍ ومنافعَ جليلة ،ولولا معرفةُ العِبَاد بمعنى الحِساب في الدنيا لمَا فهِمُوا عن الله عز وجل معنىَ الحسابِ في الآخرة)[5].

أما النِّصبة : فهى الحالُ النَّاطقة بغير اللّفظ والمشِيرة بعد اليد . و قد أورد الجاحظ في ذلك بعض الخطب ،مثل خطبة الفضل بن عيسى بن أبان :قال :(سَل الأرضَ فقُلْ :من شَقَّ أنهارَكِ ،وغَرَس أشجارَك ،وجَنَى ثِمارَكَ؟ فإن لم تجبْكَ حِواراً ،أجابتك اعتباراً)[6]. و قال :(أن الدلالة الظاهرةُ على المعنى الخفيِّ هو البيان الذي سمِعتَ الله عزّ وجلّ يمدحُه ويدعوا إليه ويحثُ عليه .وبذلك نَطَقَ القُرآنُ ،وبذلك تفاخَرَت العَرب وتفاضَلَتْ أصنافُ العَجَم)[7].

و في تعريفه للبيان قال :البيان اسمٌ جامعٌ لكلِّ شيءٍ كشَفَ لك عن قِناعَ المعنى ،وهتَكَ الحِجَاب دونَ الضمير ، حتى يُفضِيَ السامعُ إلي حقيقته ويَهجُم علي محصولِهِ كائناً ما كان ذلك البيانُ ،ومن أىّ جنسٍ كان الدّليل ،لأنّ مَدَارَ الأمرِ والغايةَ التي إليها يجرِى القائل و السّامع ،إنَّما هو الفَهمُ و الإفهام فبأىِّ شيءٍ بلغْتَ

---

[1]-المرجع السابق ص٧٨
[2]-المرجع السابق ٧٩
[3]-سورة العلق الايه ٣،٤
[4]-سورة القلم الايه ١
[5]-البيان و التبيين ج١ (ص٥)
[6]-المرجع السابق (ص ٨١).
[7]-المرجع السابق (ص ٧٥)

الإفهامَ وأوضَحتَ عن المعنى فذلك هو البيانُ في ذلك الموضع) [1].
ويرى الجاحظ أن حُكمَ المعاني خلافُ حُكمِ الألفاظ،لأن المعانِيَ مبسوطةٌ إلي غير غاية ،وممتدّةٌ إلي غير نهاية وأسماءَ المعاني مقصورةٌ معدودة ومحصَّلةٌ محدودة) [2].
وللجاحظ في قضية اللفظ والمعنى قول واضح .وحصر الجاحظ أصناف الدلالات علي المعاني من لفظ وغير لفظ في خمسة أشياء :أولها اللفظ ،ثم الإشارة ،ثم العقد *،ثم الخـط ،ثـم الحـال التـي تسـمى نصـبة*.وقـال : قـال سـهل بـن هرون :(العقل رائد الرُّوح ،والعلمُ رائدُ العقل ،والبيان تَرجمان العلم) [3].
فى قوله: البيانُ تَرجمان العلم قضية يمكن أن نجملها فى المثل السائر(كل إناء بما فيه ينضح)

١٧ –التحكيم بين قولين :ــ

وتكلم الجاحظ في أمر التحكيم بين قولين روى: قول سهل بن هرون :(إذا كان الخليفةُ بليغاً والسيِّد خطيباً ،فإنَّك تجدُ جمهورَ الناس وأكثر الخاصَّة فيهما على أمرين :إما رجلاً يُعطى كلامَهما من التعظيم والتّفضيل ،والإكبار والتبجيل ،على قدر حالِهما في نفسه ،ومَوقِعهما من قلبه ،وإما رجلاً تعرِضُ له التُّهمة لنفسه فيهما ،والخوفُ من أن يكون تعظيمُه لهما يُوهمه من صَوابِ قولهما،وبلاغة كلامهما ،ما ليس عندهما ،حتَّى يُفرط في الإشفاق ،ويُسرِف في التُّهمة ،فالأوّلُ يريد في حقِّه ،للذي له في نفسه ،والأخر ينقُصه من حقّه لتُهمتِه لنفسه ،ولإشفاقه من أن يكون مخدوعاً في أمره ،فإذا كان الحُبُّ يُعمِى عن المساوي ،فالبُغض أيضاً يُعمِى عن المحاسن.و ليس يَعرِف حقائقَ مقاديرِ المعاني، و محصول حدود لطائف الأمور ، إلّا عالمٌ حكيم، و معتدلُ الأخلاط عليم، و إلا القويُّ المُنَّة، الوَثيق العُقدة، و الذي لا يميل مع ما يستميل الجُمهورَ الأعظمَ و السوادَ الأكبر) [4].
وكما روى ان(المعيبُ عند النّاسِ ليس هو الذي لا يَعرِف ما يكون منه

٤-المرجع السابق(ص٧٦)
٥-المرجع السابق(٧٦)
٦المرجع السابق(٧٧) العقد:ضرب من الحساب يكون باصابع اليد*النصبه :وهى الحاله الدالهالتى تقوم مقام تلك الاصناف

[4]-البيان والتبين ج١ ص٩٠

من الحُسن والمعرفة لا تدخُل فى باب التسمية بالعُجب و قال العُجبُ مذموم)[1]. وروى الجاحظ أن البيان أن يكون الاسم يحيط بمعناك و يجلي عن مغزاك و تخرجه عن الشركة، و لا تستعين عليه بالفكرة و الذي لابد له منه أن يكون سليماً من التكلف، بعيداً من الصنعة، برئياً من التعقد، غنياً عن التأويل. أما في التخير بين أبيات الشعر قال أبو عثمان(أنَّ خيرَ أبياتِ الشعر البيتُ الذي إذا سمعتَ صدرَه عرَفتَ قافيتَه)[2] . قال العجير السلوكي *

فظَلّ رِداءُ العَصب مُلقّى كأنّه * سَلَى فرسٍ تحتَ الرِّجال عقيرِ

قال المحقق في البيت إقواء: والإقواء اختلاف الإعراب في القوافي وذلك أن تكون قافية مرفوعة وأخرى مخفوضة وستجد ذلك في عيوب الشعر التي تكلم عنها ابن قتيبة قال الفرزدق:(أنا عند الناس أشعرُ العرب، و لرُبَّما كان نزعُ ضرسٍ أيسرَ عليَّ من أن أقول بيت شعر)[3]. و أعيب عندهم من دقة الصوت و ضيق مخرجِه و ضعف قُوّته و أن يعترِيَ الخطيبَ البُهْرُ و الارتعاش و الرِّعدة و العَرَق.قال: (إن الجياد نضاحة بالماء)[4]. قال بشر بن المعتمر [5](ت٢١٠ هــ)(ينبغى للمتكلم أن يعرف أقدار المعاني ، و يوازن بينها و بين أقدار المستمعين و بين أقدار الحالات ، فيجعل لكل طبقة من ذلك كلاماً و لكل حالة من ذلك مقاماً حتى يقسم أقدار الكلام على أقدار المعاني و يقسم أقدار المعاني على أقدار المقامات و أقدار المستمعين على أقدار تلك الحالات)[6]

كما وضع الخليل بن أحمد لأوزان القصيدة و قصار الأرجاز ألقاباً لم تكن العرب تتعارف تلك الأعاريض بتلك الألقاب و تلك الأوزان بتلك الأسماء)[7]. و قال قد تحسن أيضاً ألفاظ المتكلمين في مثل شعر أبي نواس، و في كل ما قالوه على وجه التَّظرُّف و التملح .

كقول أبي نُواس:

---

[1]-المرجع السابق ص٩٨

[2]-البيان والتبين ج١ ص١١٦

[3]-المرجع السابق ص ١٣٠

[4]-المرجع السابق ص١٣٣

٦-المرجع السابق (ص ١٣٩)

[6]-المرجع السابق (ص ١٤٠)

[7]-المرجع السابق ص١٤٠

وذات خـــــــدٍ مُـــورَّد   قُوهّية المُتَجَـــــــــرَّدْ
تأمّلُ العَيْنُ منهـــــا   محاسناً ليس تنفَـــــــدْ
فبعضُها قد تَناهَـــى   و بعضُها يتولّـــــــــدْ
و الحســــــنُ في كلِّ   عضوٍ منها مُعادٌ مُـــــردَّدْ

و من قضايا التحكيم قال أبو عمرو بن العلاء: اجتمع ثلاثة من الرُّواة فقال لهم قائل أيّ نِصفِ بيت شعرٍ أحكَمُ و أوجَز ؟ فقال أحدهم قول حُميد بن ثَور الهِلاليّ *:

(و حَسْبُكَ داءً أن تَصحَّ و تَسلما)

قال أبو عثمان لعل حُميداً أن يكون أخذه عَن النَّمر بن تولب. وهنا قضية نقدية وهي الأخذ الحسن فإنّ النَّمر قال [١]:

يُحبُّ الفتَى طُولَ السَّلامةِ و الغِنى * فَكيف تَرىَ طُولَ السَلامةِ يَفعلُ

و قال الثاني من الرُّواة الثلاثة: بل قول أبي خراش الهزلي:

(و نُوكَّلُ بالأدنَى و إنْ جَلّ ما يَمضِي).

و قال الثالث: بل قولُ أبى ذُؤيبٍ الهُذَليِّ*:

(و إذا تُردُّ إلى قليلٍ تقنَعُ)

فقال قائل: هذا من مفاخر هُذيل أن يكون ثلاثةٌ من الرُّواة لم يصيبوا في جميعِ أشعار العرب إلاّ ثلاثةَ أنصافٍ، اثنان منها لهذيلٍ وحدها)[٢].

وهنا حكم بجودة شعر قبلية هُذيل على غيرها من القبائل وفضل شعراءها. وحذرالجاحظ من مِيسم الشِّعر ، و من شدّة وقع اللسان و من بقاء أثره على الممدوح و المهجوّ، قال امرؤ القيس بن حُجر:

و لَوْ عَن نَثَا غَيرِهِ جاءني   و جُرْحُ اللِّسان كجرحِ اليدِ

و قال طرَفة في ذلك:

بحُسَامِ سَيفكَ أو لسانِكَ * و الكَلِمُ الأصيل كارغب الكَلِمِ*

١- البيان و التبيين ج١ (ص ١٥٤-١٥٥)

٢-المرجع السابق ص١٥٤-١٥٥* واسمه خراش بن بشر بن مجاشع

* حسام السيف : طرفه الذي يضرب به ، والكَلِم: جمع كلمة ، ارغب : اوسع : والكُلَمِ : الجرح

*سمى البعيث لهذا البيت

هذا من جرح اللِّسان أي يكون وقع كلام اللسان أشدّ ألماً من جرح السهام، و في تراثنا السوداني أمثال تنطبق على هذا. و كان زهير بن أبي سلمي و هو أحد الثلاثة المتقدمين يسمي كبار قصائده (الحوليات) وقال نوح بن جرير قال الحطيئة(خيرُ الشِّعر الحوليّ المنقَّح) و قال البعيث الشاعر*:

تبعث مني ما تبعث بعدما * استمر فؤادي واستمر عزيمي

و كان أخطَبَ النّاس (إنِّي والله ما أُرسِل الكلامَ قضيباً خشيباً ، و ما أريد أن أخطُبَ يوم الحفل إلا بالبائِت المحكَّك) [١]. وكان الجاحظ يظن أن قولَهم محكّك كلمةٌ مولَّدة.

القضية النقدية التى أثارها الجاحظ هنا ما بين كلمة (محكّك) ، (وبائِت) ، وهما يحملان معنى واحد أيّ كانوا ينقحون شعرهم ولو مكث ذلك حولاً . ومولّدة أيّ كلمة لم يستعملها العرب ومنها الشعراء المولّدين .

قال أبو عثمان قيل لابن التوأم الرقاشى تكلم فقال: (ما أشتهي الخُبز إلا بائتاً) قال عبيد الله بن سالم لرؤبة مُتْ يا أبا الجحاف إذا شئت قال: و كيف ذلك قال: رأيتُ اليوم عُقبةَ بن رؤبة ينشد شعراً له أعجبني قال: فقال رؤبة نعم إنّه ليقول و لكن ليس لشعره قِرَانٌ) [٢]. و يُريد بقوله قِران التشابه و الموافقة.
قال عُمر بن لجأٍ لبعض الشُّعراء أنا أشعر منك! قال: وبم ذاك ؟ قال: لأنِّي أقولُ البيت و أخاه و أنت تقولُ البيتَ و ابنَ عمِّه) [٣] .

و كان الأصمعي يفضل شعر النابغة الجعدي و قال (الحطيئة عبدٌ لِشعرِه) و عاب شعره حين وجده كلّه متخيّراً وذلك لمكان الصنعة و التكلف و القيام عليه. و قال بعضُ الشعراء لرجلٍ أنا أقولُ في كلِّ ساعةٍ قصيدةً و أنت تقرِضُها في كلِّ شهرٍ فلم ذلك؟ قال لأنِّي لا أقبل من شيطاني مثلَ الذي تقبَلُ من شيطانِك) [٤]. وهذا ما يؤكد زعمهم بأن هناك وادياً للجن يقولون فيه الشعر. و أنشد عُقبة بن رؤبة أباه رؤبة بن العجاج شعراً و قال له كيف تراه قال يا بُني إنّ أباك ليَعرِضُ له مثلُ هذا

[١]-البيان والتبين ج ١ص ٢٠٤
[٢]-المرجع السابق ص٢٠٥
[٣]-المرجع السابق ص٢٠٧
[٤]- المرجع السابق (ص ٢٠٧)

يميناً و شمالاً فما يلتفت إليه)[1]. أيّ إنه كان يتخيّر و ينتخب المستوى من الشعر، ورأوا مثل ذلك في زهيرٍ وابنه كعب.

وقيل لعَقِيل بن عُلَّفَة لِمَ لا تُطِيل الهجاء؟ قال: يكفيك من القلادة ما أحاط بالعُنق)[2]. وقيل لابن المقفع لم لا تقول الشعر فقال (الذي أرضاه لا يجيئني و الذي يجيئني لا أرضاه)[3]. والقضية التي أثارها الجاحظ هنا أن للشّعر أوقات. وروى الجاحظ أن الفرزدق الذي كان يلقب بزير النساء ليس له بيتٌ واحدٌ مذكور في النسيب و جريرٌ عفيفٌ لم يَعشَق امرأةٌ قطّ ، وهو مع ذلك أغزَلُ النّاسِ شِعراً. و قال الفرزدق أنا عند الناس أشعرُ النّاس و رُبَّما مرَّتْ عَلَيَّ ساعةٌ و نزعُ ضرسٍ أهونُ عليَّ من أن أقول بيتاً واحداً)[4].

[1]-المرجع السابق ص٢٠٧
[2]-المرجع السابق ص٢٠٧
[3]-المرجع السابق ص٢٠٨
[4]-المرجع السابق ص ٢٠٩

المبحث الرابع

البلاغة عند الجاحظ:

١-التشبيه:

كتب الجاحظ عن التشبيه فى كتبه وبخاصة كتاب (الحيوان) وهذا الحديث أتي عن طريق عرض نماذج متنوعة له من الشعر . وعلق على هذه الأمثلة مما يوضح أنه كان على علم بأركان التشبيه ومواضع حسنه وقبحه،والقيمة البلاغية.

وفي كلامه عن التشبيه نجده قد التفت إلي المستحسن والمستقبح من أجناس المشبه به التي تكثر في الشعر العربي والتي تواضع عليها الشعراء ، وتحدث عن وجه الشبه ولزوم كونه أقوى في المشبه ومما يدل على درايته بالشعر ودقة فهمه لبعض أوجه الشبه غير الواضحة، وتناول بيت ذي الرمة:

وليلٍ كجِلبابِ العَرُوسِ ادَّرَعْتُه * بأربعةٍ والشخصُ في العَينِ واحدُ

فقد علق عليه الجاحظ بقوله (فإنه ليس يريد لونَ الجلباب، ولكنه يريد سُبوغَه)[1] .

وأشار إلي استحسان البلاغيين لتشبيه شيئين بشئيين في حالتين مختلفتين في بيت واحد ،وذلك فى قوله:

كأنَّ قلوبَ الطَّيرِ رَطباً ويَابساً * لدَى وَكْرِهَا العُنَّابُ و الحشَفُ البالِي[2]

وفي رده على مزاعم الملاحدة الناشئة من عجزهم عن إدراك صور البيان في بعض الآيات الكريمة وأسرارها البلاغية نجده يعيبهم بنقص المعرفة بأساليب القول، ودعا كل من يريد الإلمام بمعاني القرآن والسنة النوبية أن يُحسن فهمَ أسرار العربية ودلالاتِ ألفاظها وأساليبها.

وأوضح ذلك بقوله:(فللعرب أمثالٌ واشتقاقات وأبنية وموضِعُ كلام يدل عندهم على معانيهم وإرادتهم ، ولتلك الألفاظ مواضِعُ أخر، ولها حينئذ دَلالات

---

[1] كتاب الحيوان : ج٣ ص٢٥٠

[2] كتاب الحيوان :ج٣ ص ٥٣ ، والحشف : اردا النمر : واليابس الفاسد منه

أُخرُ. فمن لم يعرفها جهِل تأويلَ الكتابِ والسنة، والشاهدِ والمثل. فإذا نظر في الكلام وفي ضروبٍ من العلم ، وليس هو من أهل هذا الشأن هلَك وأهلك)[1].

٢-المجاز:

وإلي جانب التشبيه تكلم الجاحظ عن المجاز بأنواعه : وهو مجاز عقلي ومجاز مرسل واستعارة . فمن المجاز قال: (وإذا قالوا : أكله الأسد، فإنما يذهبون إلي الأكل المعروف ، وإذا قالوا : أكله الأسود[*] ، فإنما يَعنُون النهشَ واللدغَ والعَضِّ فقط . وقد قال الله عزّ وجلّ: (أيحُبُّ احَدُكمْ أنْ يَأكُلَ لَحْمَ أخِيهِ مَيْتاً)[1]. ويقولون في باب آخر :(فلان يأكل الناس ، وإن لم يأكل من طعامهم شيئاً، وكذلك قول دهمان النهري:

سألَتْنِي عن أُنُاسٍ أكلُوا * شَرِبَ الدَّهْرُ عليهْم وأكَلْ

فهذا كلُّه مختلف ، وهو كلُّه مجاز)[٢].

والمجاز العقلي الذي هو إسناد الفعل أو ما في معناه لغير فاعله الأصلي مع قرينة مانعة من إرادة الإسناد الحقيقي ، قد عرَّفَه بالمثال التالى فقال: (وقد جاز فى كلام العرب أن يقولوا : جاءت السماء اليوم بأمر عظيم).

وعرف المجاز المرسَل وعلّل له حين فسّر قولَه تعالى: (ثُمَّ كلُِي مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلاً يَخرُجُ مِن بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاء لِلنَّاسِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ)[٢] . فقال: إن العسل ليس بشراب ، وإنما يُحوَّل بالماء شراباً أو بالماء نبيذاً ، فسمّاه شراباً ، إذ كان مما يجيء منه الشراب ، ولهذا قال إن تسمية الشيء باعتبار ما سيكون أو ما سيئول إليه جائز في البيان العربي.

٣-الاستعارة:

أما الاستعارة فقد مثل لها بقول الشاعر[٣]:

---

[1]كتاب الحيوان: ج١ ص ١٥٣ – ١٥٤

[*]الاسود هنا: نوع خبيث من الافاعي

[1]سورة الحجرات الاية ١٢

[٢]كتاب الحيوان: ج٥ ص ٢٧ – ٢٨

[٢]-سورة النحل الايه٦٩

[1]-البيان والتبين –ج١-ص١٥٢

يا دارُ قد غَيَّرها بِلاَهَا * كأنْما بقَلَمٍ مَحاها

أخرَبها عُمرانُ مَن بَناها * وكرُّ مُمساها على مَغناها[1]

وطفِقتْ سحابةٌ تَغشاها * تَبكِي على عِراصِها عيناها[2]

وقد علق على البيت الثالث بقوله :وطفِقتْ، يعني ظلت تبكي على عراصها عيناها(عيناها هاهنا للسحاب) وجعل المطر بكاءً من الحساب على طريق الاستعارة ، وتسمية الشيء باسم غيره إذا قامَ مقامَه[1].

فالجاحظ عرَف الاستعارة وسمَّاها حسب مفهومه لها.

٤-الكناية:

الكناية عند الجاحظ وردت بمعناها العام ، وهو التعبير عن المعنى تلميحاً لا تصريحاً وإفصاحاً كلما اقتضى الحالُ ذلك.

نستنتج ذلك من قوله (رُبَّ كناية تُربِي على إفصاح) أورد الجاحظ تعريف البلاغة عند الهنود ، إذ قال: (قال بعض الهنود: جِماع البلاغة البَصَرُ بالحجة ، والمعرفةُ بمواضع الفرصة .ومن البَصَر بالحجة ، والمعرفةِ بمواضع الفرصة أن تدَع الإفصاحَ بها إلي الكناية عنها إذا كان الإفصاحُ أوْعرَ طريقة . وربما كان الإضرابُ عنها صفحاً أبلغ في الدَّرَك ، وأحقَّ بالظَّفَر)[2].

وأورد ضمن ما أورده في حديثه على تناسب الألفاظ مع الأغراض قال:

(ولكلِّ ضربٍ من الحديث ضَرْبٌ من اللفظ، ولكلِّ نوعٍ مِن المعاني نوعٌ من الأسماء: فالسَّخيفُ للسخيف، والخَفِيفُ للخفيف، والجَزلُ للجَزل، والإفصاحُ في مَوضع الإفصاح، والكِنايةُ في موضع الكناية، والاسترسال في موضع الاسترسال.)[3].

الكناية معدودة عند الجاحظ من الأساليب البيانية التي قد يتطلبها التعبير ولا يجوز العدول عنها إلي صريح اللفظ .

---

[1]-اخربها عمران من بناها: عمرها بالخراب ، لان مدة بقاء بانيها فيها ابلت منها ، لان الايام مؤثرة في الاشياء بالنقص والبلـــى ، فلما بقي الخراب فيها، وقام مقام العمران في غيرها سمي بالعمران.

[2]-والعراص: جمع عرصة، وهي كما يقول الجاحظ كل دوبة منفتقة ، والجوابة : فجوة ما بين البيوت.

[1]-الحيوان ج ٣ ص٣٩

[2]-البيان والتبين ج-١ص٨٨

[3]-الحيوان ج٣ ص٣٩

٥-الإيجاز والإطناب :

عرّف الجاحظ الإيجاز بأنه (الجمع للمعاني الكثيرة بالألفاظ القليلة)٢. كما توسع الجاحظ في الكلام عن الإيجاز والإطناب وبعض القضايا البلاغية الأخرى .وذلك في قوله:(وقد بقيتْ – أبقاك اللّه تعالى – أبوابٌ توجب الإطالة، وتُحوج إلى الإطناب، وليس بإطالةٍ.ما لم يُجاوزْ مِقْدارَ الحاجة، ووقف عند منتهى البغية.

وإنما الألفاظ على أقدار المعاني، فكثيرُها لكثيرها، وقليلها لقليلها، وشريفُها لشريفها، وسخيفها لسخيفها، والمعاني المفردةُ، البائنة بصُورها وجهاتها، تحتاج من الألفاظ إلى أقلَّ مما تحتاج إليه المعاني المشتركة، والجهاتُ الملْتبسة.

ولو جَهِد جميعُ أهل البلاغة أن يُخبروا من دونهم عن هذه المعاني، بكلام وجيز يُغْني عن التفسير باللِّسان، والإشارة باليد والرأس – لما قَدَرُوا عليه،

وقالوا قديماً:(إذا لم يكنْ ما تُريدُ فأرِدْ ما يكون)، وليس ينبغي للعاقل أن يسُوم اللُّغاتِ ما ليس في طاقتها، ويسومَ النُّفوس ما ليس في جِبلَّتها،ولذلك صار يحتاجُ صاحبُ كتاب المنطق إلى أنْ يفسِّره لمَنْ طُلب مِنْ قبَلِه علم المنطق، وإن كان المتكلمُ رفيق اللِّسان، حسن البيان، إلاّ أنِّي لا أشُكُّ على حالٍ أنَّ النفوسَ إذْ كانتْ إلى الطَّرائف أحنَّ، وبالنَّوادر أشغف، وإلى قصار الأحاديث أمْيل، وبها أصبَّ – أنَّهاخليقةٌ لاستثقال الكثير، وإن استحقَّت تلك المعاني الكثيرة، وإنْ كان ذلك الطَّويلُ أنفعَ،وذلك الكثيرُ أردّ)[١].

فقد يطول الكلام وهو في رأيه إيجاز ، لأنه وقف عند منتهى البُغية ، ولم يجاوز مقدار الحاجة .وعليه فمقياس الإيجاز في نظر الجاحظ هو أداء حاجة المعنى وعدم تجاوز مقدار هذه الحاجة أو النكوص عنها.

أما الإسهاب فقد أورد الجاحظ تعليقاً على رأي إياس*:(قيل لإياسٍ: ما فيك عيبٌ إلاّ كثرةُ الكلام، قال: فتسمعون صواباً أم خطأً؟ قالوا: لا، بل صواباً، قال: فالزِّيادة من الخير خير)[٢]

---

[١]-الحيوان-ج٦-ص٦-٧

*هو اياس بن معاوية بن قرة ، ولاه عمر بن عبد العزيز قضاء البصرة ، وتوفي سنة ١٢٢هـ ، وهو معدود من البلغاء المعروفين بجودة الفراسة ، ولكثرة كلامه قال له عبد الله ابن شبرمة: انا وانت لا نتفق انت لا تشتهي ان تسكت وانا لا اشتهي ان اسمع.

[٢]البيان و التبيين ج١،ص٩٩

وعلق الجاحظ على كلام إياس السابق بقوله (وليس كما قال: الكلام غاية ولنشاط السامعين نهاية وما فضل عن قدر الاحتمال ودعا إلي الاستثقال والمَلَال ، فذلك الفاضلُ هو الهَذَر، وهو الخطّل وهو الإسهاب الذي سمعتُ الحكماءَ يَعيونه)[٢] .

٦ –الجاحظ والبديع:

الجاحظ الذي قدر الأسلوب وعلاه على المعنى قد اهتم بالبديع والنظر إليه من جوانب متعددة ، وذلك لأثره في الارتفاع بقيمة الأسلوب الفنية والتعبيرية.

فالجاحظ يرى أن (البديع مقصور على العرب ، ومن أجله فاقت لغتهم كلِّ لغة ، وأرْبَتْ على كلِّ لسان)[١]. وطواعية اللغة العربية وسعة مفرداتها التي جعلت الشاعر والأديب أن يكتب ويُعبر عن أفكاره وخواطره بشتى أساليب البديع. ومن ناحية ثانية أرخ لمذهب البديع في الشِّعر ، ولمن أجادوا فيه ومن اتبعوه وأخذوا به من الشعراء المحدثين والمولّدين.

فبشار بن برد هو إمام مذهب البديع، والراعي كثير البديع في شعره ، والعتابي يذهب في شعره مذهب بشار ، ويحتذي حذوه فيه .وعلى حَذْوه ومثاله في البديعِ يقولُ جميعُ من يتكلَّف مِثْلَ ذلك من شعراء المولَّدين، كنحومَنْصُورٍ النَّمَري، ومسلم بن الوليد الأنصاريّ وأشباهِهما، وكان العتابيُّ يحتذِي حَذْوَ بشَّارفي البديع، ولم يكن في المولَّدين أصوبُ بديعاً من بشَّارٍ، وابن هَرْمة، والعتابيُّ من ولد عمرو) [٢] .

قضايا البديع

تناول الجاحظ قضايا البديع لعلاقاتها بصناعة الأسلوب وأثرها فيه.وهذا عرض موجز لأهم القضايا البديعية التى تناولها:

---

[٢]المرجع نفسه: ج١ ص٩٩

[١]المرجع السابق،ص٥٥-٥٦

[٢] المرجع نفسه: ج١ –انظر ص ٥١

٧-**السجع:**

اعتنى الجاحظ بالسجع كمُحسن لفظيّ وأورد له نماذجاً مختلفة أشار فيها بأثره في الكلام وتأثيره في النفوس .

و في حديثه على السجع ذكر من يؤثرونه على المنثور ، وإلي رأي بعض النقاد في موقف الرسول صلى الله عليه وسلم من السجع ، وإلي إبداء رأيه أيضاً في ذلك من يدعون أن بعضَ القران وأحاديثِ الرسول شعرٌ.

ذكر الجاحظ أن عبد الصمد الرقاشيُّ كان ممن يُؤثرون السجع على المنثور وفى ذلك قال: (قيل لعبد الصّمد بن الفضل بن عيسى الرقاشي: لِمَ تؤثرُ السَّجع على المنثور، وتلزمُ نفسَك القَوافِيَ وإقامةَ الوزن؟ قال: إنَّ كلامي لو كنتُ لا آمُلُ فيه إلاّ سماع الشاهد لقلّ خلافي عليك، ولكنِّي أريد الغائبَ والحاضر، والراهن والغابر؛ فالحفظُ إليه أسرع، والآذان لسماعه أنشَط؛ وهو أحقُّ بالتقييد وبقلّة التَّفلُّت، وما تكلَّمَتْ به العربُ مِن جيِّد المنثور، أكثرُ ممّا تكلمت به من جيِّد الموزون، فلم يُحفظْ من المنثور عُشرُه، ولا ضاع من الموزون عُشره)[1] .

هذا رأي الجاحظ في بلاغة الكلام ، وأن للصنعة أثرها الفعّالَ في بقاء الأدب، وفي سهولة حفظه، وسيله على ألسنة الناس ولولا الصنعة لأندثر الأدب كما أندثر سائر الكلام المنثور ، ولم يُحفظ ويؤثر إلاّ ما كساه التصنيع)[2] .

أما رأي الرسول صلى الله عليه وسلم في السجع وموقفُ النقاد منه إلي عصر الجاحظ ، نجده في سؤال السائل لرسول الله قائلاً: (يا رسول اللَّه، أرأيتَ مَن لا شرِب ولا أكل، ولا صاح واستهلّ، أليس مثلُ ذلك يُطَلّ، فقال رسول اللَّه صلى الله عليه وسلم : أسَجْعٌ كسجع الجاهليَّة، قال عبد الصَّمد: لو أن هذا المتكلِّم لم يُرد إلاّ الإقامة لهذا الوزن، لما كان عليه بأسٌ، ولكنّه عسى أن يكون أراد إبطالَ حقٍّ فتشادَقَ في الكلام. وقال غيرُ عبد الصمد: وجدْنا الشِّعرَ: من القصيدِ والرجز، قد سمعه النبيُّ صلى الله عليه وسلم فاستحسنه وأمر به شعراءه، وعامَّةُ أصحاب رسول اللَّه صلى الله عليه وسلم قد قالواشعراً، قليلاً كان ذلك أم كثيراً،

---

[1] البيان والتبيين: ج١ ص٢٨٧

[2] دراسات في نقد الادب العربي للدكتور بدوي طبانة: انظر ص ١٣٦

واستَمعوا واستنشَدوا، فالسجع والمزدوج دون القصيد والرجز، فكيف يحلُّ ما هو أكثر ويحرمُ ما هو أقلّ)[٣].

ونفهم من هذا القول أن أصحاب رسول الله يرون أن كلمة الرسول (أسجعُ كسجع الجاهليةِ؟) لا تعني أنه نهي عن السجع أو حرمه.

وهناك فريق أخر غير الرقاشيّ يرى أن القليل من السجع محمود،و الإكثار من السجع مدعاة إلي التكلف والاستكراه .(أنّ الكلامَ إذا قلَّ وقَعَ وُقوعاً لا يجوز تغييره، وإذا طال الكلامُ وجدْتَ في القوافي ما يكون مجتَلَباً، ومطلوباً مستَكرَهاً، ويُدْخَل على مَن طعن في قوله في قوله: "تَبَّت يَدَا أَبي لَهَبٍ" المسد:١ وزعم أنّه شعر؛ لأنه في تقدير مستفعلن مفاعلن، وطعن في قوله في الحديث عنه:

هل أنت إلاّ إصبعٌ دمِيتِ وفي سبيل اللَّه ما لقِيتِ

فيقال له: اعلمْ أنّك لو اعترضْتَ أحاديثَ النّاس وخطبَهم ورسائلَهم، لوجَدْتَ فيها مثلَ مستفعِلين مستفعِلن كثيراً، ومستفعلُنْ مفاعِلُن، وليس أحدٌ في الأرض يجعلُ ذلك المقدار)[٢] .

أما الجاحظ فيبدوا أنه كان يرى القائلين بأن الرسول نهى عن السجع لعلة ، وأنه لما زالت العلة زال التحريم.

قال الجاحظ: (وكانَ الذي كَرّه الأسجاعَ بعينها وإن كانت دون الشعر في التكلف والصنعة، أَنَّ كُهَان العرب الذين كان أكثرُ الجاهليةيتحاكمون إليهم، وكانوا يدَّعون الكِهانةَ وأنَّ مع كلِّ واحدٍ منهم رَئِيّاً من الجن مثل حازِي جُهينة، ومثل شقّ وسَطيح، وعُزَّى سَلِمِة وأشباهمُ، كانا يتكهَّنون ويحكُمون بالأسجاع؛ كقوله: والأرض والسَّماء، والعقابِ الصَّقْعاءُ، واقعةً ببقعاءُ، لقد نَفَّر المجدُ بني العُشَراءِ،

للمجْد والسَّناء، وهذا الباب كثيرٌ، ألا ترى أن ضَمْرة بن ضَمرة، وهَرِم بن قُطْبة، والأقرع بنَ حابس، ونُفيل بن عبدِ العُزَّى كانوا يحكُمون وينفِّرُون بالأسجاع وكذلك ربيعة بن حُذَار، قالوا: فوقع النَّهيُ في ذلك الدهر لُقرْب عهدهم بالجاهليَّة، ولبقيتَّها فيهم وفي صدورِ كثير منهم، فلما زالت العلّة زال التحريم، وقد كانت

---

[٣] البيان والتبيين : ج١ ص ٢٨٧ . ويطل : اي يهدر دمه

[٢] المرجع نفسه : ج١ ص ٢٨٨

الخطباءُ تتكلم عند الخلفاء الراشدين، فيكونُ في تلك الخُطب أسجاعٌ كثيرة، فلا ينهَوْنَهم).[٣]1

ذكر الجاحظ أن العرب ألفوا السجع واستعملوه في منافرتهم ومفاخرتهم ، ولم يعبه أحد منهم إلا بالتكلف أو التعسف الذي يفسد القول ويقلل من قيمته الجمالية والبلاغية.هذا ملخص عن السجع عند الحافظ

٨-المزدوج:

وهو نوع من السجع تتفق فيه أجزاء الكلام أو فواصله في الحرف الأخير الذي يكون أشبه ما يكون بروي القافية في الشّعر. ومن امثلته قوله تعالى ((فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ*وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ))[١] ((فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ *وَإِلَى رَبِّكَ فَارْغَبْ))[٢] *

وقد عقد الجاحظ باباً خاصاً للمزدوج وأورد بعض الأمثلة توضيحاً له. من ذلك :قول النبي صلى في معاوية (اللهم علِّمه الكتاب والحساب، وقِهِ العذاب). وقال مالك بن الأخطل قد بعثه أبوه ليسمع شعر جرير و الفرذدق فسأله أبوه عنهما فقال : (جرير يغرف من بحرٍ و الفرذدق ينحت من صخر.فقال الذي يغرف من بحر أشعرهُما)[١] .

وإذا تأملنا أسلوب الجاحظ نجد أن المزدوج يشيع فيه ، وهذا يدل على إعجابه به .

٩-المذهب الكلامي:

قال ابن المعتز فى كتابه البديع: (والبديع وهو مذهب سماه عمرو الجاحظ المذهب الكلاميّ. وهذا باب ما أعلم أني وجدت في القرآن منه شيئاً وهو ينسب إلى التكلف تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً) . وابن المعتز لم يذكر مفهوم الجاحظ لهذا الفن

---

[٣]المرجع نفسه : ص٢٨٩ ، والرني : هو الذي يعتاد الانسان من الجن يحبه ويؤلفه وشق بن انمار نزر: زعموا انه كان شق انسان له يد واحدة ، ورجل واحدة ، وعين واحدة ، وعزى سلمة بن ابي حية: كان اكهن العرب واسجعهم ، والصقعاء: التي فـي وسـط راسها بياض ، البقعاء : الارض ذات الحصى ونفرهم : حكم لهم بالغلبة على غيرهم ، وبنو للعشراء بنو مازن الفرازي الذباني

[١]-سورة الضحى الايه ٩-١٠

[٢]-سورة الشرح الايه ٧-٨

*فاذا فرغت فانصب: اي اذا فرغت من عملك الخاص وباهلك واصحابك فانصب اي اجتهد في كل عمل يقربك من ربك

[١]- البيان والتبيين: ج٢ ص ١١٦

البديعي.ولكنه ذكر بعض الأمثلة التى توضح المراد منه ومن تلك الأمثلة قول الفرذدق:

لكل امرىءٍ نفسان : نفسٌ كريمةٌ * وأخرى يعاصيها الفتى ويطيعُها
ونفسُك من نفسيك تشفع للنَّدى * إذا قَلَّ من أحــــرارهن شفيعُها

وقول أبي نواس:

إنَّ هـــــذا يَرَى – ولا رأي للأحمــق – أني أعــدُّه إنساناً

وإذا فحصنا هذين المثالين نجد أن كلاً من الفرذدق وأبى نُواس يدعي دعوة ثم يحاول البحث عن دليل مقنع عليها ، تماماً كما يفعل المتكلمون) [1] .

وأرى أن الجاحظ وابن المعتز يُريدان بالمذهب الكلامي: الاحتجاج والجدل والتماس العلل .

ويؤيد ذلك قول الجاحظ في معرض الاستدلال (ولولا استعمال المعرفة لما كان للمعرفة معنى، كما أنّه لولا الاستدلال بالأدلة لما كان لوضع الدلالة معنى، وللعقل في خلال ذلك مجال، وللراي تقلب ، وتنتشر للخواطر أسباب ، وياتيهما لصواب الرأي باب)[2] .

والجاحظ انتقد من يتكلفون أداء الكلام على طريقة المتكلمين ، ظناً منه أن التكلف من شأنه أن يقودهم للإتيان بالغريب من التراكيب.

١٠–<u>التقسيم</u>:

هو استيفاء المتكلم أقسام المعنى الذي هو آخذ فيه، وذلك نحو قوله تعالى (هُوَ الَّذِي يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفاً وَطَمَعاً وَيُنْشِئُ السَّحَابَ الثِّقَالَ)[1]. فليس في رؤية البرق غير الخوف من الصواعق والطمع في الأمطار .

وأشار الجاحظ إلي هذا الأسلوب البديعي ونوه بجودته و واتخذه أسلوباً علل به استحسان عمر بن الخطاب لبعض شعر زهير بن أبي سُلمى وعبدة بن الطبيب .

---

[1] كتاب البديع لابن المعتز: ص ٥٣ – ٥٧

[2] كتاب الحيوان: ج٢ ص ١١٥ – ١١٦

[1]-سورة الرعد الايه١٢

قال الجاحظ : ولقد أنشدوه شعراً لزهير – وكان لشعره مقدماً فلما انتهوا إلي قوله:

فَإِنَّ الحَقَّ مَقطَعُهُ ثَلاثٌ   يَمينٌ أَو نِفارٌ أَو جِلاءُ

قال عمر كالمتعجب من علمه بالحقوق وتفصيله بينها ، وإقامة أقسامها:

فَإِنَّ الحَقَّ مَقطَعُهُ ثَلاثٌ   يَمينٌ أَو نِفارٌ أَو جِلاءُ

يُردد البيت من التعجب . وأنشدوه قصيدة عبدة بن الطبيب الطويلة على اللام ، فلما بلغ المنشدُ الي قوله:

والمرءُ ساعٍ لشيءٍ ليس يُدركه   *   والعيشُ: شُحٌّ وإشفاقٌ وتأميلُ

قال عمر متعجباً:(شُحٌّ وإشفاقٌ وتأميلُ).

يُعجِّبهم من حسن ما قسَّم وفصَّل) [1].

١١-الاحتراس:

وهو كلام يأتى به المتكلم فىأثناء كلام آخر للتخلص مما يوهم خلاف المقصود. وقد أشار الجاحظ إليه.

وقد أطلق عليه الجاحظ اسم (إصابة المقدار) .وقال :قال طَرَفة في المقدار وإصابته:

فسقَى ديارَكَ غيرَ مُفْسِدِها   *   صَوبُ الرّبيع ودِيمةٌ تَهمِي

طلب الغيثَ على قَدْر الحاجة، لأن الفاضل ضارّ، وقال النبيُّ صلى الله عليه وسلم في دعائه: (اللهمَّ اسقِنا سقياً نافعاً، لأنّ المطر ربّما جاءَ في غير إبَّان الزّراعات، وربما جاء والتّمر في الجُرْنِ، والطّعام في البَيادر، وربّما كان في الكثرة مجاوزاً لمقدار الحاجة، وقال النبي صلى الله عليه وسلم : اللهمّ حوالَيْنا ولا علينا)[2].

يُريد اللهم أنزل الغيث علينا في مواضع النبات لا في مواضع الأبنية،

---

[1] البيان والتبيين : ج١ ص٢٤٠ ، وكتاب الحيوان : ج١ ص٤٦.

[2] البيان والتبيين: ج١ ص٢٨٨ ، والجرن الجرين : موضع التمر الذي يجفف فيه ، ويطلق ايضاً على موضع البر والعنب ، والبيادر : جمع بيدر ، وهو الموضع الذي يداس فيه الطعام

١٢-الاقتباس:

وهو أن يضمَّن المتكلم كلامه كلمةً من آية أو آية من كتاب الله أو حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم . وقد أشار الجاحظ إلي اقتباس الخطباء من آي الذكر الحكيم ، وأنهم(كانوا يستحسنون أن يكون في الخُطَبِ يومَ الَحَفْل، وفي الكلام يوم الجَمْع آيٌ من القرآن ؛ فإن ذلك مما يورث الكلام البهاءَ والوَقار، والرّقة، وسَلَس الموقِع)[١].

كما ذكرالجاحظ أن أكثر الخطباء لا يتمثلون في خطبهم الطوال بشيء من الشعر ، ولا يكرهونه في الرسائل إلاّ أن تكون إلي الخلفاء .

١٣-أسلوب الحكيم:

(يُقصد بأسلوب الحكيم تلقى المخاطب بغير ما يترقبه ،إما بترك سؤاله والإجابة عن سؤال لم يسأله، وإما بحمل كلامه على غير ما كان يقصد ، إشارة إلي أنه كان ينبغي أن يسأل هذا السؤال أو يقصد هذا المعنى)[٢].

ومن أمثلة ذلك قوله تعالى(يَسْأَلُونَكَ عَنِ الأهِلَّةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوْاْ الْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا وَلَـكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَى وَأْتُواْ الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا وَاتَّقُواْ اللّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ) [٣] .

فالسؤال هنا عن حقيقة الأهلة : لمَ تبدو صغيرة ، ثم تزداد حتى يتكامل نورها ثم تضاءل حتى لا ترى؟ وهذه مسألة من مسائل الفلك ، وفهمها وقتئذ يحتاج إلي دراسة علمية عميقة، وأن القرآن قد عدل عن الإجابة عنها إلي بيان أن الأهلة وسائل للتوقيت في المعاملات والعبادات. وفي هذا إشارة إلي أن ما كان ينبغي أن يسأل عنه هو فائدة الأهلة لاحقيقتها [٤].

قد لاحظ الجاحظ أسلوب الحكيم وأطلق عليه (اللغز في الجواب) وأورد له الأمثلة نأخذ منها ما يلي:-

---

[١]-البيان والتبين –ج١-ص١١٨

[٢]-تاريخ النقد الادبى عند العرب –د.عبد العزيز عتيق –دار النهضة العربية للطباعة والنشر –بيروت-ط٤-١٩٨٦

[٣]-سورة البقرة الايه١٨٦

[٤]-عتيق-انظر ص٣٥٦

(وقد سأل رجل بلالاً مولى أبي بكر رحمه اللَّه وقد أقبل من جهة الحلْبة، فقال له: من سَبَقَ؟ قال: سبَق المُقَرَّبون، قال: إنّما أسألك عن الخيل، قال: وأنا أجيبُك عن الخير، فترك بلالٌ جواب لفظه إلى خبَرٍ هو أنفعُ له)[1] .

قالوا: كان الحُطيئة يرعَى غنماً له، وفي يده عصا، فمرّ به رجلٌ فقال: يا راعيَ الغنم، ما عندك؟ قال: عجراءُ من سَلَمٍ، يعني عَصَاهُ، قال: إنِّي ضيف، فقال الحطيئة: للضّيفان أعددتُها) [2]

وقال الحجَّاج لرجلٍ من الخوارج: أجَمَعْت القرآن؟ قال: أَمتفرِّقاً كان فأجمعَه، قال: أتقرؤه ظاهراً؟ قال: بل أقرؤه وأنا أنظر إليه، قال: أفتحفظُه؟ قال: أخشِيتُ فِراره فأحفظَه، قال: ما تقول في أمير المؤمنين عبد الملك؟ قال: لعَنَه اللَّه ولعنَكَ معه، قال: إنّك مقتول فكيف تَلقَى اللَّه؟ قال: ألقَى اللَّه بعملِي وتلقاه أنت بدمي) [3]

من هذه الأمثلة السابقة يتضح أن هذا الأسلوب الذي سماه الجاحظ (اللغز في الجواب) قد استعمله العرب لأغراض مختلفة .

هذا ما أُثر عن الجاحظ من آراء فى البلاغة والنقد، منها ما أخذه من سابقيه ومعاصريه ، ومنها ما بدى له شخصياً فما سبق عرض موجز لهذه القضايا النقدية من وجهة نظر الجاحظ.

---

[1] البيان والتبيين: ج٢ ص٢٨٢

[2] المرجع السابق : ج٢ ص ١٤٧

[3] المرجع السابق: ج١ ص١٤٨

الفصل الثانى

ابن قتيبة وكتابه المعانى الكبير

المبــحث الأول

ابن قتيبة

العصر الذي نشأ فيه

١-الحالة السياسية :-

عاش أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة في عصر بني العبــاس ، فــي النصف الثاني من القرن الثالث الهجري ، ولد علي عهد المأمون بن الرشيد ،أيام كانت الدولة العباسية في أوج مجدها وازدهارها)[١] .ظهرت في هذا العصر كثير من الفتن نتيجة ذلك الصراع الذي استفحل بعد موت الرشيد بين العرب و الفرس علي السلطان كفتنة الأمين و المأمون وسلسلة من الأضطرابات والحروب الأهلية. ومن أشهر الفتن فتنة نصر بن شيث الذي كانت دعوته الانتصار للعروبــة مــن تغلب الفرس وكان يقول (إنما حاربتهم أي بني العباس محاماة عن العرب لأنهــم يقدمون عليهم العجم)[٢].

واجه المأمون كل تلك الأحداث مجتمعة أو متتابعة فما لان لها ولا تخاذل فعالجها بالقوة حيناً حتى يبسط هيبة الدولة وبالحكمة والسياسة حينــاً آخــر حتــى يكون بينه وبينهم شعرة معاوية (وكان من حسن سياسته أن اختار لولايــة عهــده علي الرضي بني موسى بن جعفر الصادق ثامن أئمة الشيعة الاثنى عشرية ،أمــر جنده بطرح السواد شعار العباسين وليس الثياب الخضر شعار العلــويين وذلــك ليهدئ ثورتهم المندلعة وليكسبهم إلي جانبه ،فأغضب هذا جماعــة أهــل الســنة واعتبر المسعودي المؤرخ ذلك من زلات المأمون) [٣].

ويمكن القول إن المأمون كان(متشجعاً للعلماء والأدباء ممــا ســبب تلــك النهضة الكبرى في ضروب المعرفة و في علو شأن الفكــر وقيــام كثيــر مــن الحركات الفكرية مثل حركة المعتزلة التي آمن بها وشجعها وقــرب علماءهــا، كذلك قويت حركة الترجمة من اللغات المختلفة إلي اللغة العربية فأكسبتها ثــروة

---

[١]-نوابغ الفكر العربى –ابن قتيبة –د.محمد زغلول سلام ،دار المعارف –مصر القاهرة –ص٥
[٢]-المرجع السابق ص٦
[٣]المرجع السابق ص٦

كبيرة و وسعت آفاق الفكر الإسلامى فكان لها آثارها البعيدة المدى في التراث الفكري العربي)[1]. توفى المأمون وخلفه المعتصم وكان قائداً شجاعاً له كثير من الانتصارات كفتح عمورية ،الذي خلده الشاعر أبو تمام حين استصرخت امرأة المعتصم أن (وا معتصماه) .وخلد ذلك أبو تمام في قصيدته المشهورة فتح عمورية و التي مطلعها[2]:-

السيفُ أصدقُ أنباءً مِنَ الكُتُبِ * في حَدّهِ الحِدُّ بَينَ الجِدِّ واللَّعِبِ

كما ساعد المعتصم المعتزلة وتذمر من ذلك كثير من أهل السنة. وفى عهده حدثت محنة خلق القرآن المشهورة التي راح ضحيتها كثيرون وتعرض للاضطهاد والتعذيب علماء أهل السنة وكان بينهم الإمام أحمد بن حنبل صاحب المذهب المعروف)[3] .وخلف المعتصم الواثق (٢٢٧-٢٣٢هـ) و جاء بعده المتوكل (٢٣٢-٢٤٧هـ) في هذه الفترة تعاقب على الخلافة ستة خلفاء في خمسة عشر عاماً وهم المنتصر و المستعين والمعتز والمهتدى وابن المعتز والمعتمد وهكذا عاش ابن قتيبة في العصر العباسي الثاني .

٢-الحياة الاجتماعية:-

كان المجتمع البغدادي في العصر الأُموى مجتمعاً خليطاً عناصر و أجناس متباينة فيه العرب والفرس والسريان والترك والروم و لم يكن العنصر العربي سائداً وكان محتفظاً بمراكز القيادة والتوجيه. والمجتمع مقسم إلى ثلاث طبقات الطبقة العليا و الطبقة الوسطي و الطبقة الدنيا ،ويكاد يكون نصفهم من الفرس أو الترك أو اليونان.واشتهرت بغداد بالترف وتغلغل هذا في حياة الناس، ومن مظاهره الجواري والغلمان وهم من لوازم القصور ومجالس اللهو والسمر) [4].

٣-مذهبه

قد عاصر ابن قتيبة من الأئمة الأربعة أحمد بن حنبل (ت-٢٤١هـ) وكان مذهبه رد فعل لحركة المعتزلة، ونتيجة لشيوع كثير من العقائد المختلطة

---

[1]-نوابغ الفكر العربى ص٧
[2]-ديوان ابو تمام بشرح الخطيب التبريزى –ج١ تحقيق محمد عبده عزام –ط ٥-دار المعارف –ص٣٠
[3]-نوابغ الفكر العربى انظر ص٧
[4]-المرجعالسابق ١٧

الوافده من الشرق والغرب ، فكانت دعوته إلى التمسك بالكتاب والسنة والتشدد في ذلك حتى ضرب بها المثل رغبة في المحافظة علي قدسية العقيدة أمام التيــارات الغربية)[١].

٤-العلوم العقلية :-

(يمكن أن نسجل ظاهرة تستدعى الانتباه وهى أن العرب حيث ترجموا كثيراً من تراث اليونان لم يتعرضوا لآدابهم القديمة مثل الإلياذة والأوديسة لهيمروس ولعــل السبب هو ما تفيض به من حكاية لأخبار الآلهة،مما يتنافى مع العقيدة الإســلامية لذلك نبذوها ولم يهتموا بها)[٢].

[١]-نوابغ الفكر العربى ص١٧
[٢]-االمرجع السابق ص١٨

المبحث الثاني

ابـــــن قتيبة فـــي عصـــــــــــــره

١. نشــــــــأته:

هو الإمام البارع المفسر المحدث الفقيه القاضي اللُغوي النحــوي الأديــب الكاتب أبو محمد عبد الله بن مسلم ابن قتيبة الــدينوري* مــن أبٍ فارســي مــن مروالروز و تختلف المصادر في البلد الذي ولد فيه ابن قتيبة، فذكر ابن النديم أنّه بالكوفة ولد)[1]. و ذكر الخطيب البغدادي أنه ببغداد ولد سنة (٢١٣هــ) ، و يبــدو أنه بالكوفة ولد و لم يُقم بها كثيراً فانتقل في صباه على الأرجح إلى بغداد و أطال الإقامة بها حتى عد من أبنائها. و (قُتَيْبةْ) بضم القاف و فتح التاء و سكون اليــاء فباء ثم هاء ساكنة يقول تصغير قِتْبة بكسر القاف و سكون التاء معناهــا المعــي أوالاكاف و هو ما يوضع على ظهر الراحلة.

وقد أثرت حياة بغداد في نشأته الفكرية، تلقي العلم على يد جماعة من علمائها الأجلاء، فأخذ الحديث عن أئمته المشهورين مثل إسحق بن رهويه و تلقى النحــو عن جماعة من علماء الكوفة و البصرة مثل أبي حاتم السجستاني و الذي ســبقه من اللُغويين النابهين من اشتهر بدراسات النحو من البصريين إمامهم سيبويه و من الكوفيين الكسائي. تأثر في شبابه بما يدور في أوساط العلماء من جدل و تنــاظر بين المعتزلة و أهل السنة و أُعجب بالمعتزلة في فجر حياته حكى ذلك في(كتابــه تأويل مختلف الحديث) [2].

و يقال له الدينوري لأنه ولي قضائها فأقام بها مدة اتصــل فيهــا بأؤلئــك المحدثين و الفقهاء، و تدارس معهم أمور الفقه و الدين من ثم عاد إلــى بغــداد ووجد شمس المعتزلة آخذة في الأفول بعد أن ولي الخلافة جعفر المتوكــل الــذي ساعد أهل الحديث و السنة على الظهور على منافسيهم فتقدم ابن قتيبة ليدلي بدلوه و يستنصر للسنة بعد أن كان معتزلياً وجمع من الآراء كتب أعانته على ذلــك . اتصل ابن قتيبة برجال الدولة كعادة غيره من العلماء و الأدباء و عــرف مــنهم

-الفهرس لابن النديم –ط اورباص٧٧،نزهة الالباء فى طبقات الادباء ،لابن الانبارى ،تحقيق محمد ابى الفضل دار نهضة مصر
[1]ص٢٠٩،الكامل لابن الاثير ج٧،بيروت لبنان ص٤٣٨،تاريخ اداب اللغة العربية ،جورج زيدان ،ص ٤٧٨.
[2]تاويل مختلف الحديث ،ص٦١

الوزير أبا الحسن عبيد الله بن يحيى بن حاقان وزير المتوكل و ابن المعتمد وأهدى إليه كتابه(أدب الكاتب)[1]. و استمرت حياته العلمية ببغداد و عمل بالتدريس و كان يقرأ كتبه على تلاميذه منهم ابنه أحمد بن عبد الله بن مسلم و الذي حدث بكتب أبيه.

٢- خُلق بن قتيبة:

كان طيب الخلق و كان يحث دائماً في كل مناسبة على التحلي بكريم الخلق و حميد السجايا و يرى أن التجمل بهمها أفضل من طلب العلم، يقول في مقدمه كتابه (أدب الكاتب) نحن نستحب لمن قبل عنا و ائتم بكتبنا أن يؤدب نفسه قبل أن يؤدب لسانه و يهذب أخلاقه قبل أن يهذب ألفاظه و يصون مرؤ ته عن دناءة الغيبة و صناعته عن شين الكذب فمن تكاملت له هذه الأدوات و أمده الله بأدب النفس من العفاف و الحلم و الصبر و التواضع للحق و سكون الطائر و خفض الجناح فذلك المتناهي في الفضل العالي في ذرى المجد الحاوي قصب السبق الفائز بخير الدارين إن شاء الله تعالى)[2].

وهو يلتمس لنفسه مخرجاً عند ذكر الصورة بصريح لفظها فقال في مقدمة (عيون الأخبار) (إنها لا تؤثم و إنما الإثم في شتم الأعراض و قول الزور و الكذب و أكل لحوم الناس بالغيب)[3]. كما اختتم مقدمة كتابه (أدب الكاتب) بالحث على ترويض النفس على كريم الخصال و تجميلها بالتواضع و حب الحق فقال: و لعل أبرز خلقه التواضع فلم تورثه شهرته العلمية زهواً و لا غروراً فهو لا يدعي لنفسه شيئاً ليس له و لا يتورع عن أخذ العلم من أخس الناس فإن العلم ضالة المؤمن من حيث أخذه نفعه و لعله متأسياً بقول ابن عباس (خذوا الحكمة ممن سمعتموها منه فإنه قد يقول الحكمة غير الحكيم و تكون الرمية من غير رام)[4].

إنّ ابن قتيبة وضع للناس دستوراً في أدب الحديث ينبئ عن شيء غير قليل من الحصافة و سداد الرأي حيث قال إن الحديث و مخالطة الناس أمران يحتاجان

---

[1]-نوابغ الفكر العربى ،انظر ص٢٢

[2]ادب الكاتب المقدمة -

[3]-مقدمة عيون الاخبار

-اعلام العرب –ابن قتيبة الناقدوالاديب –د.عبد الحميد سند الجندى –المؤسسة المصرية العامة للتاليف والترجمة والطباعة والنشر [4]،ص١٠٣

إلى قدرة بارعة فقد يحسن الكلام في موضع لا يحسن فيه السكوت و قد يكون الخير في العكس و قديماً قالوا (حتف المرء في منطقه) و هو يبين ذلك في مقدمة (كتابه عيون الأخبار)، قال (لا ترى غبناً أن يتكلم الناس و أنت ممسك فإذا رأيت حالاً تشاكل ما حضرك من القول أحضرته أو فرصة تخاف فواتها انتهزتها و كان يقول رب كلمة تقول لصاحبها دعني)[1].

ومن وصايا المعلّمين قال ابن قتيبة: قال عُتبة بن أبي سُفيان لعبد الصمد مؤدِّب ولده:(ليكن إصلاحُك بَني إصلاحَك نفسك، فإن عُيوبَهم معقودة بعَيْبك، فالحسنُ عندهم ما استحسنتَ، والقبيحُ ما استقبحت؛وعلِّمهم سِيَرَ الحكماءِ، وأخلاقَ الأدباء، وتهدَدْهم بي وأدَبْهم دوني؛ وكن لهم كالطبيب الذي لا يَعْجَل بالدواء حتى يَعْرِف الداء؛ ولا تَتَكِلَنَ على عذر مني، فإني قد اتكلتُ على كِفاية منك)[2].

٣-شيوخ ابن قتيبة:

كان ابن قتيبة متنوع الثقافات غزيرها نال من كل لون حظاً طيباً. أخذ العلم من علماء كثيرين مختلفي المناحي)[3]. منهم النحوي و اللُغوي و المحدث و منهم راوية الشِّعر. أما شيوخه الذين لازمهم و أخذ عنهم يمكن حصرهم في خمسة شيوخ وهم: أبو الفضل الرياشيّ، عبد الرحمن بن عبد الله بن غريب ،إبراهيم بن سفيان الزيادي ، أبو حاتم السجستاني و إسحق بن راهويه*.

فابن قتيبة أقتدى به في السلوك و أخذ عنه علوم الدين .والرياشيّ كان ضليعاً في اللغة و النحو و عبد الرحمن بن عبد الله كان ثقة فيما يروي عن عمه الأصمعي و كان نابغاً في حفظ اللغة و الأشعار ، أما الزيادي فينتهي نسبه إلى زياد بن أبيه و كان نحوي لغوياً راوياً أخذ عن سيبويه و توفي سنة (٢٤٩هـ). و أبو حاتم السجستاني و هو أبو حاتم سهل بن محمد بن عثمان السجستاني و نسب إلى سجستان بالقرب من كابل و كان عالماً ثقة ضليعاً في العربية و الشِّعر دقيق النّظر)[4]

---

[1]-المرجع السابق ص١٠٣

[2]- عيون الاخبار ،ج٢،ص١٦٦

[3]-اعلام العرب –ابن قتيبة الناقد والاديب –ص١١١

* فإسحق بن راهويه فهو الإمام أبو يعقوب إسحق بن إبراهيم مخلد الحنظلى المرزوى ثم النيسابورى الحافظ صاحب أحمد بن حنبل رضي الله عنه)[4]. ولد بين سنتي (١٦١-١٦٦هـ)وتوفى فيما بين سنتي (٢٣٠-٢٣٨هـ) (٢) راهويه لقب أبيه.

كان ابن قتيبة إماماً في النحو و اللغة و العَروض و القراءآت صادق الرواية قد اشتغل بالحديث و كتب كثيراً منه عن ثقات)[١].

(و قد قرأ كتاب سيبويه على الأخفش مرتين)[٢]. و يروى أنـــه كـــان إذا اجتمع بأبي عثمان المازني في دار عيسى بن جعفر الهاشـــميّ تشـــاغل أو بـــادر بالخروج خوفاً من أن يسأل عن مسألة في النحو[٣].

٤-وفاته(٢٧٦هـ):

توفي ابن قُتيبة بعد أن قضى حياته في خدمة الدين و الأدب، سنة ســـت و سبعين و مائتين للهجرة النبوية على الأرجح [٤]. و كانت وفاته فجاءة ، (و قيل إنه أكل هريسة فأصابته حرارة فصاح صيحة سُمعت من بعـــد ثـــم أُغمـــي عليـــه و مات)[٥]. و يغلب على الظن أن الهريسة كانت فاسدة فأُصيب بالتسمم مـــن جـــراءِ فسادها.

---

[٤]-اعلام العرب ــص١١١-١١٣

[١]-الفهرس ــص٥٨،طبقات الادباء ،ص٢٥١،المزهر ــج٢،ص٤٠٨.

[٢]-وفيات الاعيان ،ص٢٧٣

[٣]المصدر السابق،ص٢٧٣

[٤]-راجع ابن خلكان ،ط باريس ،ج١ ،ص٣٥٤-تاريخ بغداد ،ط السعادة ،ج١٠،ط١٩٣١

[٥]-نوابغ الفكر العربى ،ص٢٣

المبحث الثالث

مكانة ابن قتيبة في معرفة الشعر

لم يعرف عن ابن قتيبة أنه نظم شعراً و لو كان له شعرٌ لدونه في مؤلفاته ،وقد نسبت إليه هذه الأبيات في الغزل:

يا مــن مــودتهُ بالعيــانِ * فإن غابَ كانت مع الغائبِ
يا من رضي لي من ودهِ * بفعلِ امرئ قاطع غاضبِ
بأى جـــرمٍ قد اقعيتنى * وألقيت حبلى على غاربِى

ولكن ذكر في كتاب (عيون الأخبار)حضرني هذا البيت على ارتجال فوصلت به قولي :

لك الحقُ أن تعتبَ على لأننى * جفوتَ وأما تغتفر فلك الفضلُ

هذا البيت هو الشعر الوحيد الذي لا يشك في نسبته إلى ابن قتيبة)[1]. وهو في مدح زين العابدين على بن الحسين بن على بن أبى طالب، أما الأصفهانى فقال إنها للحزين في عبد الله بن عبد الملك .

فيكفى شاهداً لمكانته في معرفة اللغة كتبه في الغريب ، و في النحو والصرف حسبك أنه أول من جمع بين مذهبي الكوفيين والبصريين فإنه لا يقوم لذلك إلاّ من أتقن المذهبين و عرف الأصول التي تبنى عليها العلوم و المقاييس عند الفريقين ،أما الشعر فدونك (الشعرُ والشعراءِ) وكلامه فيه وما ذكر في تراجم الشعراء وكذلك ما اختاره في كتابه (عيون الأخبار) وأما كتاب(المعاني الكبير) فحدث عنه ولا حرج)[2] .

١-ابن قتيبة الناقد

تكلم ابن قتيبة في الشعر جيده ورديئة وصحيحة وخاطئه وأقسامه وطبقاته وتراجم الشعراء وروى أخبارهم واختار نمازج من شعرهم فكان صوته من الأصوات الأولى التي لفتت الناس إلى هذا الفن كما كان كتابه (الشعر والشعراء) من المصادر الأولى في الأدب العربي)[3].

---

[1]-اعلام العرب ،الجندى ،ص٢٦٤
[2]-المعانى الكبير المقدمة
[3]-اعلام العرب ،ص١٠٢

٢-أسلوبه النقدى:

قال ابن قتيبة في مقدمة كتابه عيون الأخبار (مذهبنا فيما نختاره من كـــلام المتأخرين وأشعار المحدثين إذا كان متخير اللفظ لطيف المعنى لم يزر به عنـــدنا تأخر قائله، كما أنه إذا كان بخلاف ذلك لم يرفعه تقدمه).

و قال في أوائل كتابه (الشعر و الشعراء)، (فإني رأيت من علمائنـــا مـــن يستجيد الشعر السخيف لتقدم قائله، ويضعه في متخيره، ويرذل الشعر الرصـــين، ولا عيب له عنده إلا أنه قيل في زمانه، أو أنه رأى قائله ولم يقصـــر الله العلـــم والشعر والبلاغة على زمن دون زمن ولا خص به قوماً دون قومٍ، بل جعل ذلـــك مشتركاً مقسوماً بين عباده في كل دهر، وجعل كل قديم حديثاً في عصره، وكـــل شرفٍ خارجيةً في أوله، فقد كان جريرٌ والفرزدق والأخطـــل وأمثـــالهم يعـــدون محدثين. وكان أبو عمروابن العلاء يقول: لقد كثر هذا المحدث وحسن حتـــى لقـــد هممت بروايته. ثم صار هؤلاء قدماء عندنا ببعد العهد منهم، وكذلك يكـــون مـــن بعدهم لمن بعدنا، كالخريمي والعتابي والحسن بن هانىءٍ)[١].

و قال ابن قتيبة (وليس كل الشعر يختار ويحفظ على جودة اللفظ و المعنى ولكنه قد يختار على جهات وأسباب منها الإصابة في التشبيه ...ومنه مـــا يختـــار ويحفظ لأن صاحبه لم يقل غيره. وقد يختار ويحفظ لأنه غريب في معنـــاه وقـــد يحفظ ويختار أيضا لنبل قائله)[٢]. و ذكر لكل نوع من هذه أمثلة وذكر من أمثلـــة الأول الأبيات التي فيها :

(وتبلس وفقاها كعراقيب قطا طحل.)

ثم قال :هذا الشعر مما اختاره الأصمعى لخفة رويه .

---

[١] - الشعر والشعراء ،ج١-ص٦٢-٦٣

[٢]-مقدمة المعانى الكبير

المبحث الرابع

كتاب أبيات المعانى

هذا الكتاب من أضخم كتب ابن قتيبة وأكثرها فائدة وأغلب الظن أنه لم يكن هناك غرض خاص يتعلق بتأليفه سوى إفادة كل ناشد للعلم .وهـذا الكتـاب مـن بواكير مؤلفات ابن قتيبة لأنه لم يشر فيه إلاّ إلي (كتاب الأنواء)،وإلى كتاب الإبل ، وقد أورد فيه شعراً كثيراً في الميسر و الخمر والقداح ، مما يدل علي أنه أُلـف قبل كتاب الميسر .

وكتاب المعاني الكبير ،كتاب أدب و شعر ولغة وكله شرح لنصوص شعرية وفي اثناء هذا الشرح يصوغ شواهد شعرية كثيرة .هذا الكتاب من أوضـح كتـب ابن قتيبة دلالة علي تبحره في اللغة تبحراً قلما أُتيح لغيره من علمـاء عصـره. ومن الأمور التي تسترعى الانتباه أنه لم يتوخ إلاّ الأشعار الممعنة فـي الغرابـة والتي تبدو لقارئها سجلاً لطوائف من الألفاظ الغراب ،ولعـل لتسـميته (أبيـات المعاني) مدلولاً يرمى إلى غرابتها .

قال السيوطى عنها في كتابه (المزهر) في فصل الألغـاز (...وأبيـات لـم تقصد العرب الألغاز بها من حيث معانيها ،وأكثر أبيات المعاني من هـذا النـوع وعد ابن قتيبة في هذا النوع مجلداً حسناً ،وكذلك ألف غيره ،وإنما سمُّو هذا النوع (أبيات المعاني) ،لأنها تحتاج إلى أن يسأل عن معانيها)[1]. ومـن تـدبر أبيـات المعاني بان له أن خفاء معانيها يرجع غالباً إلى وحشي ألفاظها وبُعد مآخذها .

والكتاب في جملته مادة مصمتة ليس فيه حكمة ،ولا مثل ولا نادرة ،ولاخبر ،إلاّ بعض الأخبار المتفرقة وهى أبيات من عويص الشعر في موضوعات خاصة منسقة تناولها ابن قتيبة بالشرح القيم المستفيض.

الكتاب يضم بين دفتيه كثيراً من الكتب التي تنسب إلى ابن قتيبة على أنهـا كتب مستقلة وهو ذخيرة علمية أدبية عظيمة. نسخة الكتاب التي بمكتبـة جامعـة أمدرمان الإسلامية، تشتمل على كتاب الخيل ،وكتاب السباع ،و كتاب الطعـام و الضيافة ،وكتاب الذباب ،وكتاب الوعيد و البيان ،وكتاب الحرب ،و كتاب الميسـر

---

[1] -المزهر ،ج١،ص٢٧٥

ومتفرقات في وصف الشعر و الشعراء والتطير والفأل ووصف الآثار والآداب ومكارم الأخلاق وقد أورد ابن قتيبة الأشعار التي قيلت في هذه الأبواب كلها وقسم كل كتاب منها إلى أقسام مفصلة في ترتيب بديع ،وتناولها بالشرح المفصل.

ففي كتاب الخيل ،تكلم عما جاء في صفاتها و عدوها ووثبها و لحوقها بالصيد ،وشبهها بالعقاب والبازي وبالنعامة أحياناً ،كما ذكر ما يستقبح من صورها وأعضائها وما يستحسن مع ذكر ما توارد في ذلك من قديم الشعر وفسر غريب الشعر في الخيل ،وسلك في بقية الأبواب ذلك المنهج .وفى الحديث النبوي الشريف (الخيل معقود بنواصيها الخير)[1]. و الحديث الصحيح الذي قال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم (لا طير ولا تطير:قال :إن كان فى شىء:ففى المراة و الفرس والمسكن)[2]. هذا بالإضافة إلى ما ذكره ابن قتيبة من شعر في مختلف صفات الخيل وقد ورد ذكر الخيل في القرآ ن الكريم فقال تعالى (والصّافِناتُ الجِيَادُ)[3].

أما كتاب (السباع) فقد ضم أنواعاً من الوحوش والحيوانات الضارة كالذباب ،و الضباع و السباع ،وغيرها من الحيوانات ،كالأرانب والكلاب والطيور والغربان والعقبان والنسور والصقور والرخم والحمام والقطا .

أما كتاب (الطعام و الضيافة) فقد احتوى على ما قيل في القدور والجفان و إكرام الضيف باللبن وأضاف إكرام الضيف بالخمر .

والكتاب الرابع في (الذباب) وما يشبه الذباب كالجراد والنحل والعسب والجعل والقراد والعنكبوت والنمل .

أما كتاب الحرب فقد ذكر الأبيات التي جاء فيها الطعنة والشجة والضربة والديات والثأر والبيض والدروع والقسي والسهام والسيوف و الرماح والعداوة والبغضاء والحسد .

أما كتاب (الميسر) فقد تكلم عما جاء في الميسر والتطير والفأل وفى الشعر والشعراء وفى الشيب والكبر وفى وصف الآثار .

---

[1] -عمدة القارى فى شرح صحيح البخارى ،للشيخ العلامة بدر الدين ابى محمد محمود بن احمد العينى (ت٨٥٥)،دار احياء التراث العربى بيروت ،لبنان ،ج١٤،ص١٤٩.

[2] -المرجع السابق ،ص١٥١

[3] -سورة ص الاية ٣١

ملخص الكتاب :

- جمع ابن قتيبة ذخيرة أدبية قيمة من الشعر العربي القديم في موضوعات مختلفة تتصل بضروب الحياة عند العرب وكشف لنا عن عاداتهم وتقاليدهم وحالتهم الاجتماعية .
- وضع لنا بين أيدينا قصائد و مقطوعات نادرة لا نعثر عليها في كثير من كتب الأدب القديم .
- فسر كثيراً من الألفاظ الغريبة ويمكن تسمية الكتاب بمعجم النظائر وأورد كثيراً من الصيغ التي لا ترد في المعاجم المطبوعة أحياناً وذكر بعض التحريفات والتصحيفات لبعض الألفاظ وبعض الأخطاء المتناقلة بين اللغويين .
- يظهر في الكتاب ما امتاز به ابن قتيبة في كتبه من منهج وترتيب ،فقد وضع المقدمات وتسلسل في إيراد الموضوع ومعالجة مسائله البارزة ثم النتيجة.
- شرح في كتابه بعض الصور البيانية من استعارة وتشبيه مع الاستطراد أحياناً إلى الإفاضة في شرح أحوال العرب .
- ظهرت شخصية ابن قتيبة العلمية في كتاب المعاني في ترتيب الكتاب وتقسيمه إلى كتب والخروج من موضوع إلى آخر بتخلص حسن ،لا تحس فيه بالنقلة المباغتة)[1].

تطور فكرة المعاني :

تطورت فكرة معاني الشّعر من صورتها عند ابن قتيبة ومعاصريه وصارت عند أبى هلال العسكري وهو من أدباء القرن الرابع الهجري أكثر اتجاهاً إلى الناحية الأدبية ،جمع شعراً في موضوعات مختلفة في الغزل و الوصف وغير ذلك في كتابه (ديوان المعاني). أما الراغب من بعده أعتنى بالموضوع ولكن بصورة أوسع والراغب وأبو هلال كلاهما يورد مختار الشعر من القدماء و المحدثين على السواء بحثاً عن متعة القارئ ليس كما فعل ابن قتيبة في تفسيره لغريب الشعر.

[1]-نوابغ الفكر العربى ،ص٦٦

ومن المؤلفين في هذا الفن أبو الحسن سعيد بن مسعدة الأخفــش الأوســط المتوفى (٢١٠هــ)،وعبد الرحمن بن عبد الله وهو ابن أخ الأصمعى و أبو نصــر أحمد بن حاتم الباهلى المتوفى (٢٣١هــ) و أبو العميثل عبد الله بن خليــد مــولى جعفر بن سليمان المتوفى (٢٤٠هــ)،وأبو عثمان سعيد بن هرون الأشاندانى وأبو العباس أحمد بن يحي ثعلب المتوفى (٢٩١هــ).لم تصلنا هذه الكتب لانها فقــدتٍ غير كتاب الاشاندانى أما المعاني الكبير فهو أغزر تلك الكتب مادة وأحسنها ترتيباً وهو الذي خصه السيوطى بالذكر[١].

[١]-مقدمة المعانى الكبير

المبحث الخامس

أهم القضايا النقدية عند ابن قتيبة

١-اللفظ والمعنى:

اللفظ :هو صوت ما تواضع المتكلمون به حين إنشائه على دلالته على معنى خاص محدد، وهى دلالة أصلية موجودة فى بطون المعاجم . واللفظ والمعنى مرتبطان إذاً،ويستدعى أحدهما الآخر

اللفظ والمعنى لهما مدلول خاص في منهج ابن قتيبة ، (اللفظ) عند ابن قتيبة يقصد به النظم والتأليف .وعليه فعندما أشار في أضرب الشعر إلي (حسن اللفظ) إنَّما قصد بذلك صحة الوزن ، وحسن الروي ، واللفظ المتخيّر ، أو قصد بذلك (الأسلوب) . أما مفهوم (المعنى) عند ابن قتيبة فقصد به الفكرة التي يحويها البيت أو الأبيات.

وقد أوضح ابن قتيبة مفهومه هذا عن اللفظ والمعنى في تعليقه على بيتين للمرقش عدهما الأصمعي من مختاراته ، وهما:

هل بالديار أن تُجيب صَمَمْ * لو أنَّ حيّا ناطقاً كَلَّمْ

يَأْبي الشبابُ الأقورِينَ* ولا * تغبطْ أخاك أن يقالَ حَكَمْ

وقد علق ابن قتيبة على هذين البيتين بقوله:(والعجب عندي من الأصمعي، إذ أدخله في متخيره، وهو شعرٌ ليس بصحيح الوزن ولا حسن الروى، ولا متخير اللفظ، ولا لطيف المعنى ولا أعلم فيه شيئاً يستحسنُ إلا قوله:

النَّشرُ مِسْك والوُجُوهُ دنَا * نِيرُ وأَطْرَاف الأَكُفِّ عَنَمْ

ويستجاد منه قوله:

لَيْسَ على طُولِ الحيَاةِ نَدَمْ ومنْ * وَرَاءِ المَرْء مَا يُعْلَمْوالعجيب عندي[١]

أماصفات الحسن في اللفظ عنده فتمثلها في كثرة الماء والرونق، والسهولة ، وحسن المخارج والمطالع والمقاطع ، وبعدها عن التعقيد والاستكراه وقربها من إفهام العوام،.

---

[١]-الشعر والشعراءج١،ص٧٢،*الاقورين:الدواهى العظام

٢-معنى الطبع و الصنعة :

الطبع فى الأصل هو السجية التى جبل عليها الإنسان ،و الطبيعة مثله، ويقال: فلان مطبوع على الكرم ، ومطبوع على الأخلاق المحمودة ومتطبع بها، وهذا كلام عليه طبائع الفصاحة

والصنعة :هى العمل، و العمل يتطلب الجهد والمعاناة والمعالجة والتنقيح و التثقيف

المطبوع والمصنوع من الشعراء:

قسم ابن قتيبة الشعراء إلي: متكلفين ومطبوعين ، ثم فصّل القول فيهما من وجهة نظره.

بدأ بالتعريف فقال:(ومن الشعراء المتكلف والمطبوع: فالمتكلف هو الذي قوم شعره بالثقاف، ونقحه بطول التفتيش، وأعاد فيه النظر بعد النظر، كزهيرٍ والحطيئة، وكان الأصمعي يقول: زهيرٌ والحطيئة وأشباههما من الشعراء عبيد الشعر، لأنهم نقحوه ولم يذهبوا فيه مذهب المطبوعين، وكان الحطيئة يقول: خير الشعرالحولي المنقح الممحكك. وكان زهيرٌ يسمى كبر قصائده الحوليات.)[١]

ثم قال:إن المتكلَّف من الشِّعر لا يخفى على ذوي العلم بالشعر:(والمتكلَّفُ من الشعر وإن كان جيداً محكماً فليس به خفاءٌ على ذوي العلم، لتبينهم فيه ما نزل بصاحبه من طول التفكر، وشدة العناء، ورشح الجبين، وكثرة الضرورات، وحذف ما بالمعاني حاجةٌ إليه، وزيادة ما بالمعاني غنًى عنه)[٢] . ومن أمثلته قول الفرزدق في عمر بن هبيرة:لبعض الخلفاء:

أَوَلَّيْتَ العِرَاقَ ورَافِدَيْهِ فَزَارِيًّا أَحَذَّ يَدِ القَمِيصِ

يريد: أوليتها خفيف اليد، يعني في الخيانة، فاضطرته القافية إلى ذكر القميص، ورافداه:دجلة والفرات.

وكقول الآخر:

مِنَ اللَّوَاتي والتي والَّلاتي زَعَمْنَ أَنى كَبَرتْ لِدَاتي

---

[١] الشعر والشعراء : ج١ ص٧٨

[٢] المرجع نفسه : ج١ ص٨٨

وكقول الفرزدق:

وعَضُّ زَمَانٍ يا ابْنَ مَرْوانَ لم يَدَعْ مِنَ المَالِ إلاَّ مُسْحَتاً أَوْ مُجَلَّفُ

فرفع آخر البيت ضرورةً، وأتعب أهل الإعراب في طلب العلة، فقالوا وأكثروا، ولم يأتوا فيه بشيءٍ يرضي، ومن ذا يخفى عليه من أهل النظر أن كل ما أتوا به من العلل احتيالٌ وتمويه؟ وقد سأل بعضهم الفرزدق عن رفعه إياه فشتمه وقال: علي أن أقول وعليكم أن تحتجوا!

وقال:(وتتبين التكلف في الشعر أيضاً بأن ترى البيت فيه مقروناً بغير جاره، ومضموماً إلى غيرلفقه، ولذلك قال عمر بن لجإٍ لبعض الشعراء: أنا أشعر منك، قال: وبم ذلك؟ فقال: لأني أقول البيت وأخاه، ولأنك تقول البيت وابن عمه)[3].

هذا عن التكلف في الشعر ومظاهره وأقدر الناس على إدراكه وكشفه.

أما المطبوع من الشعراء فعرفه بقوله:(والمطبوع من الشعراء من سمح بالشعر واقتدر على القوافي، وأراك في صدر بيته عجزه، وفي فاتحته قافيته، وتبينت على شعره رونق الطبع ووشى الغزيرة، وإذا امتحن لم يتعلثم ولم يتزحر)[4].

وعند ابن قتيبة أن الشعراء المطبوعين ليسوا سواء في (الطبع) وإنما هم مختلفون فيه قال فى ذلك :(والشعراء أيضاً في الطبع مختلفون: منهم من يسهل عليه المديح ويعسر عليه الهجاء. ومنهم من يتيسر له المراثي ويتعذر عليه الغزل. وقيل للعجاج: إنك لا تحسن الهجاء؟ فقال: إن لنا أحلاماً تمنعنا من أن نظلم، وأحساباً تمنعنا من أن نُظلم، وهل رأيت بانياً لا يحسن أن يهدم)[5]

وابن قتيبة رفض التسليم برأي العجاج هذا وعلق عليه بقوله:(وليس هذا كما ذكر العجاج، ولا المثل الذي ضربه للهجاء والمديح بشكل، لأن المديح بناءٌ والهجاء بناءٌ، وليس كل بانٍ بضربٍ بانياً بغيره. ونحن نجد هذا بعينه في أشعارهم

---

[3] المرجع نفسه: ص٩٠

[4] الشعر والشعراء: ج١ ص ٩٠ ، ولم يتزحر : لم يئن : من الزحير ، وهو اخراج الصوت او النفس بانين عند عمل او شدة. والعرزية : القريحة والسجية والطبية من خير او شر وسمح بالشعر : جاد به عن سخاء.

[5] الشعر والشعراء : ج١ ص٩٤

كثيراً، فهذا ذو الرمة، أحسن الناس تشبيهاً، وأجودهم تشبيباً، وأوصفهم لرمل وهاجرةٍ وفلاةٍ وماءٍ وقرادٍ وحيةٍ، فإذا صار إلى المديح والهجاء خانه الطبع. وذاك أخره عن الفحول، فقالوا: في شعره أبعار غزلانٍ ونقط عروسٍ! وكان الفرزدق زير نساءٍ وصاحب غزل ،وكان مع ذلك لا يجيد التشبيب. وكان جريرٌ عفيفاً عزاف عن النساء، وهو مع ذلك أحسن الناس تشبيباً، وكان الفرزدق يقول:(ما أحوجه مع عفته إلى صلابة شعري، وما أحوجني إلى رقة شعره لما ترونِ)[٤].

٣-دواعى الشعر:

وتطرق ابن قتيبة إلى الدواعي والبواعث التي تحث البطيء وتبعث المتكلف على قول الشعر(كالطمع والشوق ، والشرب ، والطرب، والغضب ، والوفاء)[٥]

ومن البواعث والدواعى أن الشاعر المطبوع قد تمر به لحظات يستدعي فيها الشعر فلا يستجيب له قال:(وللشعر تاراتٌ يبعد فيها قريبه، ويستصعب فيها ريضه. وكذلك الكلام المنثور في الرسائل والمقامات والجوابات، فقد يتعذر على الكاتب الأديب وعلى البليغ الخطيب، ولا يعرف لذلك سببٌ، إلا أن يكون من عارض يعترض على الغريزة من سوء غذاءٍ أو خاطر غم)[٦].

وقد استشهد بقول الفرزدق (أنا أشعر تميمٍ عند تميمٍ، وربما أتت على ساعةٌ ونزع ضرس أسهل على من قول بيت).

وهناك أنسب الأوقات التى يجود فيها الشعر (وللشعر أوقاتٌ يسرع فيها أتيه، ويسمح فيها أبيه. منها أول الليل قبل تغشى الكرى، ومنها صدر النهار قبل الغداء، ومنها يوم شرب الدواء، ومنها الخلوة في الحبس والمسير. ولهذه العلل تختلف أشعار الشاعر ورسائل الكتاب)[٧] .

ومنها المفاضلة بين المتقدمين المكثرين يجب أن تكون على كثرة الجيد من الشعر . قال: (ولا أحسب أحداً من أهل التمييز والنظر، نظر بعين العدل وترك

---

٤ الشعر والشعراء: ج١ ص٩٤
٥ المرجع نفسه: ص٧٨
٦ الشعر والشعراء: ص ٨٠
٧ الشعر والشعراء: ص٨١

طريف التقليد، يستطيع أن يقدم أحداً من المتقدمين المكثرين على أحد إلّا بأن يرى الجيد في شعره أكثر من الجيد في شعر غيره)[1].

وفى إختيار الشعر وحفظه قال إن هناك أسباب يختار ويحفظ من أجلها الشعر منها : الإصابة في التشبيه، كقول القائل في وصف القمر:

بَدَأَنَ بنا وابْنُ اللَّيَالي كَأَنَّهُ   حُسَامٌ جَلَتْ عَنْهُ القُيُونُ صَقِيلُ
فما زِلْتُ أُفْنى كُلَّ يَوْمٍ شَبَابَهُ   إلى أَنْ أَتَتْكَ العيسُ وهْوَ ضَئِيلُ

وقد يحفظ ويختار على خفة الروى، كقول الشاعر:

يا تَمْلكُ يَا تَمْلي   صِلِيني وذَرِى عَذْلِى
ذَريني وسِلاَحي ثُمَّ   شُدَّى الكفَّ بِالغَزْلِ
ونَبْلى وفُقَاهَا كَعَ   رَاقِيبِ قَطاً طُحْلِ

وقد يختار ويحفظ لأن قائله لم يقل غيره، أو لأن شعره قليلٌ عزيز، كقول عبد الله بن أبي سلولٍ المنافق:

مَتَى ما يَكُنْ مَوْلاَكَ خَصْمَكَ لا تَزَلْ   تَذِلُّ ويَعْلُوكَ الَّذِينَ تُصَارِعُ
وهلْ ينْهَضُ البَازِي بَغْيرِ جَنَاحِهِ   وإنْ قُصَّ يَوْماً رِيشُهُ فَهْوَ وَاقِعُ

وقد يختار ويحفظ لأنه غريبٌ في معناه، كقول القائل في الفتى:

لَيَس الفَتَى بفتًى لا يُسْتَضَاءُ بِهِ   ولا يكُونُ له في الأَرْضِ آثَارُ[2]

وتناول ابن قتيبة بعض المآخذ من المتقدمين والمعاصرين على الشعراء في شعرهم منها الضرورات الشعرية وهى كلها خاصة بالقافية .

وتكلم ابن قتيبة عن أسس بناء القصيدة العربية القديمة ، ليبني عليه أصلاً من الأصول النقدية قال: (فالشاعر المجيد من سلك هذه الأسالب، وعدل بين هذه الأقسام، فلم يجعل واحداً منها أغلب على الشعر، ولم يطل فيمل السامعين، ولم يقطع وبالنفوس ظمآءٌ إلى المزيد)[2].

---

[1] المرجع نفسه : ص٨١
[2] الشعر والشعراء: ص ٨٤ – ٨٧
[2] نفس المرجع : ص٧٥ –٧٦

فابن قتيبة يقول إن عدم مراعاة التناسب فى بنية القصيد قد يفتح مجالاً للنقد فقال:(فقد كان بعض الرجاز أتى نصر بن سيارٍ وإلى خراسان لبنى أمية، فمدحه بقصيدةٍ، تشبيبها مائة بيتٍ، ومديحها عشرة أبياتٍ، فقال نصرٌ: والله ما بقيت كلمةٌ عذبةٌ ولا معنى لطيفاً إلا وقد شغلته عن مديحي بتشبيبك، فإن أردت مديحي فاقتصد في التسيب، ثم أتاه هذا الراجز فأنشده :-

هل تعرفُ الدارَ لأُمّ الغَمْرِ؟ * دَعْ ذا وحَبِّرْ مِدْحةً في نصرِ

فقال نصر: (لا ذلك ولا هذا ولكن بين الأمرين)[٣].

طالب ابن قتيبة متأخر الشعراء بالتزام هذه البنية وعدم الخروج عنها فقال: (وليس لمتأخر الشعراء أن يخرج عن مذهب المتقدمين في هذه الأقسام، فيقف على منزلٍ عامر، أو يبكى عند مشيد البنيان، لأن المتقدمين وقفوا على المنزل الداثر، والرسم العافي. أو يرحل على حمارٍ أو بغلٍ ويصفهما، لأن المتقدمين رحلوا على الناقة والبعير، أو يرد علىالمياه العذاب الجواري، لأن المتقدمين وردوا على الأواجن الطوامي. أو يقطع إلى الممدوح منابت النرجس والآس والورد، لأن المتقدمين جروا على قطع منابت الشيح والحنوة والعرارة.)[١].

ولا أرى حرجاً على متأخر الشعراء أن يخرج عن مذهب المتقدمين ،طالما كان هذا المتأخر من الشعراء أميناً في تناوله للموضوع،فظهرت القصيدة النثرية وغيرها من الأنواع.

هذه بعض جهود ابن قتيبة في النقد الأدبى .أما مقياسه فقد بناه على أساس فني ، وهو الحكم على الشعر بما فيه من قيم شعورية وتعبيرية من غير ما نظر إلي صفة القدم والحداثة .

---

[٣] المرجع السابق: ص ٧٦ – ٧٧

[١] الشعر والشعراء : ص ٧٦ –٧٧ : والشيح: نبات له رائحة طيبة وطعم مر : وهو مرعى للخيل والنعم ومنابته القيعان والرياض ، والحنوة: نبات سهلي طيب الريح ويقال هوالريحان ، والعرارة: واحده العرار وهو نبيت طيب الريح ويقال هو النرجس البـــري ، والآس: ضرب من الرياحين

٤- أقسام الشِّعر وتنويعه:

الشعر من حيث صناعته الفنية ليس نوعاً واحداً، وإنَّما هو أربعة أنواع أو أضرب من وجهة نظره. ولهذا فإن على الناقد أن يراعى هذا عند تقديره ونقده لأي نص شعري ، لأن لكل ضرب من هذه الأضرب صفة خاصة به يحكم له أو عليه. كذلك علق على ما استحسن أو استقبح كقوله (هذا أبدعُ بيت قاله العربُ)[1] أو(هذا الشعرُ بَيِّنُ التكلُّف رديءُ الصنعة) [2].قال: تدبرتُ الشعرَ فوجدته أربعة أضربٍ:

١.ضربُ منه حَسُنَ لفظه وجاد معناه

كقول القائل في بعض بنى أُميّةَ *

في كَفّهِ خَيزُرَانٌ ريحُهُ عَبقٌ   مِن كَفّ أروَعَ في عرنْينهِ شممُ
يُغضِى حَيَاءً ويُغضِى مــن   مَهَابَتِهِ فما يُكلّمُ إلاّ حِينَ يَبْتَسِمُ

لم يُقل في الهيبة شيءُ أحسنُ منه .وكقول أوسِ بن حَجَر :

أيتُهَا النّفْسُ أجمِلِى جَــزَعَا   إنّ الّذِي تَحذَرِينَ قَدْ وَقَعَــا

لم يبتدىء أحدٌ مرثيةً بأحسنَ من هذا .

و كقول أبي ذؤيب :

والنّفسُ رَاغِبَةٌ إذا رَغّبتَهَا   و إذا تُرَد إلى قَلِيلٍ تَقْنَـــــعُ

قال أبو محمد حدثني الرياشي عن الأصمعى قال: هذا أبــدعُ بيــت قالتــه العربُ .وكقول حُميد بن ثور :

أرى بَصَرِي قَد رَابَني بَعدَ صِحّةٍ   وحَسْبُكَ دَاءً أن تَصِحّ وتَسلَمَا

لم يُقلَ في الكِبَرِ شيءٌ أحسنُ منه .

وكقول النَّابِغَة الذبيانى :

كِلِينِي لَهُم يّا أُمَيْمَة نَاصِبِ   ولَيلٍ أُقَاسِيه بَطىءِ الكَوَاكِبِ

لم يبتدئ أحدٌ من المتقدمين بأحسنَ منه ولا أغربَ.

ومثل هذا الشعر كثيرٌ .[3]

---

[1]-الشعر والشعراء ج١،ص٦٥

[2]-المرجع السابق ،ص٧٠

١- الشع والشعراء ج١-ص٦٦-وعلامات في النقد ، دورية ج ٤٤،م ١١، ص ٣٢٤ ، يونيو ٢٠٠٢، ربيع الأخر ١٤٢٣هـ

٢. ضربٌ منه حسُن لفظُه وحَلاَ فإذا أنت فتَّشتَه لم تَجِدْ هناك فائدة المعنى
كقولِ القائل:

ولما قَضيَنَا مِن مِنًى كُلَّ حَاجةٍ — مَسّحَ بِالأركـــــــانِ مَن هُو مَاسِحُ
وشُدّتُ على حُدبِ المَهاَرِى رِحَالُنَا — لا يَنظُـــرُ الغادِي الذي هُو رَائحُ
أخَذنَا بِأطْرافِ الأحَــــاديثِ بَينَنَا — وسَالَتْ بأعْناقِ المَطِيّ الاَبَاطِحُ

هذه الألفاظُ كما تَرى أحسنُ شيءٍ مخارجَ ومَطَالِعَ ومَقَاطِعَ، وإن نظرتَ إلى ما تحتها من المعنى وجدتَه: ولما قضينا أيام مِنِّى واستلمنا الأركان وعالينا إبلنا الأنضاء و مضى الناسُ لا ينظر الغادي الرائحَ ابتدأنا في الحديثِ،و سارت المطيُّ في الأبطح . هذا الصنف في الشعر كثيرٌ . هذه الأبيات نظر بعض النقاد بمنظورٍ آخر وقال البعض أن ابن قتيبة لم يلتفت إلى العالم التخيلي الذي بناه الشاعر فلم ير في الأبيات إلا خبراً أراد الشاعر إيصاله ولم يلمس خلف هذه الألفاظ التي أعجب بها معنى يستحق أن يقف عنده ،ولعله كان يبحث عن المعنى الأخلاقى، الذي يرى أن الشعر الجيد لابد أن يعبر عنه وعزز ذلك بالأمثلة التي أوردها، لما حسن لفظه ومعناه أن ما كان في رأيه يمثل الجودة معنى ولفظاً .وقد انشغل ابن قتيبة بالتصنيف و إصداره عن تجزئة بيت الشعر إلى لفظ ومعنى و محاولة الفصل بينهما شغله عن البحث والتعمق في مضمون الأبيات فلم ير إلا رشاقة اللفظ المفرد وفصاحته وسلاسته)[1].

تناول أبو هلال العسكري (ت ٣٩٥ هـ)في كتابه (الصناعتين)هذه الأبيات ولم يضف إلى ما قاله ابن قتيبة شيئاً يذكر فقد ركز على ألفاظها واصفاً إياها بالعذوبة و السلاسة والسهولة ومن أجل تلك الألفاظ أدخلها أبو هلال ضمن جيد الشعر ،و كان أبو هلال يرى أن اللفظ هو الذي يميز جيد الشعر من رديئة [٢].

---

[1]-علامات فى النقد(دورية)
٢ –الصناعتين –أبو هلال العسكري ،ط ١ ،١٩٥٢،مطبعة عيسى البابلي الحلبي القاهر ه، انظر ص.٥٩
٢– الخصائص لابن جنى،تحقيق محمد على النجار ،القاهر ه ،ج ١(،ص٢١٧–٢٢١)
٣ – إعجاز القران –الباقلانى ، تحقيق محمد صقر ، دار المعارف – القاهر ه (ص ٣٣٩)

أما ابن جنى (ت ٣٩٢ هـ)في كتابه (الخصائص) فقد أورد الأبيات في باب الرد على من ادعى العناية باللفظ وإهمال المعنى واستطاع أن يكتشف في الأبيات كثيراً من المعاني التي لم يكتشفها من سبقه كما كشف عن معـاني التعـريض و التمليح التي يختبئ وراء الأبيات وأشار إلى بصيرة ابن قتيبة تلميحاً لا تصـريحاً وأوضح السبب في عدم التوصل إلى ما وصل إليه من معانٍ هو جفاء طبع الناظر وخفاء عرض الناطق ووقف عنـد قـول الشـاعر (وسـالت بأعنـاق المطـى ....)[1].

أما الباقلانى (ت ٤٠٣هـ)في كتابه (إعجاز القران)،فقد أورد الأبيات ممثلة للشعر الحسن الذي خلا من الفائدة وإن كان لفظه حلواً فهي في رأيه حلوة الموقع قليلة الفوائد)[2].

كما وقف عندها عبد القاهر الجرجاني، في معرض حديثه عن الاستعارة و تحدث الجرجاني من خلال هذه الأبيات عن بعض النقاد الذين أسرفوا في تعظـيم الألفاظ مقاوماً هذا التيار مفنداً أراءهم مؤكداً أن الألفاظ لا تتفاضل من حيث هـي ألفاظ مجردة ،ولكن القضية وخلافها تثبت لها في ملاءمة معنى اللفظ لمعنى اللفظة التي تليها وضرب أمثلة لألفاظ تكون مقبولة في موضع ومستكرهة فـي موضـع أخر مؤكداً أن الألفاظ أوعية المعاني و المعاني هي المالكة لسياسـتها المسـتحقة لطاعتها . وحول فصاحة الألفاظ ، قال إن اللفظ يكون فصيحاً من أجل مزية تقـع في معناه لا من أجل جرسه و موسيقاه ، ويمكن القول أن الجرجـاني فجـر فـي الأبيات السابقة كثيراً من المعاني التي أغفلها ابن قتيبة)[3] .

أما ابن الأثير (ت ٦٣٧هـ) فتناول الأبيات مستفيداً من وقفات من سـبقه و خاصة ابن جنى و الجرجاني وأُعجب بالاستـعارة: (وسـالت بأعنـاق المطـى

١

[3]-اسرار البلاغة ،الجرجانىص(٢٨) الموسوعة الشعرية الاصدارة ٣

الأباطح) و ثنى رأى ابن جنى في جعل الألفاظ خدماً للمعاني فقال: (فالعرب إنما تحسن ألفاظها وتزخرفها عناية منها بالمعاني التي تحتها ، فالألفاظ إذاً خدماً للمعاني و المخدوم لا شك أشرف من الخادم فاعرف ذلك وقس عليه)[1].

أما العقاد فقد وقف عند هذه الأبيات واعترف أن الأبيات من أعذب الشعر وأسلسه ولكنه لا يجعل فضليتها في ذلك و إنما يرد حسنها إلى الصور الخيالية التي احتوتها و الخواطر المتساوقة و قال العقاد إن الأبيات حملت في طياتها صورة القائل وما في نفسه من الشجن و اللوعة قال (فإذا أنت من الأبيات في واد يموج بالمشاهد ويتتابع بدواعي الشعور وفى ذلك على ما نرى شيء غير اللفظ السهل الذي يحسب قومٌ من النقاد أنه كل ما في هذه الأبيات من فضيلة الجودة ومزية الإعجاب)[2].

وخلاصة القول هذا كله أن النص الشعري حمّال أوجه يحتمل قدراً غير محدود من الشروح و التأويلات وأن عناصر الشعر تتجاوز الألفاظ الجميلة والمعاني المبتكرة والفهم المتجدد للنصوص وهو سبب خلودها وبقائها حية مع كل جيل .

قال أبو محمد:ونحوه قول المغلوط:

إنّ الذين غُدوَا بُلبّكَ غادَرُوا   وَشَلاً بِعَينِكَ ما يَزالُ مَعِينَا
غيّضنَ مِن عَبرَاتِهِنّ وقُلْنَ لِي   مَاذَا لَقِيتَ مِنَ الهَوَى ولَقِينَا

و نحوه قول جريرٍ:

يا أُختَ ناجِيَةَ السّلاَمُ عَلَيْكُمُ   قَبْلَ الرّحِيلِ وقَبْلَ لَوْمِ العُذّ ل
لَوْ كُنْتُ أَعَلَمُ أنّ آخِرَ عَهدكُمْ   يَومُ الرّحِيلِ فَعَلْتُ ما لم أَفَعْلَ

وقولُه :

بَانَ الخلِيطُ ولوْ طُوّعْتُ ما بَانَا   و قطّعُوا مِنْ حِبَالِ الوَصل أقرَانَا
إنّ العُيُوْنَ التي في طَـــــرفِهَا   حَوَرٌ قَتلنّنَا ثُمّ لم يُحيْينَ قَتْلاَنَا
يَصرَعْنَ ذَا اللُّبَّ حتى لاَ حَـرَاكَ   بِهِ و هُنّ أضعَفُ خَلْق اللهِ أركانَا

---

[1] -المثل الثائر ،ابن الاثير ،ج٢،ط٧،ص٦٩
[2] - الدورية السابقة(راجع مراجعات فى الادب والفنون،عباس محمود العقاد،بيروت ،المكتبة العصرية،ص٥٢-٥٣

٣: وضربٌ منه جاد معناه وقصُرت ألفاظُه

كقول لَبيد بن رَبيعة :-

مـــا عَاتَب المَرءَ الكَريمَ كَنفَسِهِ والمَـــــرءُ يُصلِحُهُ الجَليسُ الصّالِحُ

هذا وإن كان جيّدَ المعنىو السبكِ فإنَّهُ قليلُ الماءِ و الرَّونق .

وكقول النابغة (للنعمان):-

خَطَـــــاطِيفُ حُجْنٌ في حِبَالٍ مَتِينَةٍ تَمُدُّ بها أيدٍ أَلَيكَ نَوازِعُ

ويرى ابن قتيبة أن من علمائنا من يستجيدون معناه ولســـتُ أرى ألفاظَـــه جياداً ولا مُبَيِّنَةً [1]لمعناه لأنَّهُ أراد : أنت في قدرتك كخطاطيفَ عُقُفٍ يُمَدُّ بها ،وأنا كدلوٍ تُمَدُّ بتلك الخطاطيف ،على أنى أيضاً لستُ أرى المعنى جيداً .

و كقول الفَرَزدق

و الشيبُ ينهضُ في الشباب كأنّهُ لَيلٌ يَصِيحُ بجَانِبيهِ نَهَـــــــــارُ

٤:وضربٌ منه تأخَّر معناه وتأخَّر لفظُه

كقول الأعشى في امرأةٍ :

وفُوها كـــــــــــــأقاحِى غَـــــــــذَاهُ دَائمُ الهَطْلِ

كمـــا شِيبَ بِـــــــــــــرَاحٍ بارِدٍ مـــِـــــــنْ عَسَل النّحْل

و كقوله :

إنّ مـــــــــَحلاً وإنّ مُرتَحَلا و إنّ في السّفرِ ما مَضَى مَهَلاَ

استَأْثَرَ اللهُ بالوَفَاءِ و بالحَمـــــدِ وَوَلّى المَلاَمَةَ الرّجُلاَ

و الأرضُ حَـــــمّالةٌ لمَا حَمّلَ اللهُ و مــــــا إن تَرُدُّ ما فَعَلاَ

و يَومــــــاً تَراهَا كـــــشِبهِ أردِيةِ العَصْب و يَوماً أدِيمُهَا نَغِلاَ

ويرىابن قتيبة أن هذا الشعر منحولٌ ولايرى فيه شىءيستحن إلاّ قوله[2]:

يا خَيْرَ مَنْ يَرْكَبُ المَطِيّ ولا يَشْرَبُ كَاساً بِكَفِّ من بَخِلاَ

---

[1] ١- الشعر و الشعراء (ص ٦٩).

[2]-الشعر و الشعراء ،ص٦٩

وكقول الخليل بن أحمد العروضي :

إنّ الخَليطَ تَصَدَّعْ   فَطِرْ بدَائِكَ أو قَعْ
لَوْلاَ جَوَارٍ حِسَانٌ   حُورُ المَدَامِعِ أرْبَعْ
أُمّ البَنيينَ و أسمَاءُ   و الرّبَابُ وبَوزَعْ
لَقُلْتُ لِلرّاحِلِ ارْحَلْ   إذا بَدَا لَكَ أو دَعْ

ويرىابن قتيبة أن هذا الشعر بين التكلف ردئ الصنعة و كذلك أشعار العلماء .و قال أبو محمد :وقد يقدحُ في الحَسَن قُبحُ اسمِه ،كما ينفعُ القبيحَ حُسنُ اسمِه، ويزيدُ في مهانة الرجل فظاعةُ اسمه ،وتُرَدُّ عدالةُ الرجل بكنيتِه ولقبِه (بشاعة كنيته) ولذلك قيل اشفَعُوا بالكُنى فإنَّها شبةٌ . وسأل عُمَرُ رجلاً أراد أن يستعين به على أمرٍ عن اسمه واسم أبيه فقال : ظالمُ بنُ سَرَّاق ، فقال تظلم أنت ويسرقُ أبوك ولم يستعنْ به) [1].

ومن هذا الضرب أيضا قول المرقش :

هَلْ بِالدّيَارِ أنْ تُجيبَ صَمَمْ   لَــوْ أنّ حَيّا نَاطِق كلم
يأبِى الشّبَابُ الاقَورِينَ ولا   تَغبِطُ أخَاكَ أن يُقَالَ حَكَمْ

والعجبُ عندي من الأصمعى إذ أدخله في مُتخيَّرِه وهو شعرٌ ليس بصحيح الوزنِ ولا حَسَن الرَّوِيِّ ولا متخيَّرِ اللفظ ولا لطيف المعنَّى)[2].

كما وازن ابن قتيبة بين قول الأعشى :

وكَأسٍ شَرِبتُ على لَذةٍ   وأُخرَى تَداوَيْتُ منَها بِهَا

وقول أبو نواس :

دَعْ عَنْكَ لَوْمِي فإنَّ اللومَ إغرَاءُ   ودَاوِنِي بِالتي كَانت هِيَ الدَّاءُ

ويرى ابن قتيبة أن أبا نواس(سلخ من بيت الأعشى وزاد فيه معنى آخر فللأعشى فضلُ السَّبق إليه، لأبي نُواسٍ فضلُ الزيادة فيه)[3].

وقال الرشيد للمفضل الضبي: اذكر لي بيتاً جيد المعنى يحتاج إلى مقارعة الفكر في استخراج خبيئه ثم دعني وإياه، فقال له المفضل: أتعرف بيتاً أوله

[1]-المرجع السابق،ص٧٠
[2]-المرجع السابق ،ص٧٢
[3]-الشعر و الشعراء انظر ص٧٣

أعرابي في شملته، هاب من نومته، كأنما صدر عن ركبٍ جرى في أجفانهم الوسن فركد، يستفزهم بعنجهية البدو، وتعجرف الشدو، وآخره مدني رقيق، قد غذى بماء العقيق؟ قال: لا أعرفه، قال: هو بيت جميل بن معمر:

أَلاَ أَيُّهَا الرَّكْبُ النيَامُ أَلاَ هُبُّوا

ثم أدركته رقة المشوق، فقال: أسائلكم: هل يقتل الرجل الحب؟ قال: صدقت، فهل تعرف أنت الآن بيتاً أوله أكثم بن صيفي في إصالة الرأي ونبل العظة، وآخره إبقراط في معرفته بالداء والدواء؟ قال المفضل: قد هولت علي، فليت شعري بأي مهرٍ تفترع عروس هذا الخدر؟ قال: بإصغائك وإنصافك، وهو قول الحسن بن هاني:

دَعْ عَنْكَ لَوْمي فَإِنَّ اللَّوْمَ إِغْرَاءُ وَدَاوِني بالتي كانَتْ هِي الدَّاءُ ، [1]

٥-مقياس ابن قتيبة في نقد الشعر :

في مقدمة (الشعر والشعراء) بين ابن قتيبة مقياسه في نقد الشعر، وهو مقياس اختلف كل الاختلاف عن مقياس النحاة واللغويين الذىكان بدافع التعصب للقديم مطلقاً ،فهو دعا إلي عدم التفريق بين القديم والمحدَث، وعنده(كل قديم كان حديثاً في زمنه).

قال ابن قتيبة: (ولم أسلك فيما ذكرته من شعر كلٌ شاعر مختاراً له، سبيل من قلد، أو استحسن باستحسان غيره. ولا نظرت إلى المتقدم منهم بعين الجلالة لتقدمه، وإلى المتأخر منهم بعين الاحتقار لتأخره. بل نظرت بعين العدل على الفريقين، وأعطيت كلا حظه، ووفرتُ عليه حقه فإني رأيت من علمائنا من يستجيد الشعر السخيف لتقدم قائله، ويضعه في متخيره، ويرذل الشعر الرصين، ولا عيب له عنده إلا أنه قيل في زمانه، أو أنه رأى قائله ولم يقصر الله العلم والشعر والبلاغة على زمن دون زمن ولا خص به قوماً دون قومٍ، بل جعل ذلك مشتركاً مقسوماً بين عباده في كل دهر، وجعل كل قديم حديثاً في عصره، وكل

[1] -المرجع السابق ص٧٤

شرفٍ خارجيةً في أوله، فقد كان جريرٌ والفرزدق والأخطل وأمثالهم يعدون محدثين. وكان أبو عمرو بن العلاء يقول: (لقد كثر هذا المحدث وحسن حتى لقد هممت بروايته).

ثم صار هؤلاء قدماء عندنا ببعد العهد منهم، وكذلك يكون من بعدهم لمن بعدنا، كالخريمي والعتابي والحسن بن هانئٍ وأشباههم. فكل من أتى بحسنٍ من قول أو فعل ذكرناه له، وأثنينا به عليه، ولم يضعه عندنا تأخر قائله أو فاعله، ولا حداثة سنه. كما أن الردئ إذا ورد علينا للمتقدم أو الشريف لم يرفعه عندنا شرف صاحبه ولا تقدمه) [١]

هذا مقياس ابن قتيبة لقياس الشعر ونقده،وهو مقياس جيد .يكون وضع بـه أصـل من الأصول النقدية،وهو الحيدة دون النظر إلى القدم أو الحداثة أو الشهرة. **اما**

٦-السرقات عند ابن قتيبة:

قال ابن قتيبة: (قلما يخلو شاعر من شعراء الجاهلية من الإغارة على شعر غيره ، أو إغارة غيره على شعره فهذا زهير بن أبي سلمى يقول عنه) ومما سبق إليـه زهير فأخذ منه قوله يمدح هرماً :

هُوَ الجَوادُ الَّذي يُعطيكَ نائِلَهُ   عَفواً وَيُظلَمُ أَحياناً فَيَظَّلِمُ

أخذه كثير عزة فقال:

رَأَيتُ اِبنَ لَيلى يَعتَري صُلبَ مالِهِ   مَسائِلُ شَتّى مِن غَنِيٍّ وَمُصرِمِ

مَسائِلُ إِن توجَد لَدَيهِ تَجُد بِها   يَداهُ وَإِن يُظلَم بِها يَتَظَلَّمِ

وقال أمرئ القيس:

وُقوفاً بِها صَحبي عَلَيَّ مَطِيَّهُم   يَقولونَ لا تَهلِك أَسىً وَتَجَمَّلِ

أخذه طرفة بن العبد فقال:

وُقوفاً بِها صَحبي عَلَيَّ مَطيَّهُم   يَقولونَ لا تَهلِك أَسىً وَتَجَلَّدِ

وتحدث عن طرفة ابن العبد فقال: ومما سبق اليه طرفة فاخذ منه قوله :

وَلَولا ثَلاثٌ هُنَّ مِن عيشَةِ الفَتى   وَجَدِّكَ لَم أَحفِل مَتى قامَ عُوَّدي

فَمِنهُنَّ سَبقي العاذِلاتِ بِشَربَةٍ   كُمَيتٍ مَتى ما تُعلَ بِالماءِ تُزبِدِ

---

[١]-الشعر و الشعراء،ص٦٢--٦٣*الخارجى الذى يخرج ويشرف بنفسه من غير ان يكون له قديم

وكَرّي إذا نادى المُضافُ مُحَنَّباً   كَسيدِ الغَضا نَبَّهتَهُ المُتَوَرِّدِ
وتَقصيرُ يَومَ الدَجنِ وَالدَجنُ مُعجِبٌ   بِبَهكَنَةٍ تَحتَ الطِرافِ المُعَمَّدِ

أخذه عبد الله بن نهيك بن أساف الأنصاري فقال :

فَلولا ثلاثٌ هُنَّ من لَذَّةِ الفَتَى   وَجَدِّكَ لم أحفَل مَتَى قامَ رامِسُ

فمنهن سبقي العازلات بشربة   *   كأن اخاها مطلع الشمس ناعسُ

أما بشار بن برد فيذكر ابن قتيبة أن مما سبق إليه بشار قوله :

كَأَنَّ مُثارَ النَقعِ فَوقَ رُؤُسِهِم   وَأَسيافَنا لَيلٌ تَهاوى كَواكِبُه

أخذه العتابي فقال:

نبني سنابكها من فوق روسهم   *   سقفاً كواكبه البيض المباثير

وقال أبوبكر الصولي (إن جميع المحدثين أخذوا من بشار ، واتبعوا أثره ومن هؤلاء المحدثين الذين أخذوا منه تلميذه وراويته سلم الخاسر)[1] .

وروى صاحب الأغاني أن بشاراً لما قال:

مَن راقَبَ الناسَ لَم يَظفَر بِحاجَتِهِ   وَفازَ بِالطَيِّباتِ الفاتِكُ اللَهِجُ

أخذه تلميذه سلم الخاسر فقال:

مَن راقَبَ الناسَ ماتَ غَمّاً   وَفازَ بِاللَّذَّةِ الجَسورُ

فقال بشار حين سمع بهذه السرقة (يعمد إلي المعاني التي سهرت فيها ليلي ، وأتعبت فيها فكري فيكسوها لفظاً أخف من لفظي فيروى شعره ويترك شعري)[1]. أما أبو نواس الحسن بن هاني فحينما ظهر استحدث بعض الطرائق الجديدة في بدء القصيدة العربية حيث جعل محبوبته الخمر ، اختلف حوله النقاد ، بين مؤيد ومعارض ومن معارضيه أبو علي البصير الذي قال: (الشعر بين المدح والهجاء وأبو نواس لا يحسنهما وأجود شعره في الخمر والطرد وأحسن ما فيهما مأخوذ مسروق وحسبك من رجل يريد المعنى ليأخذه فلا يحسن أن يضفي عليه ، ولا ينقله حتى يجئ به نسخاً مثل قوله:

دَع عَنكَ لَومي فَإِنَّ اللَومَ إِغراءُ   وَداوِني بِالَّتي كانَت هِيَ الداءُ

---

[1] اخبار ابي تمام ص١٤٢

[1] الاغاني لابي الفرج الاصفهاني: ج٢١ ص ١٧٢ – ١٧٣

أخذه من قول الاعشى :

وكَأسٍ شَرِبتُ عَلى لَذَّةٍ وَأُخرى تَداوَيتُ مِنها بِها

والذي أخذه منه أحسن مما قاله)[2]

قال ابن قتيبة :- ومن جيد التشبيه قوله أي النمر بن ثولب في إعراض المرأة :

وَصَدَّت كَأَنَّ الشَمسَ تَحتَ قِناعِها * بَدا حاجِبٌ مِنها وَضَنَّت بِحاجب

أخذه المحدث يريد أبا نواس فقال:-

يا قَمَراً للنِّصفِ من شَهْرِه * أبْدَى ضِيَاءً لِثَمَانٍ بَقِينَ[3]

وهكذا لو ذهبنا نتتبع حديث ابن قتيبة عن سرقات الشعراء بعضهم من بعض لضاق بنا المقام.

٧-عيوب الشعر :

تكلم ابن قتيبة عن فن العروض و القوافي وإليك بعضاً منها :

١/الإقواءُ :

وهو اختلافُ الإعراب في القوافي وذلك أن تكون قافية مرفوعة وأخرى مخفوضة كقول النابغة :

قالتْ بَنُو عامرٍ خَالُوا بَني أَسَدٍ يا بُؤس للجَهلِ ضَرّاراً لأ قْوَامِ

وقال فيها أيضا :

تَبدُو كَواكِبُهُ و الشّمسُ طَالِعةٌ لاَ النُّورُ نُورٌ ولا الإظلاَمُ إظلاَمُ

و البعض يسمى هذا(بالإكفاء) و يقولون أن الإقواء نقصان حرف من فاصلة البيت

(٢) السناد:

وهو أن تختلف إرداف القوافي كقولك (علَيْنا) في قافيةٍ (وفينا) في أخرى كقول عمر بن كُلثُوم

ألا هُبي بِصَحنِكِ فاصبَحِينَا

(فالحاء) مكسورة وقال أخر :

---

[2] الموشح : ص٢٤٢ – ٢٥٦

[3] الشعر والشعراء: ج١ ص٣١١

تُصَفَّقُهَا الرِّيَاحُ إذاَ جَرَيْنَا

(فالراء) مفتوحة و هي بمنزلة (الحاء)[1]

٣/الإيطاء :

وهو إعادة القافية مرتين وليس بعيبٍ عندهم كغيره .

٤/الإجازه :

اختلفوا في الإجازه فقال بعضهم هو أن تكون القوافي مقيدة فتختلف الإرداف كقول امرىء القيس :

(لاَ يَدّعِى القَومُ أَنّى أفِرّ)

فكسر الردف .

وقال في بيت آخر:

(وكِنَدةُ حَولِي جَميعاً صُبُرْ)

فضم الردف .وقال في بيت آخر :

(ألحَقتَ شَراً بِشرَ) .ففَتحَ الردف .

وعليه فقد أضحت معايير الشعر السابقة موضع تجاوز في العصر الحديث ، ذلك في سبيل تقليل الفوارق بين ما هو شعري و ما هو نثرى وحدث هذا التجاوز على أعقاب تراجع نظرية الأنواع الأدبية. وشهدت الحقبة المعاصرة لقاء بين النثر والشعر تمثل بشكل شعري حداثى سمي بقصيدة النثر (وهى التي تقدم نفسها مجردة من القافية والإيقاع المميزين للنظم وتعتمد على توزيع المقاطع التي يمكن أن تحمل عناوين ثانوية ضمن إطار القصيدة ولهذا تتعدد أقسامها في توزيع معقد).[2]

ويمكن القول إن قصيدة النثر اليوم أحدثت انشقاقاً بين مؤيد ومعارض وغدا كل فريق يلتمس من الدلائل ما يسوّغ موقفه من حركة الحداثة فالمؤيدون يحاولون تثبيت هذا الشكل الجديد على أنه ولد شرعي للشعر السابق في حين يرى

---

[1]-الشعر والشعراء،ص٩٦

[2]-علامات فى النقد،دوريه م١١،ج٤٣

المعارضون فيه خروجاً على التراث و تحطيماً لقواعد الشعر التي استقرت منذ سالف الأزمنة)[1].

وأقول إن هويتنا العربية تحتاج إلى التطور أكثر من الانكماش وخصوصاً أن ابن قتيبة ومن سبقه قدموا إسهاماً في رسم الحدود .

٨-قضايا متفرقة فى أبيات المعانى:

كتاب أبيات المعاني من أضخم كتب ابن قتيبة وأجزلها فائدة و قد أوردنا ذلك و أنه لم يكن هناك غرض خاص يتعلق بتأليفه سوى إفادة كل ناشد للعلم وهو من بواكير مؤلفات ابن قتيبة وكتاب المعاني الكبير كتاب أدبٍ وشعرٍ ولغةٍ ،وكله شرح لنصوص شعرية و في اثناء هذا الشرح يصوغ شواهد شعرية كثيرة ، ومن الأمور التي تسترعى الانتباه أنه لم يتوخ إلا الأشعار الممعنة في الغرابة ولعل للتسمية (أبيات المعاني)، مدلولاً يرمى إلى غرابتها منها:

الأبيات التى في وصف الخيل وعيوبها وهى:

قال الرخيم العبدى :

ومجّوفٍ بلقا ملكتُ عَنَانَه   يعدو على خمسٍ قوائمه زُكا

قال ابن قتيبة : (قال الأصمعى :ليس هذا من الوصف جيداً لأن كل بياض يجاوز العرقوبين عيب في العتاق) [2].

روى عن السجستاني عن أبى عبيدة قال:

يمشي كمشي نعائمٍ   يشتالهن أشق شاخص

وسُمع عقبة بن رؤبة ينعت فرساً أو رجلاً فقال: " هو والله أشق أمق خبق " قال الأصمعي الأشق والأمق والخبق الطويل، وروى غيره عن الأصمعي أن أمق وخبق تأكيدان لأشق.

وقال ساعدة بن جؤبة :-

يحولُ لوناً بعد لونٍ كأنه   بشفانِ يوم مقلِعِ للوبلِ يُصرّدُ

---

[1]-الدوريه السابقه

[2]-المعانى الكبير ،ص٣

أراد أنه يقشعر فيخرج باطن شعره فيبدو لون غير لونه ثم يسكن فيعود لونه الأول الشفان الريح البارده.ومثله:

يحولُ قشعر يراتُه دون لونِهِ فرائضُهُ من خيفةِ الموتِ تُرعَدُ

والقضية النقدية التى أثارها الموازنة بين البيتين واصفاً لون الفرس بأنه يتغير حسب حاله أى شبه تلون السماء بتلون الوردة من الخيل .

ويرى ابن قتيبة في قول الله تعالى (فإذا انشقتِ السماءُ فكانت وردةً كالدِهانِ)[1].أنه أراد فرساً وردة تكون في الربيع ووردة إلى الصفرة فإذا اشتد البرد كانت وردة إلى الغبرة ، فشبه تلون السماء بتلون الوردة من الخيل وشبه الوردة باختلاف ألوانها بالدهن واختلاف ألوانه ويقال إن الدهان الأديم الأحمر . وقال المستوغر القريعى :

ينشّ الماءُ في الرَبلاتِ منها نَشيشَ الرِّضفِ في اللبنِ الو غيرِ

فسره ابن قتيبة :أن الربلات أصول الفخذين و الرضف الحجارة المحماة و الوغيره اللبن ساعة يحلب فسمي بهذا البيت .

قيل إن ابن قتيبة أخطأ فى تفسير الوغير لأن المشهور فى كتب اللغة اللبن الذى يُحمى أو يطبخ .

قال ابن ميادة :

هم الضاربونَ الخيلِ حتى إذا بَدَتْ نواجِذُها استقضبتْها جلُودِها

ويرى ابن قتيبة، بدت نواجذها يريد كلحت في الحرب ولهذا قيل لها عوا بس ولا يقال عوا بس إلا في الحرب .

[1]-سورة الرحمن الايه ٣٧

وقال أبو ذؤيب [1]:

تأبى بدّرَتِها إذا ما استُغضِبت إلا الحميم فانه يتبضعُ

قال الأصمعى :قد أساء الوصف لأنه يستحب من الفرس أن لا يعجل عرقــه ولا يبطئ)[2] . وقال امرئ القيس :

وقد أغتَدِى و الطيرُ في وكُناتِها بِمُنجَرِدٍ قَيدِ الأوابِدِ هَيّكَلِ

و قال الأسود بن يعفر :

بمقلّـــــــصٍ عَتَدٍ جهيزٍ شده قَيد الأوابدِ و الرهــــانِ جوادُ

فى راى ابن قتيبة، يقال قيد الأوابد وقيد الرهان وهو الذي كانت طريدته في قيــد إذا طلبها وقال أول من قيدها امرؤ القيس[3].

والقضية أن هناك فرساً يطارد صيداً والاختلاف بين هذه الخيول هو كيفية لحوقها بطريدتها وأن أول من قيدها امرىء القيس . قال ذلك موازناً (بين بيــت امــرىء القيس والأسود بن يعفر وبيت ابن أحمر)[4]، الذي يقول :

بمقّلصٍ دركَ الطريدَة متُنهُ كصفا الخليقةِ بالفضاءِ الملبدِ

يقول هو درك الطريدة كما قال الآخر قيد الأوابد .

وقال عبد المسيح بن عسلة :-

لا ينفعُ الوحشُ منه أن تحذّرَه كأنه معلّقٌ فيها بخطّافٍ

يرى ابن قتيبة أن فرسه يمكن اللحاق به

(وهذا من أغرب ما جاء في هذا المعنى) [5].و قال أبو النجم :

(يسبح أخره و يطفوا أوله). قال ابن قتيبة قال الأصمعى : إذا كان كذلك ، كــان حمار الكساح أسرع منه لأن اضطراب مآخره قبيح قال وأحسن في قوله :

(يطفو أوله).وقال رؤبة :

يَهوى إذا هُن وَلَقنَ ولقاً بأربعٍ و لا يعتتقن العفقا

يهوين شتى و يقعن وفقا

---

[1]-ديوان ابو ذؤيب الهزلى ،ج١،ص١١

[2]-ديوان امرئ القيس٠

[3]-المعانى الكبير ،ج١،ص٢٤

[4]-العمدة لابن رشيق ،ج٥،ص٨٧

[5]-المعانى الكبير ،ص٣١

قال الأصمعى : بلغني أن مسلم بن قتيبة قال له يا أبا الجحاف أخطات في هذا جعلته مقيداً فقال رؤبة : ادننى من ذنب البعير .وقال امرؤ القيس :

لهُ أيْطَلاَ ظبيٍ وسَاقَا نَعامَةٍ و إرخَاءِ سِرحانٍ وتقرِيبُ تَتفُلِ

أيطلا ظبى :خاصرتا ظبى لضمورهما وعدم انتفاخهما، ساقا نعامة : شبه ساقيه بساقى النعامه لصلابتهما ،إرخاء سرحان: سرعة ذئب ،وتقريب تتفل :جرى تتفل وهو ولد الذئب

يرى ابن قتيبة :إنه لم يقل في وصف الفرس أحسن من هذا البيت)[1].

أما في تشبيه الخيل بالعصا فقال امرؤ القيس :

بِعجلِزةٍ قد أترزَ الجَريُ لَحمَها كُمَيتٍ كأنّهَا هِراوَةَ مِنوالِ

ويرى ابن قتيبة أن امرئ القيس أول من شبه الخيل بالعصا ،و القوة ،و السباع ،و الظبا ،و الطير فأتبعه الناس على ذلك [2].

وقال الطفيل :

وَلِلخَيلِ أَيّامٌ فَمَن يَصطَبِر لَها وَيعرِف لَها أَيّامَها الخَيرَ تُعقِبِ

قال أبو محمد لكثرة انتفاع العرب بالخيل تسميها الخير . و قال الله عز و جل (إِنِى أَحببْتُ حُبَّ الخَيرِ عَن ذِكرِ رَبّى حَتّى تَوارتُ بِالحِجابِ)[3]. وذكروا أن الرسول صلى الله عليه وسلم أنه لها بالخيل وبالنظر إليها حتى فاتته صلاة العصر .

قال أبو ذؤيب :

قصر الصبوحَ لها فشُرّج لحمَها يالنِيّ فهي تثوخُ فيها الأصبعُ

ويرى ابن قتيبة هذا من أخبث ما نعتت به الخيل والجيد قول الآخر انشدنيه عبد الرحمن عن عمه[4]

كثيرٌ سوادُ اللحم ما كان بادِناً وفى الضمرِ ممشوقُ القوائمِ حوشبُ

يعنى أن الفرس إذا كان سمنه يربو لحمه وكثرته ولم يكره الشحم فذاك أحمد له وإذا كانت المراة كذلك عضله وسمنها بالشحم أحمد .

---

[1]-المعانى الكبير ،ج١،ص٣٢

[2]-المرجع السابق،ص٥٠

[3]-سورة ص،الايه ٣٢

[4]-المفضليات ،ابو العباس المفضل محمد الضبى ،شرح وتعليق د.محمد حمود، دار الفكر اللبنانى ،بيروت،ط١،ص٧٩

وقال يزيد بن حذاق العبرى :-

وداويتُها حتى شتّت حبشيةٌ كأن عليها سندساً وسدُوساً

قال أى ألقت شعرها وطرت فكأن عليها هذا السدُوس، قال ابن قتيبة هي الطيالسه وهو بالضم وقال الأصمعى السدَوس الطيلسان وهو بالفتح واسم الرجل سُــدوس ،قد غلط الأصمعى وهما بالضم) [1]

أما الابيات التى فى المغازى وما لها وما عليها منها:

قول الأعشى[2] :

عناجيج من آلِ الوجيهِ و لاحقُ مغاويرِ فيها للأريبِ معقّبُ

قال ابن قتيبة:(الوجيه ولاحق و العسجدى لبنى أسد وغنى تدعى لاحقاً و الحلاب لبنى تغلب و ذو العقال لبنى يربوع والأعوج لبنى عامر بن صعصعة و التــدمرى لبنى ثعلبة بن سعد بن ذبيان و الصريح لبنى نهشل والغراب و مذهب لغنـــى بـــن أعصر و الواقى وناضح فحلان ولا أعلم لمن هما) [3].وأورد ابــن قتيبـــة بيتـــين يشبهان بيت الأعشى لطفيل الغنوى وهما :-

بناتِ الغُرابِ وَالوَجيهِ وَلاحِقٍ وَأَعوَجَ تَنمي نِسبَةَ المُتَنَسِّبِ

أما الآخر في القصيدة الثانية من ديوانه :

طِوالُ الهَوادي وَالمُتونُ صَلَيبَةٌ مَغاويرُ فيها لِلأَريبِ مُعَقَّبُ

ويرى ابن قتيبة (أن الذباب يسقط من صهيل الخيل) .

أعلام الجواد من الخيل :

قال أنيق ابن جبله الضبي :

أما إذا ما استقبلتُه فكأنَه في العينِ جذعٌ من أوالَ مشذّبُ

و إذا اعترضتُ له استوتْ أقطارُه وكأنه مستدبَرا متصوَبُ

مشذبُ منزوع الشذب،وشذب كل شىء ما يلقى منه عند التنقية.

ويرى ابن قتيبة معنى هذه الأبيات قول(ابن أقيصر خير الخيــل الــذي إذا استدبرته جبى وإذا استقبلته أقعى وإذا استعرضته اســتوى وإذا مشـــى ردى وإذا

---

[1]-المعانى الكبير،ج١،ص٨٧

[2]-ديوان الاعشى ،ص٣٠-٣٥

[3]-المعانى الكبير،ج١،ص٩٦-٩٧

عدا دحا .و قوله إذا استدبرته جبى أىّ كأنه مكب لإشراف عجيزته وإذا اســتقبلته أقعى أى كأنه مقع لإشراف مقدمه وإذا اعترضته استوى لك منظره فلم يكن مقعياً ولا منكباً والرديان وهو عدو الحمار)[1].

و من ذلك قول الجعفى [2]:

أما إذا استقبلتُه فكأنه بازٌ ... يكَفكِفُ أن يطيرَ و قد رأى
أما إذا استدبرتُه فتسوقُه ... ساق قموصٍ الوقعِ غارية النسا
أما إذا استعرضتُه متَمطراً ... فتقول هذا مثلُ سرحان الغضَا

ذهب ابن قتيبة أن ابن الأعرابى قال: سئل رجل من بنــي أســد: تعــرف الفرس الكريم ؟ قال أعرف الجواد المُبِر من المبطئ المقرف، أما الجــواد المبــر فالذي لُهز العير وأنّف تأنيف السير، الذي إذا عدا اسلهبّ وإذا قيــد اجلعَــبَ وإذا انتصب اتلأبّ، وأما البطئ المقرف فالمدكوك الحجبة الضخم الأرنبة الغليظ الرقبة الكثير الجلبة، الذي إذا أمسكته قال أرسلني وإذا أرسلته قال أمسكني، وأنشد:

كمهرِ سوءٍ إذا سكّنت سيرتُه ... رامَ الجماحَ وإن رفّعته سكنا

وقوله لُهز لَهز العير أي ضبّر خلقه تضبير الحمار، وأنف قد وحدد حتى اســتوى كما يستوي السير المقدود، والمسلهب الماضــي الــذاهب، والمجلعــب الممتــد، والمتلئب المستقيم المستوى، والمدكوك الحجبة الذي ليس لحجبته إشــراف فهــي ملساء مستوية وهي أعلى وركيه الذي يشرف " على صفاف بطنه، هذا تفسير ابن الأعرابي أيضاً، قال:وروى الهيثم* عن ابن عياش* أنه قال: لا تشتر خمساً مــن خمسة، لا تشتر فرساً من أسدي ولا جملاً من نهدي ولا عنزاً من تميمي ولا عبداً من بجلي، ونسي الهيثم الخامس،يريد أن هذه القبائل عظام الجدود في هذه الأشياء، وأنشد أبو عبيدة هذا الشعر وقال لا أعرف قائله وعروضه لا يخرج أيضاً، وقــال السجستاني هو لعبد الغفار الخزاعي:

ذاكَ وقد أذغرَ الوحوشُ بصلْ ... تِ الخدِ رَحبٌ لبانِهِ مُجفَرُ
طويلٌ خمسٌ قصيرٌ أربعة ... عريضٌ ستٌ مقلِّصٌ حَشوَرُ [3]

---

[1]-المرجع السابق،ص١٠٨
[2]-الاصمعيات ،ص٩-١١
*هو الهيثم بن عدى الطائي الاخبارى المتوفى (٢٠٩هــ)

وقال الشماخ :

ذُعِرتْ به القَطا ونُفِيَت عنه   مقامَ الذئبِ كالرجلِ اللعينِ

ويرى ابن قتيبة أن (اللعين هو المطرود وهو الخليع لكثرة جناياتـــه)[1]. والخليـــع هو الشخص الذي تبرأت عنه قبيلته لكثرة جناياته وهو من الصعاليك .

وقال الكميت :

ومستطعِمٌ يُكنّى بغيرِ نباتهِ   جعلتْ له حظاً من الزادِ أوفرا

و يعنى بهذا الذئب و يكنى أبـــا جعـــدة ولا تســـمى ابنتـــه جعـــدة. ومـــن الملاحظات أن الخليع دائماً يُشبه بالذئب و المثل يضرب بظلم الذئب وظلم الحية . أما قول ابن قميئة [2]:

وشرّكم حاضرٌ وخيركمْ درّ   خروسٌ من الأرانبِ بكرُ

والخروس النفساء و الخرسة ما تأكله و الخُرس طعام الولادة الذي يـــدعى إليـــه الناس و طعام الختان اعزار وطعام القادم من السفر نقيعة وطعام البناء الـــوكيرة وكل طعام صنع مأدُبة

.أما قول امرئ القيس :

مرسعةٌ وسط أرباعِه   به عسمٌ يبتغى أرنبا

ليجعلَ في كفّه كعبَها   حذارُ المنية أن يعطبا

قال :كانوا يقولون في الجاهلية من علق عليه كعب أرنب لم تصبه عين ولا سحر وكانت عليه واقية من الجن ، لأن الجن تهرب منها للحيض ولا تمتطيها ، ويقـــال رجل مرسِع و مرسِعة وهو الفاسد العين) [3].

و قال الأعشى :

ألصّ الضروسُ حيِّ الضلوعَ   تبوعٌ أريبُ نشيطٌ أشِرُ

ويرى ابن قتيبة أنه لا يعرف ألص الضروس ولكنه يعرف ألـــص الثنيتـــين إذا كانت إحداهما على الأخرى)[1].

---

*هو أبو بكر عبد الله بن عيا ش المنتوف الاخبارى

[1]-المعانى الكبير،ج١،ص١٩٤
[2]-ديوان ابن قميئة ،ص٦٧
[3]-المعانى الكبير،ج١،ص٢٠٠-٢١١

قال النابغة[2] :

فكان ضُمِرانٌ منه حيث يوزعه   طعن المعارك عند المُحجَر النَجُدِ

ضمران هذا اسم كلب . وهذه إجابة يونس بن حبيب في هذا البيت .

وفى شرح البطليوسى (سمعت أبا عمرو الشيبانى يسأل يونس بن حبيب فقال هكذا) .وأنشد أبو عبيدة :

أرسلت أسداً على سودِ الكلابِ   فقد أمسى شريدُهم في الأرضِ فُلاّد

ويرى ابن قتيبة أن سود الكلاب أكثرها عقوراً لذلك أُمر بقتل الكلاب السود منها ،بل قال هي للذئاب وأنشد :

(كخوفِ الذئبِ من سودِ الكلابِ)

وانكر على من يرويه (من بقعِ الكلاب).

أما الأبيات التالية ففى العقاب .قال جردان:

فأما العقابُ فهي منها عقوبةٌ   وأما الغرابُ فالغريبُ المطرّحُ

فقد زجروا فى الغراب الشر

وقال آخر :

قالوا عقابٌ قلتُ عُقبَى من النوى   دنَتْ بعد هجرٍ منهم ونُزُوحُ

ويرى ابن قتيبة أن في العقاب الخير . ثم قال :

وقالوا حمامٌ قلت حُمّ لقاؤُها   وعادَ لنا حلو الشباب مرُوحُ

وقالوا تغنّى هدهدٌ فوق بانةٍ   فقلتُ هدى يغدو به ويرُوحُ

نلاحظ المحسن البديعى فى البيت الأخير وهو طباق فى قوله (يغدوا ويروح). فالغدو فى الصباح والرواح فى المساء.ولا طيرولا تطير ،قال تعالى(قُل لَّن يُصِيبَنَا إِلاَّ مَا كَتَبَ اللّهُ لَنَا هُوَ مَوْلاَنَا وَعَلَى اللّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ)[3]

ويرى ابن قتيبة (فالشاعر إن شاء جعل العقاب عقاباً و إن شاء جعله عقبى خير وإن شاء جعل الحمام حماماً و حمّى وإن شاء قال حم لقاؤها ولم نرهم زجروا في الغراب شيئاً من الخير) ، ومما تشائم به العرب قول الشاعر [1] :

---

[1]-المعانى الكبير ج١،ص٢٢١

[2]-ديوان النابغة الزبيانى ،تحقيق وشرح كرم البستانى ،دار صادر ،بيروت ،ص٣٢

[3]-سورة التوبه الايه ٥١

وهل ينفعنَك اليوم إن همّت بهم   كثرةٌ ما توصى وتَعقاد الرَتَمِ

و الرتم شجر كان الرجل إذا خرج في سفر عمد إلى هذا الشجر فعقد بعض أغصانه ببعض فإذا رجع من سفره ووجده على تلك الحال قال: لم تخني امراتي وإن أصابه قد انحل قال خانتني زوجتي .و عد ابن قتيبة هذا زجراً و مما يتطير به أن يعطس إنسان أمامك من أول الصباح و العطس يلجم صاحبه عن حاجته .أما قول طرفه [2]:

فلن تمنعي رزقاً لعبدٍ يصيبُه   ولن تدفعى بؤسي وما يتوقّعُ

فهذا القول مما يوحى أن مهما كان التطير فإنه لا يُصيب الإنسان إلا ما كتب الله له وهو يتطير أحياناً مع إيمانه بغير ذلك .و طرفه رغم نصرانيته نجده يؤمن بالقدر .وقال الكميت [3]:

وانظُر إلى أسرارِ كفٍ أحمٍ مقلومِ الأظافرِ

نلمس من قول الكميت التطير بالكف وهو ما يعرف بقراءة الكف أو الفنجان.

وقال أيضاً :

وذات اسمينِ والألوانِ شتى   تُحمّق وهى كيّسة :الحَوِيل

وذات اسمين يقصد بها الرخمة و تسمى رخمة أو أنوقا .قال : قال المفضل الضبي لمحمد بن سهل راوية الكميت ما معنى هذا البيت وأى كيس عند الرخمة ؟ نحن لا نعرف طائراً الئم لؤماً ولا أقذر طعمة ولا أظهر حموقاً منها فقال محمد :وما حمقها ؟وهى تحفظ فرخها و موضع بيضها وطلب طعمها واختيارها من المواضع ما لا يبلغه سبع ولا طائر وهى تحضن بيضها وتحمى فرخها وتحب ولدها ولا تمكن إلا زوجها [4]. ولما سئل الأصمعى عن قول رؤبة:

إذا تداعى في الصِمادِ مأتمُه   أحنّ غيرانا تنادى زُجّمهُ

(احن غيرانا) قال الأصمعى: (لا أدرى ما معناه ، حيث شبه البوم بنساء ينحن)[5]. أما رأى ابن قتيبة عن هذا البيت أن العرب كانوا يزعمون أن الميت إذا دفن

---

[1]-المعانى الكبير ،انظر ،ص٢٦٨

[2]-ديوان طرفة ابن العبد ،دار صادر ،

[3]-ديوان الكميت،

[4]-المعانى الكبير ،ج١،ص٢٩٠

[5]-المرجع السابق،ص٣٠١

خرج من قبره طائر يسمونه الهامة فلا يزال يصيح على قبره حتى يقتل من قتله ويدرك بثأره ولهذا كانوا في حروب مستمرة .وحتى الأصمعى لم يفهم معناه وأورد ابن قتيبة هذا البيت الذي قال: إنه لبعض المحدثين. والبيت:

جاء كمثل الرال يتبع أنفه　　　لعقبيه من وقع الصخور قعاقع

و قد أورد بيت الأعشى :

و قد غدوتُ إلى الحانوتِ يتبعني　　　شاوٍ مِشلٌ شلول شلشلٌ شَوِلُ

والشاوي الشواء ، و المشل ،السائق السريع السوق ، يقال شللت الإبل،و الشلول المسرع و الشلل الخفيف وشول خفيف ،وأيضاً يقال للميزان إذا خف أحد جانبيه قد شال و يقال الشول الذي يشول الشيء أى يحمله ويقال أشلت وشلته ويروى شمل أى طيب الريح)[1] .وهو من الشواهد البلاغية .

– أما الأبيات التالية ففى ذكر الخمر و الجوانب النقدية :

قال الكميت يصف(المره و الروح) وقد ورد هذا ببعض الكتب (المره و الروح)وهو الأصل لأن الأقرب إلى معنى البيت ،قال:

إذا واضعته مصونٌ الحديثِ　　　لاقى من الدجنِ يوماً مطيرا

كان الجـــــراد يغنينَه　　　يناغُم ظبي الأنيسِ المشورا

أراد بالجرادتين وهما قينتان زمن عاد ولهما حديث)[2]. إن الحديث عن عاد ليس من مخبر عنهم لأن هلاكهم كان جملة .

قال رؤبة بن العجاج :–

قد رفَعَ العجاجُ ذكرى فادعني　　　باسم إذا الأنسابُ طَالت يَكفني

فنعم داعي الوالجِ المستأذنِ　　　أبى إذا استعلقَ بابُ الصيدنِ

و الصيدن: هو الملك ، ويرى ابن قتيبة أن الأصمعى لم يسمع الصيدن الملك إلا في هذا البيت[3]. وقال المخبل :

وأشهدُ من قيسٍ حلولاً كثيرة　　　يحجون سِبّ الزبرقانِ المزعفرا

---

[1]-المرجع السابق،ص٣٧٩
[2]-المعانى الكبير ،ج١،ص٤٧١
[3]-المرجع السابق ،ص٤٦٨

يحجون :يعودون مرة بعد مرة و السبب العمامة و المزعفر المصبوغ بـالزعفران وكان السيد يعتم بعمامة مصبوغة لا يكون لغيره (وإنما سمي الذبرقان بذلك)[1].
وقال غريض اليهودي :

إِرفَع ضَعيفَكَ لا يُحرِ بِكَ ضَعفُه   يَوماً فَتُدرِكَهُ العَواقِبُ قَد نَما

روى ابن قتيبة هذا البيت في الشعر و الشعراء لزهير بـن جنـاب (ص٢٢٥) و أيضا ورد الاختلاف في قائل هذا البيت في كتـاب الأغـانى (ج ١٣/٣).وقـال الشاعر :

إذا عار عين الفحلِ لم يرَ أهلَه   بأهلٍ ولم يقنعْ سُويدٌ بأربعِ

كما روى ابن قتيبة أن العرب إذا بلغت إبل أحدهم ألفاً فقأ عين الفحل فإن بلغت ألفين فقأ الأخرى ،فذلك المنقئ و المعمى وكانوا يزعمون أن ذلـك يطـرد عنها العين و السواف و القارة وقال هذا لما كثر ماله تكبر على أهله واستصغرهم ولم يقنع بأربعة نسوة)[2]. كما روى ابن قتيبة قول الفرزدق:

فَلا تَقبَلوا مِنهُ أَباعِرَ تُشتَرى   بِوَكسٍ وَلا سوداً تَصِحُّ فُسولُها

قال ابن قتيبة (سوداً دراهم رديئة فسولها رديئها)[3]. ومن هنا جاء معنـى النقد معرفة الجيد من الرديء أى نقد العملة أى معرفة جيدها من رديئها .
وقال شاعر آخر :

إذا أكلتُ دِرهمـــــاً في يومينِ   لم أصِبْ غيرَ صؤابينِ اثنينِ
كلاهما يصَغرُ أن يغذى العين   فأت حنينا فاستعره خفَيّنِ

هذا مثل (رجع بخفي حنين)[4]. ومضرب المثل لمن خاب في طلبه .وهنا يوازن بين بيت الشعر والمثل السائر رجع بخفى حنين . وقال الربيع بن ضبع :

وَإِنَّ كَنائِني لَنِساءُ صِدقٍ   وَما آلى بَنِيَّ وَلا أَساءوا

وروى ابن قتيبة (قال أبو عمرو سألني القاسم بن معن عـن هـذا البيـت فقلت: ما أبطأوا، فقال: ما تركت شيئاً، قال: وكل مبطئ فقد ألي، وألي فعل مـن ألوت)[1].

---

[1]-المرجع السابق ،ص٤٦٨
[2]المعانى الكبير ،ج١،ص-٤٩٧
[3]-المرجع السابق ،ص٥٠١
[4]-المرجع السابق ،ص٥٠١

وقال جرير يهجو بنى العد وكس رهط الأخطل :

هاذا اِبنُ عَمّي في دِمَشقَ خَليفَةً　　لَو شِئتُ ساقَكُمُ إِلَيَّ قَطينا

قال ابن قتيبة : (قيل يا أبا حزرة أما وجدت في تميم مفخرا تفخر به عليهم حتى فخرت بالخلافة ،ولا والله ما صنعت شيئا في هجائهم)[2].وقد علق عليه ابن قتيبة بالتقصير فى هجائهم .

وقال الأخطل :

(خَفّ القطينُ فراحوا منكَ أو بكَرُوا).

قال أبو محمد (قال الأصمعى :قال أبو عمرو بن العلاء لا اعرف الاستخبال *وأراه قال يستخولوا والاستخوال أن يملكوهم إياه ، وقال أبو عبيدة أنشدنا أبو عمرو يستخولوا المال يخولوا وقال لم اسمع يستخبلوا ،وقال يونس بلى قد سمعه ولكن نسى)[3] . وقال معقل لابن خويلد :

فَما العَمرانِ مِن رَجلَي عَدِيٍّ　　وَما العَمرانُ مِن رَجلَي فِئامِ

فَإِنَّكُما لَجَوّابا خُروقٍ　　وَشَرّابانِ بِالنُطفِ الطَوامي

العَدِى القوم الذين يحملون في الرجالة أى ماهما من رجلين ،أي يريدهما فاضلين لهذا ، أما الطوامى التي تركت فطمت .

وعلق ابن قتيبة (أن الأول أجود)[4] .

أما الأبيات التالية ففى الذباب :

روى ابن قتيبة أن كثرة الذباب وسماع أصواتها علم أنه نبت كثير فكأن طنينها عليه لعباً أي يقلن لعباً. قال المتلمس [5]:

وذاك أوانُ العِرضِ حيّ ذبابهُ　　ذبابيرهُ الأزرقُ المتلمسُ

والأزرق ذباب ضخم أخضر يكون في الرياض ،وروى ابن قتيبة لماذا سمى المتلمس بالمتلمس قال: (بهذا البيت سمي المتلمس).كما أورد ابن قتيبة ما روى عن النبي صلى الله عليه وسلم (كل ذباب في النار إلا النحلة)[6]. وقوله حي

---

[1]-المرجع السابق،ص٥٠١
[2]-المرجع السابق ،ص٥٤٠
[3]-المعانى الكبير ،ج١،ص٥٤٠
[4]-المرجع السابق،ص٥٤٤
[5]-المرجع السابق ،ج٢،ص٦٠٤
[6]المرجع السابق،ص٦٠٤

ذبابه زنابيره فجعل الزنابير من الذباب فالعرب تجعل الفراش والنحل والزنــابير كلها من الذباب و قوله الأزرق المتلمس يريد الطالب .

قال زهير :

يخرجنَ من شرباتٍ ماؤُها طَحِل   على الجذوعِ يخفنَ الماءَ الغَرقــــا

يرى ابن قتيبة أن هذا البيت مما غلط فيه زهير و الشربات شبيه بالحيــاض فــي أصول النحل تملاء ماء لتشرب النحلة)[1]. وقال ابن الأحمر :

وتقنع الـــحرباءُ أرَنته   مُتشاوساً لوريدهِ نَقــر

سأل ابن قتيبة السجستاني : فقال الأُرنه ما لف على الرأس ، قال لم أسـمعه إلا في هذا البيت ، قال وفى شعر ابن الأحمر ألفاظ لم يسمع بها إلا في شعره وهــى قوله:

مــارّيةٌ لؤلؤان اللونِ أودّها طــلٌ   وينــس عنها فرقد خَصِــرُ

أراد تأخر ، وتسميته السمر الجوزل والنار ماموسة . قال المحقق: لم أجـد لابـن أحمر بيتاً فيه هذا اللفظ ولكن ابن مقبل قد أورده بهذا المعنى .)[2]

قال :

تَطايَحَ الطَلُّ عَن أَردافِها صُعُدا   كَما تَطايَحَ عَن ماموسَةَ الشَرَرُ

هذا وفى شعر ابن مقبل الجلاذى يعنى خدم الكنيسة ، قال :

صــوتُ النواقيسِ فيــه مــا يفرّطه   أيــدى الجَــلاذىُّ جــونٌ ما يُعفّينا

و في شعر الأعشى الباقر العثل حيث قال :

إنى لعمــرِ الذي حــطّتْ مناسمــها * تَخدِى وسيــقَ إليه الباقــرُ العثلُ

وقال ابن الأعرابى(الجلاذى في شعر ابن مقبل جمع الجلذية وهى الناقة الصــلبة)[3] .وقال ابن قتيبة : قال أبو عبيدة : العثل الكثير، ولم أره يحفظ في بيــت ابـن أحمر غير هذا أما عن الحية أورد ابن قتيبة بيت عبد الله بن همام السلولى :

كحيــةِ الماءِ لاتِنحاشُ عن أحــدٍ   صــلبِ المراسِ إذا ما حُــلّت النُطُقُ

---

[1]-المعانى الكبير،ج٢،ص٦٣٩

٣-المعاني الكبير ج ٢ (ص ٦٠٤)

[3]-الحيوان ج١،ص١٤٥

روى الجاحظ هذا البيت لطرفه. إذ هناك اختلاف بين الجاحظ وابن قتيبة فى نسبة البيت .

قال إياس بن الأرّت :

كـــأن مـــرعَى أمّــكم إذا بَــدَت عقــربةً يكُـــونها عُقُـــــــرُبان

كـــــل امـــــــرىء قــد يتّقى مقبــلاً و أمــكُم صـــــولتها بالعجــانِ

روى ابن قتيبة :العقربان الذكر مــن العقــارب و أدخــال الهــاء فـــي عقربـــه ضــــــــرورة) [1]. قال عدى بن زيد وذكر فرسا:-

وله النعجـــــة المـــــــرىّ تجــاه الــركب عـــــدلا بالنابىء المخـــــراق

وقال عمر بن الفضفاض :

لا تجهمّينـــــا أم عمـــــرو فإنمـــا بنا داءُ ظــبيٍ لــم تخنْــه عواملُـــه

قال ابن قتيبة: قال أبو عمرو أراد :فانه لا داء بنا كما لا داء بالظبي وقال الأُموى :داء الظبي إذا أراد أن يثب تمكث ساعة ثم وثب وعلق ابن قتيبـــة بقولـــه الأول أجود[2]

وقال النابغة يصف ثوراً :

كـــأن رحلي وقد زالَ النهارُ بنـــا بذِي الجليـــلِ على مستأنسٍ وَحَـــد

من وحشِ وجــــرةٍ موشىّ أكارُعه طاوي المصيـــر كسيفِ الصيقـــلِ الفرد

وقد استحسن ابن قتيبة بيت الطرماح في صفة الثور .

يبدو وتضمُـــره البـــلادُ كأنّه سيـــفٌ على شرفٍ يُسَلّ ويُغمــدُ

وقال داود وذكر ثورا ً:

(يصيحُ تارات كما استمع المضل دعاءَ ناشد)

---

[1]-المعانى الكبير،ج٢،ص٦٧٦

٣-المعانى الكبير ج ٢ (ص٦٥٨)

وعلق ابن قتيبة بعجب أبى عمرو بن العلاء من هذا البيت
وقال المثقب العبدى :

ويصيـــــخ لنبأة أسماعـــه إصاخـــــة الناشـــد للمنشـــدِ

وأيضا قال ابن قتيبة : قال الأصمعى سمعت أبا عمرو يستحسن هذا البيت .
أما قول امرىء القيس:

وسِنّ كُسنّيقٍ سناء وسَنّمٍ ذعِرَتْ بمدلاجِ الهجيرِ نهوضُ

ويرى ابن قتيبة أن الأصمعى لم يعرفه . أما قول أبى الملثم :

فـــــإن الـــــذي يتقى شره كما تتقى النار بالمركض

وعلق بأن ما سبقه بالمركضى أحد .
أما قول الطرماح :

أَتَهجوا مَن رَوى جَزَعاً ولُؤماً كَساقي اللَيلِ مِن كَدَرٍ وَصافي
تَنَحَّل ما اِستَطَعتَ فَإِنَّ شِعري تَلَقَّحَ بِالقَصائدِ عَن كِشافِ

قال ابن قتيبة: يقول تترك من يقول الشعر فلا تهجو،و تهجو من رواه غيره جزعا منك ولؤماً ثم شبه راوية الشعرمن غير أن يقول بهذا الذى يسقى بالليل ولا يدرى أصافى يسقى أم كدر ثم قال: تنحل أنت الشعر فأن قصائدي تأتيك تترى)[1].

[1]-المعانى الكبير،ج٢،انظر الصفحات٨٠٨،٧٧٣،٧٥٣،٧٣٢

المبحث السادس

البلاغة عند ابن قتيبة

يعد ابن قتيبة من أكبر علماء القرن الثالث الهجري ،ويعد دائرة معـــارف شاملة وموسوعة كاملة له العديد من المصنفات في كل لون مـــن ألـــوان الثقافـــة والمعرفة غشى مجالس علماء التفسير و الحديث و النحو اللغة والأدب و التـــاريخ وأخذ من هؤلاء وهؤلاء مما هيأ له أسباب التفوق و الظهور ولـــه فـــي النحـــو إعراب القران وجامع النحو الكبير وجامع النحو الصغير .

قال ابن النديم عن ابن قتيبة ، (أنه ولد بالكوفة وعلى الرغم من ذلك كـــان يغلو في مذهب البصريين وخلط المذهبين وحكى في مذهبه عن الكوفيين أى أنـــه كان على مذهب البصريين في النحو ،وأحياناً يختار آراء المذهب الكوفي)[1]. ابن قتيبة كأستاذه الجاحظ وضع مصنفات كثيرة غير أنها تتميز بصفة خلت منها كتب الجاحظ نعنى بذلك دقة التنظيم و الترتيب أما الجـــاحظ تمتـــاز مؤلفاتـــه بحـــلاوة الأسلوب و انطلاق العبارة .

آراء ابن قتيبة البلاغية

آراؤه البلاغية نجدها فى كتابه(تأويل مشكل القران)و قـــد تنـــاول ألوانـــاً بلاغية عديدة منها : الحذف والزيادة ، والتقديم والتأخير ، والاســـتفهام وخروجـــه من أصل وضعه ، والفصل والوصل ، والمجـــاز العقلـــي والتكـــرار ، والقلـــب، والتشبيه، والاستعارة، والمجاز المرسل، والكناية والتعريض، وبعض المحســـنات البديعية كالتوجيه المشاكلة والفواصل القرآنية كما تناول موضوعات علم المعاني التي تحدث عنها الجاحظ ولكن الجاحظ في الحق كثرت عنده المحسنات البديعيـــة كثر ة هائلة فنوه بالسجع ، وتحدث عن الازدواج وأشار إلى الاقتباس وبين جـــودة التقسيم ، وألمح إلى أسلوب الحكيم ، والاحتراس والهزل الذي يراد بـــه الحـــد ، واستعمل كلمتي الحقيقة والمجاز ، والمذهب الكلامي.

---

[1] -اثر النحاه فى البحث البلاغى،د.عبد القادر القط حسين.ط٢-١٩٨٦-دار قطرى بن الفجاءة للنشر والتوزيع ،الدوحة ،قطر (انظر ،ص١٨٧

ولا شك أن لتلك الأبواب البلاغية التي ذكرها ابن قتيبة قيمة تاريخية كبرى حيث تثبت تلك الحلقة المفقود بين الجاحظ وابن المعتز وهي حلقة تعرف من خلالها أن البلاغة لم تتطور كثيراً على يد ابن قتيبة في جوهرها ولكنها خطت خطوة واسعة نحو التبويب والترتيب حيث وضع الألوان البلاغية تحت أبواب مفصلة ، ومع شواهدها وميز بينها هذا من حيث الشكل أما من حيث الجوهر ، فإن جلة هذه الألوان البلاغية التي ذكرها ابن قتيبة قد تناولها الفراء، ولم يُضف إليها ابن قتيبة جديداً كما فعل الجاحظ في إضافته لبعض المحسنات البديعية ففضل ابن قتيبة إذاً يرجع إلى التبويب والتصنيف .

١-التشبيه:

في فاتحة كتابه المشكل قال إن القرآن نزل بلغة العرب: (وللعرب المجازات في الكلام ، ومعناها طرق القول ومأخذه . ففيها الاستعارة والتمثيل والقلب والتقديم والتأخير والحذف والتكرار والإخفاء والإظهاروالتعريض والإفصاح ، والإيضاح ومخاطبة الواحد مخاطبة الجميع ، والجميع خطاب الواحد، والواحد والجميع خطاب الاثنين والقصد بلفظ الخصوص المعنى العموم . وبكل هذه المذاهب نزل القران)[١]. وهذه الألوان قد تناولها الفراء في كتابه (معاني القران)، غير أن ابن قتيبة قد أفرد لها أبواباً ، وتناول كل لون منفرداً. ولكن ابن قتيبة على كثرة هذه الألوان البلاغية التي ذكرها لم يفرد باباً للتشبيه رغم أهميته القصوى في البلاغة ، وقيمته في توضيح الصورة ، وجمال العبارة وما يخلفه من أثر في النفس . والقرآن ولغة العرب وشعر الشعراء بها حشد هائل من التشبيهات قل أن تفوقه في الكثرة الألوان البلاغية الأخرى وقد تناول التشبيه في كتابه (المشكل) في مواضع كثيرة فمثلا قوله تعالى ((إِنَّهَا تَرْمِي بِشَرَرٍ كَالْقَصْرِ *كَأَنَّهُ جِمَالَتٌ صُفْرٌ))[٢] قال وقع تشبيه الشرر بالقصر في مقاديره ثم شبهه في لونه بالجمالات الصفر وفي قوله تعالى (وأزواجه أمهاتهم) أي كأمهاتهم في الحرمات . وهناك العديد من ألوان التشبيه الحسن والقبيح وغير الجيد والتمثيل ،

---

[١] المشكل ١٥- ١٦
المشكل ٢٤٥، ٢٤٧.[٢]-سورة المرسلاتالايات٣٢-٣٣-

وتشبيه الشيئين بالشيئيين ، والمعكوس ، وغير هذا فالتشبيه عند ابن قتيبة له أهمية كالألوان البلاغية الأخرى ، وابن قتيبة لم يعقد له باباً في المشكل عن عمد وقصد و ذلك لخطورته ، وخاصة إذا أراد أن يعالج فيه قضية تشبيه الذات العلية ، بالحوادث لا يكفيه باباً ، وإنما يفرد له كتاباً خاصاً فصنف فيه (اختلاف اللفظ والمعنى والرد على الجهمية والمشبهة) وبذلك لم يكن ابن قتيبة غافلاً عن إفراد بابٍ للتشبيه [1] .

٢-المجــاز:

ومعنى المجاز عند ابن قتيبة ما يقابل الحقيقة فهو يقول .(وللعرب المجازات في الكلام ومعناها القول ومأخذه) نرى إشارة في كلام ابن قتيبة تدل على أنه كان يعلم كغيره من السابقين بأن المجاز في مقابل الحقيقة وليس قولاً ولا كلاماً على الحقيقة وإنما هو إيجاد للمعنى وصرفوه في كثير من القرآن إلى المجاز [2] .

مقــارنة :

وإذا كان المجاز عند أبي عبيدة بمعنى التفسير حيناً وبالمعنى المقابل للحقيقة حيناً آخر هو الذي شجع العلماء على نفي نسبة المجاز إليه بالمعنى البلاغي المعروف ،فإن الجاحظ هو أول من استعمل المجاز في القرآن بالمعنى المقابل للحقيقة ، حيث انتهى إلى أن المجاز عنده (هو استعمال اللفظ في غير ما وضع له على سبيل التوسع من أهل اللغة ، ثقة من القائل بفهم السامع) [3] .

فابن قتيبة فهم المجاز على أنه ضد الحقيقة كما فهمه الجاحظ . وقد تناول ابن قتيبة قوله تعالى (قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ) [4] .في باب القول في المجاز تناول هذه الآية بنفس ممدود ، وشرح مسهب ، وإقناع شديد واستشهد بشعر الشعراء حتى وصل إلى معنى المجاز.

قال ابن قتيبة فى قوله تعالى (إِئْتِيَا طَوْعاً أَوْ كَرْهاً قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ) [5] .

---

[1] -عبد القادر القط –انظر ص١٩٤
تأويل المشكل ٧٨ [2]
٢ عبد القادر القط ص١٩٥.
[3] سورة فصلت – الآية ١١
[5] سورة فصلت – الآية ١١

لم يقل الله ولا يقولا وكيف يخاطب معدوماً ؟ وإنما هذا عبارة : لكوناهما فكانتا. قال الشاعر :

يشكو إلى جملي طُولَ السُرى   صَبرٌ جميلٌ فكلانا مبتلى

والجمل لم يشك ، ولكنه خبر عن كثرة أسفاره وأتعابه جملة ، وقضى على الجمل بأنه لو كان متكلماً لاشتكى ما به . وكقول عنترة في فرسه .

فَازوَرَّ مِن وَقعِ القَنا بِلَبانِهِ   وَشَكا إِلَيَّ بِعَبرَةٍ وَتَحَمحُمِ

لما كان الذي أصابه يشتكي مثله ويستعبر منه، جعله مشتكياً مستعبراً،وليس هناك شكوى ولا عبرة) [1] .فالسماء والأرض لو كانتا ممن يتكلم لقالتا بالطاعة والانقياد فالله خلقهما على هذه الحالة من الطاعة ، والشاعر يرى ناقته وما هي عليه من الجهد والتعب لو أنها تتكلم لشكت حالتها له، وعنترة يرى شكوى فرسه في دموعه وصهيله فكانت الدموع وكان الصهيل بمثابة الشكوى فكأنه يشكو . فهذا نوع من التشخيص ، وإضفاء صفات الإنسان العاقل على الجماد أو الحيوان غير العاقل فهذه هي الفكرة التي ارتكز عليها ابن قتيبة .

إن الآيات التي تتصل بالذات العلية ويفسرها العلماء بما يتفق وجلال الله تعالى ، وينأون بها عن صفات الحوادث يرى فيها ابن قتيبة أنها تمضي على الحقيقة ، وليس فيها شيء من المجاز ولعل هذا هو الذي دعا العلماء أن يقذفوه مرة بأنه من المشبه وأخرى بأنه من الكرامية ويمكن القول بأن هذه الفكرة لم تكن في مشكل القران واضحة كل الوضوح فابن قتيبة يشير إليها ولا يعلنها صراحة كما فعل في كتابه اختلاف اللفظ والرد على الهمجية والمشبه). لكن ابن قتيبة لم يكن يرفض المجاز لما فيه من مجال فسيح يذهب فيه الوهم حيث يريد ، يتنافى مع التوكيد الذي يحدد المعنى تحديداً تاماً لا مجال للخروج منه أو التوسع فيه ووقف ابن قتيبة عند قوله تعالى (جِدَاراً يُرِيدُ أَنْ يَنقَضَ)[2] . والجدار لا يريد والقرية لا تسأل حيث يقول (فهذا من أشنع جهالتهم وأدلها على سوء نظرهم وقلة أفهامهم) .فابن قتيبة يعد كل ألوان البلاغة قاطبة من المجاز كما أدخل في

---

[1] المشكل ص ٧٨ ، ٧٩

[2] سورة الكهف – اية رقم ٧٧

المجاز ما خالف ظاهر اللفظ معناه ، كمخاطبة الواحد مخاطبة الجميع والعكس والواحد والجميع خطاب الاثنين إلى غير ذلك . فكل ما فيه اتساع في الكلام بوجه من الوجوه ، أو رخص في التعبير عنه فهو من باب المجاز . ومعنى هذا أن المجاز عند ابن قتيبة لم يكن دقيقاً أو له معنى محدد وإنما كان ثوباً فضفاضاً يتسع للكثير من الألوان البلاغية .

وقد أبدى ابن قتيبة اهتماماً خاصاً بالاستعارة فقدمها على غيرها من أبواب المجاز متعللاً بأن أكثر المجاز يقع في باب الاستعارة)[1].

٣-الاستعـــارة:

ويستهل الاستعارة بقوله : فالعرب تستعير الكلمة فتضعها مكان الكلمة ، إذا كان المسمى بها بسبب من الأخرى ، أو مجاوراً لها أو مشاكلاً .

والاستعارة عند ابن قتيبة تكاد تكون مرادفة لكلمة المجاز فالاستعارة فى مثل قوله (ضحكتِ الأرض) إذ أنبتت لأنها تُبدي عن حُسن النبات وتتفتق عن الزهر كما يفتر الضاحك عن الثغر) ، وفي قوله تعالى : (وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَب)[2] يبين أن استعمال الحطب في النميمة أمر شائع عن العرب (ومن هذا قيل فلان يحطب على فلان إذا أغرى به ، شبهوا النميمة بالحطب ويقال : نار الحقد لا تخبو ، فاستعاروا الحطب في موضع التسمية)[3] . وفي قوله تعالى (فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذَنُوباً مِّثْلَ ذَنُوبِ أَصْحَابِهِمْ)[4] يقول الذنوب الحظ والنصيب وأصل الذنوب الدلو ، فاستعير في موضع النصيب)[5].

و لا يفرق ابن قتيبة بين الاستعارة المفيدة التي تأتي لغرض بلاغي والاستعارة غير المفيدة التي هي من باب التوسع اللغوي ولا تأتي لفائدة بلاغية . ففي قوله تعالى (وَعَلَى الَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمْنَا كُلَّ ذِي ظُفُر)[6].استشهد بأمثلة من هذا النوع حيث أطلقها إطلاقاً وذلك كقول الشاعر :

فَما رَقَدَ الوِلْدانُ حَتّى رَأَيتُهُ   عَلى البَكرِ يَمريهِ بِساقٍ وَحافِرِ

---

[1]- عبد القادر القط ص١٩٨--المشكل ص١٦٦ــ١١٧
١ سورة المسد – الآية ٤
٢المشكل ١٠٢ ، ١٢١
[3] سورة الزاريات – الآية ٥٩
٤المشكل ١١٣
٥ سورة الانعام – الاية ١٤٦

فجعل الحافر موضع القدم. وقال آخر :

سأمنعها أو سوف اجعل أمرها إلى ملك أظـلافه لـم تشقـق

يريد بالأظلاف قدميه وإنما للشاة والبقر والعرب تقول للرجل هو غليظ المشافر تريد الشفتين ، والمشافر للإبل . وقال الحطيئة :

قَرَوا جارَكَ العَيمانَ لَمّا تَرَكتَهُ وَقَلَّصَ عَن بَردِ الشَرابِ مَشافِرُه

فأطلق ابن قتيبة أعضاء الحيوان على الإنسان دون أن يشير إلى أن المراد من هذا الإطلاق و ابن قتيبة لا يرى في هذه الأمثلة غير مجرد نقل اللفـظ مـن شيء إلى شيء آخر دون قصد إلى المبالغة في الذم ،والاستعارة عند ابـن قتيبـة تشمل المجاز المرسل باختلاف علاقاته [١]. (يقولون للمطر سماء ، لأنه ينزل من السماء ، فيقال ما زلنا نطأ السماء حتى أتيناكم . قال الشاعر :

إِذا نَزَلَ السَحابُ بِأَرضِ قَومٍ رَعَيناهُ وَإِن كانوا غِضابا

وهذا مجاز مرسل علاقته المحلية أو السببية ومن الاستعارة (وَأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّـتْ وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَةِ اللّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ) [٢] .لأن دخولهم إياهـا كـان برحمتـه فالرحمة سبب في دخول الجنة أي العلاقة السببية والمتأخرون يقولون إنه مجـاز مرسل علاقته الحالية لأن الرحمة حالة في الجنة .

وكما تشمل الاستعارة المجاز المرسل ، تشمل الكناية أيضاً .(يقولون لَقِيتُ من فلانٍ عَرقَ القِربة أي شِدّة ومشقة ، وأصل هذا أن حامل القربة يتعبُ في نقلها حتى يَعرقَ جبينه فاستُعِيرَ عرقُها في موضع الشِدّة وفي قوله (وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ) [٣] أي طهر نفسك من الذنوب فكنى عن الجسم بالثياب لأنها تشتمل عليه.

قالت ليلى الاخيلية وذكرت إبلاً :

رَمَوْها بأَثْوابٍ خِفافٍ فَلا تَرى لَها شَبَهاً إلاّ النّعامَ المُنَفّرا

أي ركبوها فرموها بأنفسهم ، ويعني بأثواب خفاف بأجسام خفـاف فهـذا كناية على حد قول ابن قتيبة ، أو مجاز مرسل علاقته المجاورة ولكنه أدخلها فـي باب الاستعارة ، اعتبرها ابن قتيبة الكناية استعارة ولا فرق بين الاثنين كالمثـال

---

[٣] المشكل ١٠٢ ، ١٠٣

٤سورة ال عمران – الاية ١٠٧

سورة المدثر – الاية ٤ [٣]

السابق والآية القرآنية وكذلك قوله تعالى : (وَلَـكِن لاَّ تُوَاعِدُوهُنَّ سِرّاً)[١]. فالسر كناية عن النكاح لما بينهما من تلازم قال ابن قتيبة: يقال : (السر : النكاح ، لأن النكاح يكون سراً ولا يظهر فاستعير له السر)[٢]. وقال في قوله تعالى (لَوْ أَرَدْنَا أَن نَّتَّخِذَ لَهْواً لَّاتَّخَذْنَاهُ مِن لَّدُنَّا) [٣]. وأصل اللهو : الجماع فكنى عنه باللهو ، كما كنى عنه بالسر ثم قيل المراة لهو، لأنها تجامع . قال امرؤ القيس :

أَلا زَعَمَت بَسباسَةُ اليَومَ أَنَّني   كَبِرتُ وَأَن لا يُحسِنُ اللَهوَ أَمثالي

أي النكاح . ويروي أيضاً : وألا يحسن السر : أي النكاح . فهذا كناية ويدخلها في باب الاستعارة فابن قتيبة إذاً لا يجد فرقاُ بين الاستعارة والكناية وكأنهما لفظان مترادفان عنده و فكرة الكناية غير محددة ولا واضحة وإنما هي داخلة في إطار الاستعارة .

ويدخل أيضاً في الاستعارة قوله تعالى (نساؤكم حَرْثٌ لَّكُمْ) [٤]. (أي مزرع الأرض)[٥]. ومنه قوله (هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ) [٦]. فشبه النساء أولاً والرجال ثانياً باللباس للصلة المذكورة ، وهذا كله داخل في باب الاستعارة عند ابن قتيبة إذا كانت الاستعارة عند ابن قتيبة تحت التشبيه بذكر طرفيه كما تحتوي غيره فإن التشبيه مجاز عنده .

٤-المشاكلة :

عد ابن قتيبة المشاكلة استعارة ومن ذلك قوله (صِبْغَةَ اللّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللّهِ صِبْغَةً) [٧]. سماها المجازاة فقال في قوله تعالى (وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ) [٨] .أي جازاهم جزاء النسيان، وفي قوله (وَأَكِيدُ كَيْداً) [٩]. أجازيهم أجازيهم جزاء كيدهم[١٠].

٢سورة البقرة – الآية ٢٣٥
المشكل ص١٤١[٢]
[٣]سورة الأنبياء – الآية ١٧
[١]سورة البقرة – الآية ٢٢٣
٢[٥]المشكل ١٠٧
٣ سورة البقرة – الآية ١٨٧[٦]
٤١[١]- سورة البقرة – الآية ١٣٨
٢[٥]-سورة الحشر – الآية ١٩
[٦]سورة الطارق – الآية ١٦
٧[٨] تفسير غريب القران ٤١ ٥٢٣

٥-المبالغة:

كما عد المبالغة في الوصف أيضا استعارة ومنه قوله تعـــالى (فَمَـــا بَكَـــتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاء وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنظَرِينَ)[١] .تقول العرب إذا أردات تعظيم مهلك رجل عظيم الشأن ، رفيع المكان ، عام النفع كثير الصنائع : أظلمت الشمس له ، وكسف القمر لفقده ، وبكته الريح و الأرض والسماء يريدون في وصف المصيبة به ، وأنها قد شملت وعمت ، وليس ذلك بكذب ؛ لأنهم جميعا متواطئون عليـــه ، والسامع له يعرف مذهب القائل فيه . وهكذا يفعلون في كل ما أرادوا أن يعظمـــوه ويستقصوا صفته . ونيتهم في قولهم : أظلمت الشمس أي كادت تظلـــم ، وكســـف القمر أي كاد يكسف .ومعنى كاد هَمّ أن يفعل . وأحس ابن قتيبة بما فـــي قلـــوب السامعين بأنه نوع من المبالغة فقدرذلك (كاد) التي تدني الفعل ولا تجعله واقعاً

٦-القلب:

فالمقلوب أن يوصف الشيء بضد صفته: إما للتطير أو التفـــاؤل كقـــولهم: للديغ سليم تطيرا من السقم وتفاؤلاً بالسلامة .أو للمبالغة فـــي الوصـــف كقـــولهم للغراب أعور لحدة بصره. أو للإستهزاء كقوله تعالي:

((قَالُواْ يَا شُعَيْبُ أَصَلاَتُكَ تَأْمُرُكَ أَن نَّتْرُكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا أَوْ أَن نَّفْعَـــلَ فِـــي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاء إِنَّكَ لَأَنتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ) [٢].وهذا يدخل في الاســـتعارة التهكميـــة . ومن المقلوب أيضا التضاد في اللغة : كالصريم التي تطلق على الصـــبح والليـــل فيقال للصبح صريم ، ولليل صريم ، كقوله تعالى: ((فَأَصْبَحَتْ كَالصَّـــرِيمِ)) [٣] أي سوداء كالليل لأن الليل ينصرم عن النهار والنهار ينصرم عن الليل [٤].

ومن المقلوب الذي يتعلق بالتصريف قوله :(ومن المقلوب جذب وحبـــذ ، واضمحل وامضحل .. وساءني الأمر وسأني .. إذا أحزنك .

٨[٩] سورة الدخان – الآية ٢٩
- [٢]سورة هود الايه ٨٧
-سورة القلم الايه ٢٠[٣]
المشكل ١٤٢ ، ١٤٣[٤]

ومن المقلوب أن يقدم ما يوضحه التأخير ، ويؤخر ما يوضحه التقديم ، كقوله تعالى(فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّي إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ) أي فإني عدو لهم ، لأن كل ما عاديته عاداك ويشهد على ذلك بما ذكره سيبويه في كتابه:

ترى الثورَ فيها مُدخلَ الظّلَ رأسَه وسائره بادٍ إلي الشمسِ أجمع

أراد مدخل رأسه الظل ، فقلب فصار كل واحد منهما داخلاً في صاحبه ، والعرب تقول : أعرض الناقة على الحوض ، تريد : أعرض الحوض على الناقة ، لأنك إذا أوردتها الحوض : اعترضت بكل واحد صاحبه . وقال عز وجل(خُلِقَ الْإِنسَانُ مِنْ عَجَلٍ سَأُرِيكُمْ آيَاتِي فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ)[1] . أي خلق العجل من الإنسان يعني العجلة.

٧-التكرار : -

والتكرار القصد به التوكيد والإفهام . وذكر ذلك ابن قتيبة في وضوح تام وإنما تكرار الكلام من جنس واحد وبعضه يجزئ من بعض ، كتكراره في قوله تعالى(قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ)[2] . وفي سورة الرحمن (فَبِأَيِّ آلَاء رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ)[3] .

وأن القرآن نزل بلسان القوم وعلى مذاهبهم ، ومن مذاهبهم التكرار إرادة التوكيد والإفهام كما أن من مذاهبهم الاختصار ، إرادة التخفيف والإيجاز لأن افتنان المتكلم ، والخطيب في الفنون وخروجه من شيء إلى شيء أحسن من اقتصاره في المقام على فن واحد وكل هذا يراد به التأكيد للمعنى الذي كرر به اللفظ فالتكرار للتوكيد والإفهام لأن التكرار يفيد العناية بالأمر والاهتمام به ، وزيادة التنبيه له وخشية تناسى الكلام الذي ذكر أولاً فلا تنصرف عنه وقد راعى القرآن ذلك فكرر ، وضاعف التكرار في بعض السور حين أراد مضاعفة الاهتمام والعناية بما يقول .أما الزيادة فقد تكون بالحرف مثل الباء ومن واللام والكاف وعن ، وإن وإذ وما والواو ولا . وكلها تأتي لإفادة التوكيد ولكن ابن قتيبة لا يكتفي بهذا بل يورد للزيادة معنى جديداً وقد تأتي الكلمة الزائدة لرفع المجاز وبيان إن الكلام يجري على حقيقته فمن ذلك قوله (وأما الزيادة في التوكيد فقوله

---

[1]-سورة الانبياء الايه ٣٧
[2]-سورة الكافرون الايه ١
[3]-سورة الحمن الايه١٣

سبحانه (يقولون بأفواههم ما ليس في قلوبهم) لأن الرجل قد يقول بالمجاز كلمت فلاناً ، وإنما كان ذلك كتاباً أو إشارة على لسان غيره فأعلما أنهم يقولون ألسنتهم وكذلك قوله(فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَـذَا مِنْ عِندِ اللّهِ لِيَشْتَرُواْ بِهِ ثَمَناً قَلِيلاً فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُمْ مِّمَّا يَكْسِبُونَ) [1]. (لأن الرجل قد يكتب بالمجاز وغيره الكاتب عنه) .

٨-الكناية:

تناول ابن قتيبة الكناية وما ذكره في باب الاستعارة بأنها كناية والكناية بأنها استعارة وبين أن الكناية الاصطلاحية هي(اللفظ الذي يراد به لازم معناه مع جواز إرادة ذلك المعنى)وهى أشد صراحة فابن قتيبة يقول (وكلام العرب إيماء وإشارة وتشبيه يقولون (فلان طويل القامة فيدلون بطول نجاده ، على طوله لأن النجاد القصير لا يصلح على الرجل الطويل ويقولون (فلان عظيم الرماد ولا رماد في بيته ولا على بابه وأنه يريدون أنه كثير الضيافة فناره وارية أبداً وإذا كثر وقود النار كثر الرماد والله تعالى يقول في كتابه(مَّا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلاَنِ الطَّعَامَ انظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الآيَاتِ ثُمَّ انظُرْ أَنَّى يُؤْفَكُونَ) [2]فدلنا بأكلها الطعام على معنى الحدث لأن من أكل الطعام فلابد له من يحدث وقال تعالى حكاية عن المشركين في النبي صلى الله عليه وسلم ((وَقَالُوا مَالِ هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ لَوْلَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُ نَذِيراً) [3]. فكنى بمشيه في الأسواق عن الحوائج التي تعرض للناس فيه فيدخلون لها الأسواق ، كأنهم رأوا أن النبي عليه السلام إذ بعثه الله تعالى أغناه عن الناس وعن الحوائج إليهم) [4] .

وأنواع الكنايةهى : كناية عن صفة ، وموصوف ونسبة

[1]-سورة البقرة الايه ٧٩
[2]-سورة المائدة الايه ٧٥
[3]-سورة الفرقان الايه ٧
[4] تأويل مختلف الحديث ١٦٣، ١٦٤

٩-التعريض:-

والتعريض عند ابن قتيبة فرعٌ عن الكناية ويبين الغرض منه ومــن هــذا (بوجه هو ألطف وأحسن من الكشف والتصريح ، والتصريح ، ويعيبون الرجل إذا كان يكاشف في كل شيء ويقولون لا يحسن التعريض إلا ثلباً)[1]. وأن للتعــريض قيمة أخلاقية يستعمل المتكلم اللطف والستر ولا يمنعه ذلك عن الوصول إلى هدفه . لذلك نقل عن المنصور (عقوبة الحلماء التعريض ، وعقوبة السفهاء التصــريح)[2] .

١٠-الغرابة والتعقيد:

أما الغرابة والتعقيد قال ابن قتيبة على الكاتب أن يتــوخى الســهولة فــي العبارة و المعنى فلا يكون اللفظ وحشياً غريباً ، ولا المعنى بعيداً ، والكلام معقداً قال (وليس حكم الكتاب في هذا الباب حكم الكلام ، لأن الأعراب لا يقــبح منــه شيء في الكتاب كقول بعض الكتاب في كتابه إلى العامل فوقه (وأنا محتاج إلى أن تنفذ إلى جيشاً لجباً عرمرماً) [3].

١١-مطابقة الكلام لمقتضى الحال:

(ومطابقة الكلام لمقتضى الحال.... هو الذي يجب مراعاته في الكلام حتى يصبح بليغاً يتعدى مرحلة الإفهام ، و البعض يقول إن مطابقة الكــلام لمقتضــى الحال يقصد به إفهام المعنى دون أن نتخطى ذلك) [4]. ومطابقة الكــلام لمقتضــى الحال : أترى حال المخاطب أم حال المتكلم أم كليهما معاً؟(أمــا مراعــاة حــال المخاطب فهى الأمور التى اهتم بها البلاغيون وذلك بمراعــاة حــال المخاطــب ومطابقة الكلام له .فشعراء المراثي الذين ينظمون الشعر لفقد أعزائهم ، وفــراق أحبائهم ،لا شك أنهم ينظمونه لتصوير ما ألم بهم من حــزن ومــا اعــتلج فــي صدورهم من ألم ، ولا شك أن قصائدهم تطابق أحوالهم أولاً ثم توافــق أحــوال المخاطبين بعد ذلك ، وربما لا توافق.

[1] المشكل ٢٠٤
[2] عيون الاخبار ٢٨٥/١
[3] أدب الكاتب
[4] -اثر النحاه فى البحث البلاغى ص٢٠٩

فواصل بن عطاء (١٨١هــ) كان مصاباً بلثغة في لسانه فلا يظهر حـــرف الراء في كلامه ، ولذلك كان يتجنب حرف الراء فيما يقول ومعلوم أنه كان بليغاً وفصيحاً ، وهو لبلاغته وفصاحة بيانه ، يستطيع أن يـــؤثر فـــيهم ، وإن تـــواري حرف الراء من لسانه .فمراعاة حال المتكلم شكلاً ومضموناً تقف جنباً إلي جنـــب مع مراعاة حال المخاطب) [1].

١٢-التورية :-

عرّف ابن قتيبة التورية علي أنها لفظ يتفق ظاهرة مع مراد السامع ، ولكن المتكلم ينوي به شيئاً آخر يتفق هو وهواه . ويلجأ إلي ذلك لداع من الـــدواعي ، كالتخلص من مأزق أو الهروب من موقف .

وقد تناول ابن قتيبة التوجيه كمحسن بديعي في قوله تعالى(يَا أَيُّهَـــا الَّـــذِينَ آمَنُواْ لاَ تَقُولُواْ رَاعِنَا وَقُولُواْ انظُرْنَا وَاسْمَعُواْ وَلِلكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ) [2].

١٣-تأكيد المدح بما يشبه الذم:

أما تأكيد المدح بما يشبه الذم تطرق إليه في قوله تعالى(يَحْلِفُونَ بِاللّـــهِ مَـــا قَالُواْ وَلَقَدْ قَالُواْ كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُواْ بَعْدَ إِسْلاَمِهِمْ وَهَمُّواْ بِمَا لَمْ يَنَالُواْ وَمَا نَقَمُـــواْ إِلاَّ أَنْ أَغْنَاهُمُ اللّهُ وَرَسُولُهُ مِن فَضْلِهِ فَإِن يَتُوبُواْ يَكُ خَيْراً لَّهُمْ وَإِن يَتَوَلَّوْا يُعَذِّبْهُمُ اللّـــهُ عَذَاباً أَلِيماً فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ فِي الأَرْضِ مِن وَلِيٍّ وَلاَ نَصِيرٍ) [3] .

فقال ليس ينقمون شيئاً ولا يعرفون من الله إلا الصنع الجميـــل .وكقـــول النابغة :

وَلا عَيبَ فيهِم غَيرَ أَنَّ سُيوفَهُم بِهِنَّ فُلولٌ مِن قِراعِ الكَتائِبِ

[1] -اثر النحاه فى البحث البلاغى ص٢١١

[2] سورة البقرة –الآية ١٠٤

[3] سورة التوبة-الايه٧٤

١٤-حسن الابتداء:

أشار ابن قتيبة إلى حسن الابتداء ، وجمال المطلع في القصائد الشعرية ففي قول أوس بن حجر :

أَيَّتُها النَفسُ أَجمِلي جَزَعا إِنَّ الَّذي تَحذَرينَ قَد وَقَعا

قال (لم يبتدئ أحد مرثية بأحسن من هذا). وقد تطرقنا إلى ذلك فى أقسام الشعر.

وقال ابن قتيبة في قول النابغة الذبياني :

كِليني لِهَمٍّ يا أُمَيمَةَ ناصِبِ وَلَيلٍ أُقاسيهِ بَطيءِ الكَواكِبِ

لم يبتدئ أحد من المتقدمين بأحسن منه ولا أغرب)[١] .(

١٥-السجع:-

أما السجع أو الفواصل القرآنية خالف ابن قتيبة الفراء حين قال: بزيادة الحروف في رؤوس الآيات ونقصانها ، مراعاة للموسيقي القرآنية ، واتساق الآية مع ما قبلها وما بعدها)[٢].

---

[١] الشعر والشعراء ٦٦ .

[٢]-اثر الحاه فى البحث البلاغى ص٢١٣

الفصل الثالث

المقارنة بين الجاحظ وابن قتيبة

المبحث الأول

المقارنة بين الجاحظ وابن قتيبة من حيث الفكر والمنهج:

الجاحظ وابن قتيبة هما من أكثر رجال القرن الثالث اشتقالاً بقضايا الأدب والشعر والبلاغة العربية والنقد وهم العلماء والأدباء الذين تعمقــوا فــى الثقافــة العربية وألموا بالمعارف الأجنبية التى أخذت تشيع فى عصرهم وأن أبــا عثمــان الجاحظ وابن قتيبة هما خير من يمثل هذه الطائفة إنتاجاً وفكراً و يمثل ابن قتيبــة امتداداً لآراء الجاحظ في الجيل التالي له مباشرة من القرن الثالث الهجري وهما يمثلان الجهود البلاغية والنقدية في هذا القرن من زاويتــين مختلفتــين زاويتــي: المعتزلة والفقهاء ، فالجاحظ أديب متكلم ، وابن قتيبة فقيه مفكر يناصب المتكلمين العداء ، ومن هنا يتضح الفرق بينهما المتمثل في نظر الجاحظ الأديــب المفكــر لقضايا الأدب وشعره ونثره ونظر ابن قتيبة المفكر لتلك القضايا ، فالجاحظ يمتاز عن ابن قتيبة بالممارسة والمعاناة

و أرى أن تفسير آراء ابن قتيبة وتقويمها نراه فى تأثير الجاحظ فيه، وأجاز له الرواية عنه .وأن ابن قتيبة انتقد الجاحظ فقد إتهمه بأنه يذكرحجج النصــارى على المسلمين بأقوى مما يذكر الرد عليهم ،وبأن كتبه ملئت بالمضاحيك والعبــث ،وأنه كذاب يضع الحديث وينصر الباطل

ونبدأ بالمقارنة بين الناقدين في المواقف:

إن أول هذه المواقف سماحة الجاحظ وتعصب ابن قتيبة ، والدليل أن ابن قتيبة عاب الاشتغال بعلم الكلام[1]، ورأي أن صاحبه انحرف إلي علم قد سلمه لــه ولأمثاله المسلمون ، وقل فيه المتناظرون ، له ترجمة تروق بلا معنــى ، واســم يهول بلا جسم ، فإذا سمع الغمر والحدث الغر قوله: الكون والفســاد ، والكيفيــة والكمية ، راعه ما سمع وظن أن تحت هذه الألقاب كل فائدة ولطيفة ، فإذا طالعها لم يحل منها بطائل ، فهو قد نفى عنه صفة العالم وعده من العبث الذي لا طائــل وراءه ، وصدر في هذا الموقف عن مناصبة المتكلمين العداء . وهــذا الموقــف

---

[1])انظر مقدمة أدب الكاتب لابن قتيبة تحقيق الشيخ محمد محي الدين ط.الرحمانية بمصر –بدون تاريخ ص٤-٥

يفسر تقصير ابن قتيبة في الكلام عن الخطابة من حيث الأسس الفنية التـي تقـوم عليها: و أنه احتج لأهل السنة ودافع عنهم ، فهو إذن مـتكلم ناصـب المتكلمـين العداء ، ومارس الكلام وحكم بعدم جدواه.

وجاء هذا النص في سياق حديث ابن قتيبة عن اعتماد الكتاب على الـزاد الأجنبي دون الإسلامي والعربي من الثقافة ، وتصديه لخطر المنطق اليوناني على درس البلاغة العربية ، وضرب المثل في ذلك بمحمد بن الجهم البر مكي ، وهـذا موقف آخر اتفق فيه ابن قتيبة مع الجاحظ ، فهو يردد أفكار الجاحظ في رسـالته في ذم أخلاق الكتاب (١)، فابن قتيبة لم يأت بجديد في هذا الموضـوع وإن أوهـم بذلك ثم هو بعد هذا بصفحات وفي المقدمة أيضا قد حث على إتقان العلوم الكونية (٢) التي عاب مثيلها في علم الكلام ،و ليس هناك تناقض قال (٣) (ستظن إن بـين الكلاميين تدافعا وأنه يضرب هناك صفحاً عما أثبته هنا ، ولكنك لو تأملت لعلمت أنه إنما ينهي عن التشدق بالألفاظ والتعمق في الإغراب على الناس).

إن ابن قتيبة متأثر بالجاحظ مردد للفظه ومعناه ، ولكن دون وعي، بل يأخذ بعضه ويدع بعضه الآخر. ورأى الجاحظ متمثل في قوله : (وقبيحٌ بالخطيب أن يقوم بخُطْبة العيد أو يومَ السِّماطين، أو على منبر جماعة، أو في سُدّة دار الخلافة، أو في يومِ جَمْعٍ وحفل، إمَّا في إصلاح بين العشـائر، واحتمـالِ دمـاء القبائـل، واستلالِ تلك الضّغائن والسّخائم، فيقولَ كما قال بعضُ مَن خطَب على مِنبرٍ ضخمِ الشَّأنِ، رفيع المكان: ثم إنَ اللَّه عزّ وجلّ بعد أن أنشأ الخَلق وسوّاهم ومكّن لهـم، لاشَاهم فتلاشَوْا، ولولا أنَّ المتكلِّم افتقَرَ إلى أن يلفِظ بالتَّلاشي لكان ينبغي أن يُؤخَذَ فوق يده،وخطَب آخَرُ في وسط دار الخلافة، فقال في خطبته: وأخرجَهُ اللَّه مـن باب الليسيَّة، فأدخله في باب الأيْسيَّة، وإنَّما جازت هذه الألفاظُ في صناعة الكـلام حين عَجَزت الأسماءُ عن اتِّساع المعاني، وقد تَحسُنُ أيضاً ألفاظُ المتكلِّمين في مثل شعرِ أبي نُواسٍ وفي كلِّ ما قالوه على وَجْه التَّظرُّف والتملح)[١] .

---

(١) انظر رسائل الجاحظ تحقيق عبد السلام هارون – ١٨٣/٢ وما بعدها
(٢) مقدمة أدب الكاتب – ص١٢
(٣) المصدر السابق هامش رقم (١) – ص٥
١-البيان والتبين ج ١ص١٤١س.

فالتعصب أفسد قول ابن قتيبة ،والسماحة دلت الجاحظ على ما يحس ، وما يقبح ، وما يقبل على وجه التظرف من ألفاظ المتكلمين ، أي دلته سماحته على تطبيق مبدأ(المقام والمقال)،وما يجب لكل مقامٍ من المقال على خير وجه .

أما موقفها المشترك من محمد بن الجهم وأمثاله يبين اتفاقهما على تجارب الكاتب مع مشكلات عصره ، فابن قتيبة يتابع الجاحظ في وصف الداء وتشخيص الدواء ، أما الداء فهو مقاومة تيار الاعتماد على الزاد الأجنبي دون العربي والإسلامي في الثقافة عند الكاتب ، وأما الدواء فتقديم الغذاء الفكري والموروث الأدبي البديل لذلك الزاد الأجنبي – متمثلا في المعارف العلمية العربية الدال عليها الشعر والنصوص الأدبية المصورة للقيم الموروثة. ولون الدواء وطعمه مختلف عند كل منهما ، فهو صريح ، جاف ، مركز عند ابن قتيبة ، ومغلف بغلاف الفن ، حلو ، غير مباشر عند الجاحظ ، وهذا يعني أن الجاحظ كان يهدف إلي اكتساب الموهبة الفردية ما يعنيها على النضج من خلال تذوق النصوص والبصر بها أي دون تقليداً مباشراً ويهدف بهذا ألا تتشكل المواهب الفردية بالتقليد المباشر فتتشابه ، أما ابن قتيبة فجهده متوفر على تقديم المعارف والقوانين وأغلبها في اللغة والنحو والصرف مع مقدمة في المجاز والتأويل . وإذا كان ابن قتيبة يمتاز على الجاحظ بالترتيب والتبويب فالجاحظ يمتاز عليه بالترفق بالقارئ.تأثر ابن قتيبة بالجاحظ في قضية المجاز ، وأرى أنه متأثر في هذا الجانب بالأصمعي والمبرد.

واعتمد ابن قتيبة في كتابه (الشعر والشعراء) مقياس الشهرة والاحتجاج قال [١] (وكان أكثر قصدي للمشهورين من الشعراء، الذين يعرفهم جل أهل الأدب، والذين يقع الاحتجاج بأشعارهم في الغريب، وفي النحو، وفي كتاب الله عز وجل، وحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم).

وقد رفض الجاحظ مقياس الشهرة في حديثه عن سلطان الحظ على الآثار الأدبية ، ورأيه أن الأكثر شهرة ليس دائماً هو الأفضل جودة [٢] ، واحياناً مقياس الشهرة مقياس مضلل.

---

[١] الشعر والشعراء : لابن قتيبة تحقيق احمد محمد شاكر – ط دارا لمعارف بمصر – سنة ١٩٦٦م – ص٥٩
[٢] البيان – ١-٢٠

وقد أسقط مقياس الشهرة من كتاب ابن قتيبة الأشعار السائرة التي لا أرباب لها ، والأشعار الدالة على اتجاهات أصحابها دون أسمائهم كأشعار الأعراب والنساء ، واليهود ، واللصوص . ومقياس الشهرة الصق بالأحكام العامة التأثيرية الموروثة وهي كثيرة وبخاصة في حديثه عن الضرب الأول من الشعر الذي حسن لفظه وجاد معناه.

أما مقياس الاحتجاج فقد رفض الجاحظ الاقتصار عليه ، وعاب نظر شيوخه في الشعر لغاية وظيفية ، بعيدة عن روح الشعر ، ونادى بأن يطلب الشعر لذاته دون اقتصار على دلالته على قاعدة نحوية ، أو صحة خبر أو ما شابه) [٢].

فشرط الاحتجاج عند ابن قتيبة صرفه عن الشعر الجيد الذي ليس محلاً للاحتجاج.

ومقياس الشهرة بتناقض مع مقياس الاحتجاج فقد يحتج ببيت غير مشهور ، كما قد يحتج ببيت منحول ، وعندئذٍ يحتاج الناقد إلي إدارة حواسه النقدية للكشف عن الزيف والتدليل عليه. وأرى أن تقصير ابن قتيبة في قضية الانتحال في الشعر يرد إلي أمور منها مقياس الشهرة المضلل ، وطبيعته العازفة عن الجدل، وعزوفه عن النقد الموضعي أو التطبيقي وهو في هذا بعيد عن الجاحظ ويمكن توضيح الفرق بينهما في هذا البيت المنحول للنابغة [١]

فَأَلفَيتُ الأَمانَةَ لَم تَخُنها كَذَلِكَ كانَ نوحٌ لا يَخونُ

مر في رواية ابن قتيبة دون أن يدريك أنه منحول ، وقال ابن قتيبة (ولم أعرض في كتابي هذا لمن كان غلب عليه غير الشعر)[٢]وهذا القول سليم من الناحية المنطقية لأنه قصر كتابه على الشعر والشعراء ، ولكن مبادئ النقد يجب أن تنبع من طبيعة الفن وليس من المنطق وابن قتيبة يختلف في هذا مع الجاحظ وأن الجاحظ أصوب وأقرب إلي قيم الشعر منه فقد حدثنا عن الخطباء الشعراء، والشعراء الخطباء ، ومن جمع بين القصيد والرجز ، ومن اقتصر على واحد منهما ، واستفاد الجاحظ من هذا في تفسير الغريزة وبيان الصلة بينها وبين

١-)انظر الشعر و الشعراء -١٥٨/١[١]
٢-الشعر والشعراء-٦٢/١[٢]

الاكتساب ، واستفاد منه أيضاً في حديثه عن طبقات الشعراء، وبيان وجه الإجـادة ووجه التقصير عند كل منهم وكيف يتأتي لناقد أن يحكم على البعيث[١] وبشار بن برد والعتابي ، وسهل بن هارون إذا اقتصر في حكمه على شـعرهم دون سـائر نتاجهم الأدبي.

ولو قارنا بين تناول كل من الجاحظ وابن قتيبة لقضايا الشعر فسنجد أن ابن قتيبة كان أقرب إلي مؤرخي الأدب في حين كان الجاحظ أقرب إلي النقاد ومرجع ذلك أن ابن قتيبة ترجم للشعراء ذاكراً أنسابهم وأخبارهم ونماذج مـن أشـعارهم وأفضل ما في تراجمه بيان المعاني التي سبق إليهـا الشـاعر وابتـدعها ، ومـا يستجلب من شعره وما يعاب عليه ، وما يتمثل به ، ويتغنى به ، وتنذر في هـذه التراجم الموازنات الأدبية وبيان الفروق بين المذاهب والاتجاهات ، إنما الجـاحظ لم يذكر من أخبار الشاعر ونسبه إلا ما يعين على فهم شعره، وقصد وكشف عـن اتجاهاتهم ومذاهبهم .

والنقد عند الجاحظ جزئي مرتبط بالقضية أو المعنى ، معلل ، يـدل علـى ذوق صاحبه وحمل مقاييسه النقدية ، في حين نجد الأحكام النقدية عند ابن قتيبـة مروية عن شيوخه ، تأثرية، غير معللة ، أما أحكامه الخاصة فتكشف عن ذوقه ، ونجده يبحث في الشعر عن الفكرة والمعنى الأخلاقي مثل قوله [٢] (والمتكلف من الشعر وإن كان جيداً محكماً فليس به خفاءٌ على ذوي العلم، لتبينهم فيه مـا نـزل بصاحبه من طول التفكر، وشدة العناء، ورشح الجبين، وكثرة الضرورات، وحذف ما بالمعاني حاجةٌ إليه، وزيادة ما بالمعاني غنًى عنه. كقول الفرزدق في عمر بن هبيرة لبعض الخلفاء:

أَوَلَّيْتَ العِرَاقَ ورَافِدَيْهِ   فَزَارِيًّا أَحَذَّ يَدِ القَمِيصِ

يريد أوليتها خفيف اليد يعني في الخيانة ، فاضطرته القافيـة إلـي ذكـر القميص.

---

[١] انظر البيان – ٨٤/٤
[٢] الشعر والشعراء – ٨٨/١

وفهم ابن قتيبة لمعنى غير المتكلف هو فهم الجـــاحظ (لإصـــابة المقـــدار) (ويفضّلون إصابة المقادير، ويذمُّون الخروجَ من التعديل، قال جعفر بنُ ســـليمان ليس طِيبُ الطّعام بكثرة الإنفاق وجودة التَّوابل، وإنّما الشّأنُ في إصابة القَدْر) [٤]. فالأساس التطبيقى النظري في النقد لبيت الفرزدق ليس لابـــن قتيبـــة وقـــد أورد الدكتورمحمد مندور فى كتابه النقد المنهجى بيان مافيه مـــن قصـــور فـــي فهـــم الصورة، فقال :ولا أرى مبالغة في اللفظ ولا ضعفاً في الصياغة في قول الفرزدق (وإنما هو الفرزدق الشاعر الدقيق الحس الخبير بطبيعة الشعر ولغة الشـــعر قـــد عرف كيف يرفع من قدر العراق ويضفي عليه جلال الشعر بهـــذين (الرافـــدين) وعجز ابن قتيبة عن إدراك ذلك فحسبه حشوا ، وهي بعد ظاهر يعرف بها أجـــود الشعر وأخلده . فالشعر لا يقصد إلي مجرد تحديد المعنى حتى يقال إن الرافـــدين جزء من العراق أو هما العراق فوجب حذفهما لأنهما لا يضـــيفان إلـــي المعنـــى تحديداً ، وإنما الشعر نشر روح وتحريك خيال وبعث إحساس ، وكم فيه من صيغ جميلة لا تسعى إلي غير هذا (كغربة النوى) وكـــذلك قـــول الفـــرزدق (العـــراق ورافديه).

وأما أخذ يد القميص فكناية جميلة لم يفطن إلي روعتها ابن قتيبـــة . وهـــل أدل على الخيانة من أن نكني عنها بيد قميصي يقطر صديداً ؟ وهل أقوى من هذه عبارة؟ ومع ذلك يقول ابن قتيبة إنها حشو) [١] .

وتقسيم ابن قتيبة الشعراء إلي مطبوعين ومتكلفين استفاد من الجـــاحظ . و الطبع ما وافق الديباجة الجاهلية الجزلة عند الجاحظ ، و الطبع عنـــد الجـــاحظ لا يعنى الاستجابة التلقائية المتحررة من الاختيار أو القيود الفنية ، بل هو صـــدور الشاعر عن تكوينه الفطري والموروث معاً ، أي أن الطبع عنده لا يعني الارتجال أو قبول الشاعر عفو خاطره ، كما لا يعني كد الذهن وترديد النظر حولاً مجرّمـــا كصنيع أصحاب الحوليات ، ولكن يعني ما بين هذا وذاك حيث يصـــح المعنـــى ، ويأتلف النظم ، وتتحقق للصورة الشعرية طرافتها ، وتخفي الصنعة عند أصحاب

---

(٤) انظر في ذلك البيان – ٢/٧-٩ ، ٣/١١، ١/٢٨٨-٢٨٩، ٢/٢٨

١-النقد المنهجى عند العرب ومنهج البحث فى الادب و اللغة ،د.محمد مندور ،مطبعة نهضة مصر ،القاهرة ،١٩٠٠م

الحوليات كزهيروالحطيئة وعند أصحاب البديع أو التصنع كبشار ومسلم والعتابي ومن افتقر إليه من أصحاب هذه المذاهب ينصح بترك صناعة الشعر. وأكد الجاحظ بقوله (فإنما الشعر صناعةٌ، وضَرْب من النَّسج، وجنسٌ من التَّصوير) وقوله: إن المدح بين السماطين لابد فيه من ترديد النظر .

قال [٢] (ومن الشعراء المتكلف والمطبوع: فالمتكلف هو الذي قوم شعره بالثقاف، ونقحه بطول التفتيش، وأعاد فيه النظر بعد النظر، كزهيرٍ والحطيئة، وكان الأصمعي يقول: زهيرٌ والحطيئة وأشباههما من الشعراء عبيد الشعر، لأنهم نقحوه ولم يذهبوا فيه مذهب المطبوعين، وكان الحطيئة يقول: خير الشعرالحولي المنقح الممحكك. وكان زهيرٌ يسمى كبر قصائده الحوليات).

وللشعر دواع تحث البطيء وتبعث المتكلف:

منها الطبع ، ومنها الشوق، ومنها الشراب، ومنها الطرب ومنها الغضب. وللشعر تارات يبعد فيها قريبه ويستصعب فيها ريضه ولا يعرف ذلك سبب، إلا أن يكون من غير عارض يعترض على الغريزة من سوء غذاء ، أو من خاطر غم وللشعر أوقات يسرع فيها آتيه، ويسمح فيها آبيه ولهذه العلل تختلف أشعار الشاعر ورسائل الكتاب، وقالوا في شعر النابغة الجعدي خمار بواف ومطرف بالآلف ولا أرى غير الجعدي ، في هذا الحكم إلا كالجعدي ولا احسب أحداً من أهل التمييز والنظر، نظر بعين العدل وترك طريق التقليد ، يستطيع أن يقدم أحداً من المتقدمين على أحد إلا بان يرى الجيد في شعره أكثر من الجيد في شعر غيره. وتوارد الخواطر بين الجاحظ وابن قتيبة ليس من قبيل الصدف ، ولا تكرر الشواهد.

وخالف ابن قتيبة فهم الجاحظ لمعنى الطبع:

وليس في هذا ما يعيب ابن قتيبة ونجده قد قسم الشعراء إلي متكلفين ومطبوعين ، وهذا يعني أن المتكلفين ليس لهم في الطبع نصيب.

(٢) الشعر والشعراء – ٢٧/١

وابن قتيبة هو أول من توسع في بحث الأدب: بروح العلم ،ووضع الأسس النقدية التى يجب أن يلتزم بها الناقد عند تصديه لنقد العمل الأدبي والحكم عليه.

لذا أقام منهجه النقدي على أصول استمدها من آرائه الخاصة ومن سابقيه، وقد كان مقياسه السابق لتقدير الشعر ونقده أحد أصول منهجه في النقد.

وما يأخذه عليه: أنه ردد ما ذكره الجاحظ من موانع الإجابة كالغم وسوء الغذاء، وما يحققها كالخروج إلي الرياض، ولكن الجاحظ أورد هذه الأمور على أنها مما الصقه الناس بالغريزة، ورأيه أنها أمور ليست جوهرية فالغذاء الجيد لا يصنع الغريزة ولا يستدعي الطبع، وقال إن الطبع الأصيل بتحدي أقسى الشواغل، ونرى استفادة ابن قتيبة من أفكار الجاحظ في حديثه عن(إصابة المقدار، وصحة المعنى الشعري، والقِران)[٤].

وابن قتيبة لم يتعصب للقديم لقدمه أو الحديث لحداثته وأن ابن قتيبة أول من نادى بالتسوية بين القدماء والمحدثين. وولكن الجاحظ أول من نادى بهذه الفكرة ،وذلك في حديثه عن شعر أبي نواس والموازنة بينه وبين مهلهل بن ربيعة . إذاً الأساس للجاحظ فى المفاضلة بين الشعر.

وإذا قارنا بين الرجلين فى كتبهما وجدنا شخصية الجاحظ أقوى فهو يخرج العلم مهضوماً ،ويمس الحياة الاجتماعية ويتغلغل فيها .

[٤] الشعر والشعرا ج١ص(٩٠،٩٩،٨٨،وانظر البيان والتبين ج١ ص(٣٧-١٧٧)

المبحث الثانى

مفهوم الطبع والصنعة عند كل من الجاحظ وابن قتيبة :

١-الجاحظ:

إن هناك مواضع مختلفة متناثرة بين استطرادات (الجاحظ) المعروفة منها مفهومه للطبع والصنعة (انظر صحيفة بشر بن المعتمرمن هذا البحث) وهى تقـدم عرضاً نقدياً يتميز بتحليل إشكالات الإبداع وتخلص الصحيفة بعد ذلـك إلـي مـا ينتجه المبدع وتقويم عطائه شعراً أو نثراً ليس فيها تنظير خاليـة مـن اصـطناع المعايير والصحيفة في مجملها توجه وتوجيه إلي من يمتلك تلك الملكة الإبداعيـة التي يمكن أن تكون المعادل لمصطلح (الطبع).إن المنزلة الأولى والثانية تمـثلان توجهاً إلي صاحب تلك الملكة الإبدعية التي تعادل الطبع .فى الصحيفة عدد مـن الإرشادات والنصائح إلي من يمتلك تلك القدرة الفنية أو الطبع أو الطبيعة المواتية، من هذه الإرشادات : الشعور الغامض والتلقائي والذىتجد فيه الـذات الشـاعرة والذى تحمله جملة (ساعة نشاطك) وكلمة (نشاط) ذات أبعـاد متعـددة تتجـاوز الجانب المادي لتغطي مساحةأكبرتنضوى تحت مفهوم (النشاط). إن المنزلة الأولى والطبع ما زال هو الذي تدور حوله قضية الأبداع، والطبع قرين الصنعة ولـيس هناك انفصالية بينهما.

تحدثت الصحيفة عن سمات اللفظ: أن يكون رشيقَ ، عذبَ ، فخمَ ،سهلَ.

وأن يكون المضمون أو المعنى متسقاً مع موافقة الحال فإذا لم يتحقق فـي المعنى الإبداعي جماله الفني ، وفقد شروط قيمته الأدبية ، مرد ذلك فقدان الطبع وفقدان الملكة المبدعة فلا حاجة لهذا العطاء وعلى صاحبه أن يبحث عن قـدرات في مجالات أخرى مما يأكد أن الصنعة توأم الطبع والتي تعني تجويد الأداء الفني بينما يصير (التكلف) نقيض الطبع والذي نلمح مظاهره فـي محاولـة (متكلفـة) ونجدها في قوله: (فلا تُكْرِهْها على اغتصاب الأماكن، والنزولِ في غير أوطانها؛ فإنّك إذا لم تَتَعاطَ قرضَ الشّعر الموزون، ولم تتكلّف اختيارَ الكلام المنثـور، لـم يَعِبْك بترك ذلك أحد).

أما المصطلح (التكلف) حين يرد بصيغة (الفعل) يكون في صـــورة الصـــنعة الفنية ويكون توأماً وقريناً ملازماً لمصطلح (الطبع). والجملة التالية توضح ذلك (فإنْ أنتَ تكلّفتهما ولم تكن حاذقاً مطبوعاً ولامُحكماً لشأنك، بصيراً بما عليك ومـــا لَكَ، عابَكَ مَن أنت أقلُّ عيباً منه) ووردت الجملة بصيغة أخرى (فإن ابتُليت بـــأنّ تتكلَفَ القولَ، وتتعاطى الصنعةَ). يصبح لدينا ثلاث جمل :

١. عند أول نظرك وفي أول تكلفك
٢. فإن أنت تكلفتهما ولم تكن حاذقاً مطبوعاً
٣. فإن ابتليت بأن تتكلف القول وتتعاطى الصنعة.

نستطيع أن نقول إن التكلف ليس مناقضاً للطبع وهو يعني جهد الشاعر علـــى تجويد فنه ويعني معاناته الفنية وهو ما يوافق قول سويد بن كهل:

أَبيتُ بِأَبوابِ القَوافي كَأَنَّما   أُصادي بِها سِرباً مِنَ الوَحشِ نُزَّعا

نخلص من ذلك كله إلي مفهوم التكلف يكون في مفهوم (بشر) حالة خاصة ومحددة تبين في فقدان الطبع والملكة ويقابله (فإنَّك لا تَعدم الإجابَة والمواتـــاة، إن كانت هناك طبيعةٌ، أو جريْتَ من الصِّناعة على عرْق). كما عرض الجاحظ لقول (ثمامة) والذي يقول فيه (والذي لابد منه أن يكون سليماً من التكلّف بعيـــداً عـــن الصنعة). والتكلف هنا مقابل الطبع في حالة استخدامه منفرداً أما الصنعة فلابد أن تفسر حسب قربها من التكلف فهي هنا مرادفة للتكلف المناقض للطبع في مفهـــوم (ثمامة) ومن ملاحظاته حول ذلك الشعر الذي هو نتاج الطبع والذي يلزمه تحقـــق جماله الفني نستنتج من هذا أن مفهوم الصنعة عند الجاحظ ينساق مع مفهوم بشـــر الذي يعني التجويد والتنقيح .وهو جملته التي ينظر فيها إلي الشعر بأنه (جنس من التصوير). ونصل إلى أن الجاحظ تبنى صحيفة بشر وما يتصل حول مفهوم الطبع والصنعة والتكلف كما تناول الجاحظ تفضيل الأصمعي لشعر النابغة الجعدي مـــع أن شعره يجمع بين (المطرف والوافي) وبين المنتقى والثمين والساقط والـــرخيص ولكن الأصمعي يفضله لذلك . وعاب الجاحظ الحطيئة بحجة أنه (عبـــد لشـــعره) بمعنى الحرص على تجويده،رفض الجاحظ العفوية والسليقة. والصنعة تعني عنـــد الجاحظ الانتقاء والانتخاب والقيام عليه.

هذا من آرائه المتناثرة ما يشكل هذه النظرة الإبداعية المتصلة بالطبع، فقد كان الجاحظ صاحب رأي، جيد الفهم في تفهمه للطبع. ونخلص إلي تحديد واضح (للجاحظ) بين مفهوم الطبع ومفهوم التكلف ،ويكون الطبع عند الجاحظ لصيق التخير وقرين الاختيار وتوأم **الانتخاب** .

ومن هنا تكون الصنعة بمعنى التجويد الفني أو كما سماها السبك الجيد والذي يقرنه بالطبع في قوله:(وعلى الطبع المتمكن وعلى السبك الجيد وعلى كل كلام له ماء ورونق)[1].

٢-ابن قتيبة:

أما ابن قتيبة فقد حدد المطبوع من الشعراء بعدة نقاط :-

١/ المقتدر على القوافي

٢/ من تدرك في صدر البيت عجزه

٣/ من تدرك قافية من مطلعه

٤/ من تدرك أن شعره من وحي غريزته

قال ابن قتيبة: (والمطبوع من الشعراء من سمح بالشعر واقتدر على القوافي، وأراك في صدر بيته عجزه، وفي فاتحته قافيته، وتبينت على شعره رونق الطبع ووشى الغزيرة، وإذا امتحن لم يتعلثم ولم يتزحر.)[2] .

والمتكلف من الشعراء وإن كان جيداً محكماً فليس به خفاء على ذوي العلم ، لتنبيههم ما نزل بصاحبه من طول تفكر وشدة العناء ورشح الجبين وحذف ما بالمعاني حاجة إليه ، وزيادة ما بالمعاني غنى عنه والمطبوع من الشعراء من سمح بالشعر واقتدر على القوافي وقد تنطبق على شعر شاعر (متكلف) وهي ليست ملازمة لجودة الشعر وعندما نقارن بين مفهومه للمطبوع ومفهومه للمتكلف نرى في المتكلف:- طول التفكير، شدة العناء ، رشح الجبين، حذف ما بالمعاني حاجة إليه، زيادة ما بالمعاني غنى عنه.

---

[1] البيان والتبيين:ج٤-ص٢٤

[2] الشعر والشعراء:ج١-ص٩٠

وطول التفكير، وشدة العناء ، ورشح الجبين ، يمكن أن تكون معاناة يشترك فيها المطبوع والمتكلف. أما حذف ما بالمعاني حاجة إليه وزيادة ما بالمعاني غنى عنه فذلك غير مقبول في المطبوع وغير مقبول في المتكلف وقوله (وتتبين التكلف في الشعر أيضاً بأن ترى البيت فيه مقروناً بغير جاره ، ومضموماً إلي غيره لفقه). وربما يقع في ذلك المطبوع لا المتكلف على حسب راي ابن قتيبة.

ونتلمس من كلام ابن قتيبة نوعاً من التفرقة بين الشاعر المتكلِف و(الشعر) والمتكلَف فالشاعر المتكلِف (بكسر اللام) وهو الذي قوم شعره ونقحه بطول التفتيش وأعاد فيه النظر كزهير والحطيئة والشعر المتكلَف (بفتح اللام) هو ما ظهر عليه شدة العناء كثرة الضرورات ونخلص من هذا إلي أن الشاعر المطبوع هو من يقول الشعر ولا يظهر جهده وإنما صنعته خفيه متلبسة بشاعريته وما سواه فهو شعر ردئ الصنعة لتكلف صاحبه و قال ابن قتيبة إن لكل شاعر جانباً يجيد فيه أكثر من سواه وذلك في قوله (والشعراء أيضاً في الطبع مختلفون منهم من يسهل عليه المدح ويعسر عليه الهجاء ومنهم من تتيسر له المراثي ويتعذر عليه الغزل)[1]

ورفض ابن قتيبة إدعاء العجاج في رده لمن قال له (أنك لا تحسن الهجاء، حيث يزعم العجاج بأن له حُلماً يمنعه من أن يظلِم ، وحسباً يمنعه من أن يُظلم) ثم يقول: (هل رايت بانياً لا يحسن أن يهدم). ورد ابن قتيبة بإن المديح بناء والهجاء بناء وأشار ابن قتيبة إلي ما نسميه في الأدب الحديث (الصدق الفني) الذي يسقط إذا تحقق الصدق الواقعي فقال: (وكان الفرزدق زير نساءٍ وصاحب غزل، وكان مع ذلك لا يجيد التشبيب. وكان جريرٌ عفيفاً عزاف عن النساء، وهو مع ذلك أحسن الناس تشبيباً، وكان الفرزدق يقول: ما أحوجه مع عفته إلى صلابة شعري، وما أحوجني إلى رقة شعره لما ترون).

والأقرب إلي الطبع القدماء وأن من تلاهم من المحدثين متفاوتون في الطبع .

[1] الشعر والشعراء : ج١-ص٩٤

إن هذه المفاهيم التي تتقارب أحياناً أو تتباعد أحياناً لا تخلــو مــن تــأثر بتلــك الإشارات التي قدمها الجاحظ عن نشأة الشعر في مجتمع ما حــين راى أن ذلــك يعتمد على ثلاثة عناصر وهي:-الغريزة،والبيئة،والعرق

أو كما قال الجاحظ (وإنما ذلك على قدر ما قسم الله لهم من الحظــوظ والغرائــز والبلاد والأعراق) .

المبحث الثالث

مفهوم اللفظ والمعنى عند كل من الجاحظ وابن قتيبة:

حين درس النقاد الشعر وجدوا أنه يتكون من لفظ ومعنـــى أو مـــن شـــكل ومضمون وقد نظروا للشعر هذه النظرة ليسهل عليهم تقدير الخصائص الجماليـــة في الأسلوب وتتبعها . ووجهوا عنايتهم إلي نقده فإن اهتمامهم اتجه إلـــي هـــذين الجانبين جميعاً (اللفظ والمعنى)، فعدوا الخصائص الجمالية للفظ وحده وللمعنـــى وحده وللاثنين مجتمعين وأول من تحدث عن اللفظ والمعنى بشـــر بـــن المعتمـــر المتوفى ٢١٠هـــ وذلك في رسالته الشهيرة التي رواها أبو عثمان الجاحظ والتي تأثر بها وما أثاره بشر بن المعتمر من آراء وأفكار طريفة بل توقف طويلاً عنـــد ما أثاره بشر فيما يخص الألفاظ والمعاني وما يجب لها مـــن صـــفات ووجـــوب مطابقة الكلام لسامعيه فتحدث عن مطابقة الكلام للمقام الذي يلقى فيـــه وتفـــاوت الكلام بتفاوت من يتوجه به إليهم . فبِشر بن المعتمر يرى أن الألفـــاظ والمعـــاني تنقسم إلي طبقات منها الشريف ، ومنها الوضيع ، ومن ثم فهو ينصح كل أديب أن يعتني بتخير لفظه ، وأن يدعى استعمال الغريب المتـــوعر أو إيـــراد التراكيـــب المعقدة وأن ينبذ كل ما يفسد الأسلوب . وتحدث بشر في رسالته عن صفات البليغ وقال بشر إن الألفاظ ينبغي أن تتلاءم تلاؤماً دقيقاً مع المعاني ، بحيث إذا كانـــت المعاني دقيقة تمثلتها الألفاظ ، وإذا كانت المعاني عادية أشبهتها وذلك دلالة علـــى قوة بصيرته حيث يقول: (إن شرف المعنى)لا يرجع إلي أنه من معاني الخاصـــة أو من معاني العامة ، فكل في مجاله شريف ومدار الشرف الحقيقـــي أن يلائـــم الأديب بين كلامه ومقامه)[1] .

قال الجاحظ: (وكلامُ النّاس في طبقاتٍ كما أنّ الناسَ أنفسَهم فـــي طبقـــات، فمن الكلام الجَزلُ والسَّخيف، والمليحُ والحسن، والقبيح والسَّمجُ، والخفيفُ والثقيل وكلُّه عربيّ، وبكُلٍّ قد تكلَّموا، وبكلٍّ قد تَمَادَحوا وتعايبوا...... إلاّ أَنّـــي أزعـــمُ أنّ سخيفَ الألفاظ مشاكلٌ لسخيف المعاني، وقد يُحتاج إلـــى السَّـــخيف فـــي بعـــض

---

[1] البيان والتبيين: ج ١ انظر ص١٣٩

المواضع، وربُّما أمتَعَ بأكثَرَ من إمتاع الجزْلِ الفخم من الألفاظ، والشريفِ الكريم من المعاني)[٢] .

والجاحظ في قوله هذا متأثرٌ بما قاله بِشر في المطابقة والملاءمة بين الكلام والمقام والذي يلقى فيه ولكنه وسع في فكرته فبشر كان يوجه خطابه لأصناف المتكلمين من المعتزلة ، والجاحظ طبقها على البدو والأعراب في كلامهم وما يجري فيه من لفظ غريب قال الجاحظ (إن سخيف المعاني إنما يشاكله سخيف الألفاظ) . والعبرة بالمعنى الذي يدور فيه الكلام وكذلك المقام وأحوال المستمعين النفسية كما قال: (ومتى سمعتَ – حفِظك اللَّه – بنادرةٍ من كلام الأعراب، فإيّاك أن تحكيها إلا مع إعرابها ومخارِجِ ألفاظها؛ فإنَّك إنْ غيَّرتَها بأن تلحَنَ في إعرابها وأخرجْتَها مخارجَ كلام المولّدين والبلديِّين، خرجْتَ من تلك الحكايةِ وعليك فضلٌ كبير، وكذلك إذا سمِعتَ بنادرةٍ من نوادر العوامّ، ومُلْحة من مُلَح الحُشوَة والطَّغام، فإيَّاكَ وأن تستعمِلَ فيها الإعراب، أو تتخيَّرَ لها لفظاً حسناً، أو تجعل لها مِن فيك مخرجاً سَرِيّاً؛ فإنّ ذلك يفسد الإمتاع بها، ويُخرجها من صورتها، ومِن الذي أُرِيدَت له، ويُذهب استطابَتَهم إياها واستملاحَهم لها)[٣]. ويقول الجاحظ: (ولكل صناعة ألفاظ قد حصلت لأهلها ... وقبيح بالمكتلم أن يفتقر إلي ألفاظ المتكلمون في خطبة أو رسالة ، أو في مخاطبة العوام والتجار ، أو في مخاطبة أهله وعبده وأمته ، أو في حديثه إذا تحدث أو خبره إذا أخبر وكذلك فإنه من الخطأ أن يجلب ألفاظ الأعراب وألفاظ العوام وهو في صناعة الكلام داخل ولكل مقامٍ مقال ولكل صناعة شكل)[١].

وقال الجاحظ إن القرآن الكريم حين يتوجه بالخطاب إلي العرب الفصحاء يعمد إلي الإيجاز والاقتضاب ، وذلك لعلوهم في مجال البلاغة وعلى العكس من ذلك حين يتوجه بالخطاب لليهود فإنه يطيل ويطنب في الكلام وذلك لنقص فصاحتهم وعجمة ألسنتهم . قال الجاحظ: (وللإطالة موضع وليس ذلك بخطل ،

---

[٢] المرجع السابق: ج١ ص ٨١

[٣] المرجع السابق: ج١ ص١٤٦-ط٥

[١] الحيوان : ج١ -ص ٣٦٨

وللإقلال موضع وليس ذلك من عجز ... ورأينا الله تبارك وتعالى إذا خاطب العرب والأعراب أخرج الكلام مخرج الإشارة والوحي والحذف وإذا خاطب بني إسرائيل أو حكى عنهم ، جعله مبسوطاً وزاد في الكلام)[٢]. والايجاز عند الجاحظ مساواة الألفاظ الدقيقة للمعاني دون زيادة أو نقصان . فالعبرة بالمواقف والمقامات .

ووظف الجاحظ ما تحدث عنه بشر من صفات الألفاظ والمعاني والتكلف في القول أن يكون الأسلوب وسط بين لغة العامة ولغة الخاصة وأن تشتق الألفاظ عن معانيها حتى يسابق المعنى اللفظ.

ولاحظ الجاحظ في فهم ويقظة مواقع الألفاظ في القرآن العظيم كيف أن الكلمة المرادفة الأخرى ، لا يصح أن تستخدم مكانها ، بل أن صيغة الكلمة ينبغي أن لا تتغير وأن تظل على صورتها من الإفراد والجمع وكذلك فإن الكلمات كأفراد الأسرة ، تقوم بينها وصلة الرحم وصلة القربة، قال الجاحظ: (وقد يستخف الناس ألفاظاً ويستعملونها ، وغيرها أحق بذلك منها ، ألا ترى أن الله تبارك وتعالى لم يذكر في القرآن الجوع إلاّ في موضع العقاب ، أو في موضع الفقر المدقع والعجز الظاهر. والناس لا يذكرون السغب ويذكرون الجوع في حال القدرة والسلامة وكذلك ذكر المطر لأنك لا تجد القرآن يلفظ به إلاّ في موضع الانتقام ، والعامة وأكثر الخاصة لا يفصلون بين ذكر المطر وذكر الغيث ، فلفظ القرآن الذي عليه نزل ، إنه إذا ذكر الأبصار لم يقل الأسماع وإذا ذكر سبعة سماوات لم يقل الارضين الا تراه لا يجمع أرض أرضين ولا السمع أسماعاً والجاري على أفواه العامة غير ذلك)[٣]

وهذا كلام جيد من أبي عثمان الجاحظ ، أن الله تبارك وتعالى في موطن الرحمة يذكر الغيث ومن ذلك قوله تعالى (وَهُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ الْغَيْثَ مِن بَعْدِ مَا قَنَطُوا وَيَنشُرُ رَحْمَتَهُ وَهُوَ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ) [١]

---

[٢] المرجع السابق : ج١ ص ٩٣
[٣] البيان والتبيين: ج١ ص٢٠-ط٥
[١]-سورة الشورى الايه ٢٨

وفي المقابل يذكر المطر في موطن العقاب. وذلك في قوله تعالى(فَلَمَّا جَاء أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنضُودٍ) [١]

إذا كان الجاحظ قد انحاز إلي جانب اللفظ فإن ابن قتيبة الدينوري قد اختلف عنه في نظرته إلي قضية اللفظ والمعنى فقد ذهب ابن قتيبة إلي التسوية بينهما فالقضية لديه أي ابن قتيبة لها ركنان : (اللفظ والمعنى) وكل منهما له صفتان : الجودة والرداءة وقد اتجه ابن قتيبة نحو علم الحساب فقسم الشعر على أساسه على أربعة أضرب ولا تسمح القسمة العقلية في رأيه في أكثر منها :

١. لفظٌ جيد ، ومعنى جيد. ٢. لفظٌ جيد ، ومعنى ردئ.

٣. لفظ ردئ ، ومعنى جيد. ٤. لفظ ردئ ، ومعنى ردئ.

وذلك في قوله تدبرت الشعر فوجدته أربعة أضرب. وخلاصة هذا أن ابن قتيبة شارك الجاحظ في فكرة استقلال المعنى عن اللفظ واستقلال اللفظ عن المعنى . وقد تأثر ابن (طباطبا) بأبي عثمان الجاحظ وابن قتيبة فابن قتيبة قد قسم الشعر إلي الأقسام الأربعة التي ذكرناها سابقاً ويكاد يكون حديث ابن طباطبا تفسير لتقسيم ابن قتيبة وتطبيقاً لفكرته وهو كذلك متأثر بالجاحظ في حديثه عن مشاكلة الألفاظ قال: (وللمعاني ألفاظ تشاكلها فتحسن فيها وتقبح في غيرها، فهي لها كالمعرض للجارية الحسناء التي تزداد حسناً في بعض المعارض دون بعض. وكم من معنى حسن قد شين بمعرضه الذي أبرز فيه، وكم معرض حسن قد ابتذل على معنى قبيح ألبسه، وكم من صارم غضب قد انتضاه من وددت لو أنه انتضاه فهزه ثم لم يضرب به، وكم من جوهرة نفيسة قد شينت بقرينة لها بعيدة منها، فأفردت عن أخواتها المشاكلات لها، وكم من زائف وبهرج قد نفقا على نقادهما، ومن جيد نافق قد بهرج عند البصير بنقده فنفاه سهواً، وكم من زبر للمعاني في حشو الأشعار لا يحسن أن يطلبها غير العلماء بها، والصياقلة للسيوف المطبوعة منها، وكم من حكمة غريبة قد أزدريت لرثاثة كسوتها، ولو جليت في غير لباسها ذاك لكثر المشيرون إليها، وكم من سقيم من الشعر قد يئس

---

[١] سورة هود : الايه٨٢

طبيبه من برئه، عولج سقمه فعاودته سلامته، وكم من صحيح جني عليه فـأرداه حينه.)[٢] .

أما قدامة بن جعفر المتوفي (٣٢٧هـ) في نعته اللفظ نجـده يتلاقـى مـع الجاحظ في عبارته المشهورة ، كما أنه وهو يصدر الحديث عن محاسـن اللفـظ نجده يستشهد ببعض الأشعار التي أوردها ابن قتيبة .فقد وصف اللفظ بقوله: (أن يكون سمحاً سهل مخارج الحروف من مواضعها ، عليه رونق الفصـاحة ، مـع الخلو من البشاعة)[١]. ووصف المعنى (بأن تتأدى به الأغراض)[٢]، أما ابن رشـيق القيرواني المتوفى (٤٥٦هـ) لقد ذهب إلى ما ذهب إليه الجاحظ في أنـه ليسـت الجودة في الشعر راجعة إلي المعاني ، لأن المعاني مطروحـة فـي الطريـق ، يعرفها العربي والعجمي والقروي إنما الشأن في جودة اللفظ وصفائه وحسن بهائه مع صحة السبك. قال ابن رشيق : (إن للناس في أمر اللفظ والمعنى آراء ومذاهب منهم من يؤثر اللفظ على المعنى فيجعله غايته وكدّه ومنهم من ذهب إلي سـهولة اللفظ فعني بها والمنقولة فيها الركاكة واللين المفرط ومنهم من يؤثر المعنى علـى اللفظ فيطلب صحته ولا يبالي حيث وقع من هجنة اللفظ وقيمته وخشونته)[٣]

أما قضية السرقات فقد وجدنا ابن قتيبة تكلم فيها وأورد بعض الأبيات التي دارت حولها السرقات .أما الجاحظ فقد تطرق إليها وقال إنها لا تكون فى مطلق المعنـى وإنما تكون فى المعنى الغريب العجيب .وأنها تكون بأخذ معاصر من معاصـر أو بأخذ متأخر من متقدم، إذاً تأتي السرقات كعنصر من عناصـر المـنهج النقـدي عندهما.

أما البلاغة: فإن جلة هذه الألوان البلاغية التي ذكرها ابن قتيبة قد تناولها الفراء، ولم يُضف إليها ابن قتيبة جديداً كما فعل الجاحظ في إضافته لـبعض المحسـنات البديعية ففضل ابن قتيبة إذاً يرجع إلى التبويب والتصنيف .

---

[٢] عيار الشعر : ابن طباطبا ص٢٠ – تحقيق د. محمد زغلول سلام– ط١ – الجيزة – ١٩٨٠م

[١] نقد الشعر : قدامة بن جعفر – ص١٩

[٢] مرجع سابق : ص٣٥

[٣] العمدة : ابن رشيق ج١ ص١٢٤

الخاتمة والنتائج

اشتمل البحث على مقدمة و مدخل وثلاثة فصــول،وخاتمة وفهــرس المصــادر، فهرس الآيات القرآنية، والأحاديث، والأماكن والبقاع، وفهرس الأعلام، وفهــرس الموضوعات .

فى الفصل الأول حاولت الكشف عن شخصية الجاحظ وعرض لكتاب البيان والتبيين والمواضيع التى تناولها الجاحظ فى كتاب البيان والتبيين والقضايا النقدية عند الجاحظ التى وردت فى طيات كتبه وخاصة البيان والتبيــين ،ولمــا كانــت البلاغة لا تنفصل عن النقد تناولت بعض القضايا البلاغية النقدية .

أما الفصل الثانى :فيه ابن قتيبة ودراسة لكتاب المعانى الكبير وفيه عــدد مــن المباحث ،منها القضايا النقدية عند ابن قتيبة والمتفرقات التى وجدتها فــى كتــاب المعانى الكبير ،وختمت الفصل بالقضايا البلاغية النقدية عند ابن قتيبة .

أما الفصل الثالث :المقارنة بين الجاحظ وابن قتيبة ومنهجهما النقدى وخلصــت فيه إلى أن الجاحظ انحاز إلى جانب اللفظ واختلف عنه ابن قتيبة فى نظرته إلــى قضية اللفظ والمعنى وقد ساوى بينهما وجعل للقضية ركنين (لفظ ومعنى).ويمثل ابن قتيبة امتداداً لآراء الجاحظ وهما يصوران الجهود البلاغية والنقدية فى القــرن الثالث الهجرى ،وتتلمذ ابن قتيبة على يد الجاحظ وأجاز له الرواية عنه،وخلصــت إلى سماحة الجاحظ وتعصب ابن قتيبة ،كما تأثر ابن قتيبة بالجاحظ فــى جهــوده البلاغية .وتطرقت إلى مفهوم الصنعة و التكلف عند الجاحظ وابن قتيبة وخلصت إلى أن الصنعة عند الجاحظ تعنى التجويد ،

التوصيات :

أولًا: ماذال الباب مفتوحاً على مصراعيه للدارسين ،وأن الأسس النقدية فى تطور مستمر ما دامت اللغة العربية حمّالة أوجه ويمكن أن يتجدد البحث فــى أى مــن الناقدين .

ثانياً: من إطار البحث هناك عناوين لمباحث تصلح للدراسة

ثالثا: على ضو هذه الدراسة يمكن تناول أى ناقدين بالدراسةالمقارنة

المصادر و المراجع

*القرآن الكريم

*الحديث النبوى

١. أبيات المعاني الكبير- ابن قتيبة.(عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري أبو محمد)-تصحيح المستشرق الكبير -سالم كرنكو- دار النهضة الحديثة-بيروت لبنان-ط ١٩٥٣م

٢. أثر النحاة في البحث البلاغي -د.عبد القادر حسين -ط٢ -١٩٨٦-دار قطري بن الفجاءة للنشر و التوزيع -الدوحة -قطر

٣. أدب الكاتب -ابن قتيبة . .(عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينورى أبو محمد)تحقيق محمد محى الدين عبد الحميد ،ط٣، مطبعة السعادة ، القاهرة ، ١٩٥٨م.

٤. أسرار البلاغة - عبد القاهر الجرجاني(عبد القاهر عبد الرحمن بن محمد الجرجاني ابوبكر)تعليق محمود محمد شاكر ، دار المدنى ، جدة، ط١، ١٩٩١م.

٥. إعجاز القران -الباقلانى (أبى بكر حمد بن الطيب)-تحقيق محمد صقر -دار المعارف -القاهرة

٦. إعلام العرب ،ابن قتيبة الناقد و الأديب -د.عبد الحميد سند الجندي ،المؤسسة المصرية العامة للتأليف و الترجمة والطباعة والنشر .

٧. الأغانى - لأبى الفرج الأصفهانى (على بن الحسين بن محمد بن احمد بن الهيثم المروانى)مطبعة دار الكتب المصرية،ط١ ، ١٩٢٨م.

٨. البيان و التبيين ،الجاحظ (عمر بن بحر بن محبوب الكنانى الليثي ابو عثمان الجاحظ)،،تحقيق عبد السلام محمد هرون-ط٥-١٩٨٥،٥م

٩. تاريخ الأدب العربي ،العصر العباسي الأول،د.شوقي ضيف.ط٢-دار المعارف مصر - القاهرة

١٠. تاريخ الأدب العربي ،العصر العباسي الثاني،د.شوقي ضيف-.ط٢-دار المعارف مصر – القاهرة
١١. تاريخ آداب اللغة العربية -جرجى زيدان-تعليق د.شوقي ضيف-دار الهلال- بدون تاريخ.
١٢. تاريخ النقد الادبى عند العرب -د.عبدا لعزيز عتيق -دار النهضة العربية للطباعة والنشر -بيروت -ط٤-١٩٨٦.
١٣. تاريخ بغداد – إعداد مصطفى عبد القادر عطا-دار الكتب العلمية بيروت لبنان -ط١-١٩٩٧ .
١٤. تأويل مشكل القران – ابن قتيبة.(عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينورى ابو محمد)،عمر محمد سعيد عبد العزيز، ط٤، القاهرة، مركز الأهرام، ١٩٨٩م.
١٥. تاويل مختلف الحديث- ابن قتيبة.(عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينورى ابو محمد)ط١٩٦٦-مكتبة الكليات الازهرية -القاهرة
١٦. الحيوان،الجاحظ -(عمر بن بحر بن محبوب الكنانى الليثي ابو عثمان الجاحظ)،دار الجيل بيروت،تحقيق عبد السلام محمد هرون ط ١٩٨٨.
١٧. الخصائص -لابن جنى(عثمان بن جنى الموصلي ابو الفتح) ،تحقيق محمد على النجار -القاهره-
١٨. دراسات في النقد الادبى ،د.وليد قصاب ،دار العلوم للطباعة و النشر،ط١ ،١٩٨٣.
١٩. دراسات فى نقد الأدب العربي ،د.بدوى طبا نه،القاهرة ، مكتبة الأنجلو مصرية، ط٤، ١٩٦٥م.
٢٠. دلائل الإعجاز ،عبد القاهر الجرجانى (عبد القاهر عبد الرحمن بن محمد الجرجانى ابوبكر) -تعليق -محمود محمد شاكر -مطبعة المدني -ط٢- القاهره.
٢١. ديوان ابن قميئة .عمر بن قميئة -شرح وتعليق -حسن كامل الصيرفي -مصر الجديدة -١٩٧٠

٢٢. ديوان أبى تمام –بشرح الخطيب التبريزى ،تحقيق محمد عبده عــزام ،ط٥ ،دار المعارف.
٢٣. ديوان أبى ذؤيب الهذلي. دار الكتب المصرية –القاهره–١٩٥٠
٢٤. ديوان الأعشى .شرح وتعليق د.محمد محمد حســين –دار النهضــة – بيروت –١٩٧٢
٢٥. ديوان الكميت ، الموسوعة الشعرية، الأصدارة الثالثة ١٩٩٨م.
٢٦. ديوان المتلمس، الموسوعة الشعرية ، الأصدارة الثالثة ١٩٩٨م.
٢٧. ديوان النابغة الذبياني –تحقيق وشرح كرم البستاني –دار صادر .
٢٨. ديوان امرئ القيس .تحقيق –محمد ابــو الفضــل إبــراهيم –ط٤–دار المعارف –١٩٥٨
٢٩. ديوان طرفة بن العبد –دار صادر
٣٠. الشعر و الشعراء-- ابن قتيبة. .(عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينورى ابو محمد)تحقيق –احمد محمد شاكر –دار المعارف –مصر –١٩٦٦
٣١. الصحاح فى اللغة و العلوم، تجديــد صــحاح العلامــة و المصــطلحات العلمية والفنية للمجامع ،للجامعات العربية للجوهري ،تقديم الشيخ عبــدا لله العلايلى، إعداد وتصنيف نــديم مرعشــلى، أســامه مزعشــلى، دار الحضارة، بيروت لبنان
٣٢. الصناعتين للكتابة والشعر–لأبى هلال العسكري(الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحي بن مهران العسكري ابو هلال)–تحقيق،د.مفيــد قميحه،دار الكتب العلمية ،بيروت ،لبنان ،ط٢ –١٩٨٤.
٣٣. الصناعتين للكتابة والشعر–لأبى هلال العسكري(الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحي بن مهران العســكري ابــو هــلال)–ط١ ١٩٥٢ مطبعة عيسى البابلي الحلبي –القاهرة
٣٤. الصناعتين للكتابة والشعر–لأبى هلال العسكري–(الحسن بن عبــد الله بن سهل بن سعيد بن يحي بن مهران العسكري ابو هلال)،تحقيق،محمــد البجاوى،ومحمد ابو الفضل إبراهيم .

٣٥. طبقات فحول الشعراء – ابن سلام .(محمد بن سلام بن عبيد الله الجمحى ابو عبد الله)–ط٢–القاهره –بدون تاريخ
٣٦. ظهر الإسلام ،د.احمد أمين، القاهره،مطبعة خلف ،١٩٥٨
٣٧. عمدة القارى فى شرح صحيح البخاري–ج١٤–ص١٤٩–للشيخ العلامة :بدر الدين ابى محمد محمود بن احمد العينى (ت٨٥٥)ه–دار احياء التراث العربى –بيروت –لبنان
٣٨. العمدة فى محاسن الشعر ،لابن رشيق القيرواني (الحسن بن رشيق القيرواني ابو على).محمد محي الدين عبدا لحميد–١٩٣٤
٣٩. عيار الشعر –ابن طبا طبا–تحقيق محمد زغلول سلام –ط١–الجيزة – ١٩٨٠.
٤٠. عيون الأخبار – ابن قتيبة. .(عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينورى ابو محمد)–نسخه مصوره عن طبعة دار الكتب –المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر –القاهره –١٩٦٣
٤١. الفهرست– لابن النديم،تعليق الشيخ إبراهيم رمضان –دار المعرفة – بيروت لبنان ط٢–١٩٩٧
٤٢. كتاب البديع– لابن المعتز (عبد الله بن المعتز بالله بن المتوكل بن المعتصم بن الرشيد العباس ابو العباس) –تعليق /اغناطيوس كراتشقوفسكى/مصر –١٩٣٥م.
٤٣. كتاب العين –لأبى عبد الرحمن الخليل بن احمد الفراهيدى ،دار إحياء التراث العربي – بيروت، لبنان.
٤٤. الكامل – ابن الأثير(نصر الله بن محمد بن محمد الشيبانى الجزرى ابو الفتح ضياء الدين)– بيروت، لبنان .
٤٥. المثل الثائر فى أدب الكاتب و الشاعر– ابن الأثير (نصر الله بن محمد بن محمد الشيبانى الجزرى ابو الفتح ضياء الدين)– ط٧
٤٦. محمد محمد على ناقداً– رسالة دكتوراه– جامعة أم درمان الإسلامية – فاروق الطيب ١٩٩٩م.

٤٧. معجم الأدباء، ياقوت الحموي (أبى عبد الله ياقوت بن عبد الله –ط١– أكسفورد–١٩٢٢م.
٤٨. مراجعات فى الأدب و الفنون –عباس محمود العقاد–بيروت –المكتبة العصرية
٤٩. معجم الألقاب والأسماء المستعارة فى التاريخ العربي و الاسلامى، د.فؤاد صالح، دار العلم للملايين، ط١، مارس ١٩٩٠م.
٥٠. المزهر فى علوم اللغة وأنواعها – للسيوطى (عبد الرحمن جلال الدين السيوطى)– شرح وتعليق – محمد احمد جاد المولى بك – محمد ابو الفضل إبراهيم –على محمد البجاوى –ط٢– دار التراث – القاهره .
٥١. معجم متن اللغة العربية، أحمد رضاء– مكتبة الحياة – بيروت – لبنان – ط ١٩٦٠
٥٢. المفضليات – ابو العباس المفضل الضبي – شرح وتعليق – د.محمد حمود – دار الفكر اللبناني – بيروت – ط١.
٥٣. مقدمة ابن خلدون ، منشورات محمد على بيضون ، دار الكتب العلمية، بيروت– لبنان
٥٤. النقد الادبى أصوله ومناهجه،سيد قطب ،دار الشروق،ط ٥،١٩٩٠م– ط٧–١٩٩٠م.
٥٥. النقد المنهجى عند العرب و منهج البحث فى الأدب واللغة –د.محمد مندور –مطبعة نهضة مصر –القاهرة –١٩٠٠
٥٦. النقد الأدبى –د.شوقي ضيف–ط٢–دار المعارف .
٥٧. نزهة الالباء فى طبقات الأدباء،تحقيق –محمد ابو الفضل–دار نهضة مصر.
٥٨. نقد الشعر (قدامة بن جعفر بن قدامة بن زياد البغدادي ابو الفرج) تحقيق وتعليق /د.محمد عبد المنعم خفاجه–ط١٩٧٨١–مكتبة الكليات الأزهرية –القاهره .

٥٩. نوابغ الفكر العربي –ابن قتيبة –د.محمد زغلول سلام ،دار المعارف ،مصر ،القاهره.
٦٠. الوساطة بين المتنبى وخصومه–الجرجانى .(القاضى على بن عبد العزيز الجرجانى ابو الحسن) تحقيق محمد ابو الفضل وعلى محمد البجاوى، ط٣، دار إحياء الكتب المصرية، مكتبة عيسى البابلى وشركاه، بدون تاريخ
٦١. وفيات العيان و أنباء أهل الزمان–ابن خلكان (أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبى بكر بن خلكان)–تحقيق–د.يوسف على الطويل و –د.مريم قاسم الطويل –دار الكتب العلمية –بيروت –لبنان –ط١–١٩٩٨

الدوريات:

علامات فى النقد –دورية –ج٤٤–م١١–يونيو ٢٠٠٢–ربيع الاخر ١٤٢٣.

الفهارس

فهـــــرس الآيات القـــرآنية

السورة	الآية	الصفحة
سورة البقرة	(يَسْأَلُونَكَ عَنِ الأهِلَّةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوْاْ الْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا وَلَـكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَى وَأْتُواْ الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا وَاتَّقُواْ اللّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ) (البقرة : ١٨٩) ، (وَلاَ جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُم بِهِ مِنْ خِطْبَةِ النِّسَاء أَوْ أَكْنَنتُمْ فِي أَنفُسِكُمْ عَلِمَ اللّهُ أَنَّكُمْ سَتَذْكُرُونَهُنَّ وَلَـكِن لاَّ تُوَاعِدُوهُنَّ سِرّاً إِلاَّ أَن تَقُولُواْ قَوْلاً مَّعْرُوفاً وَلاَ تَعْزِمُواْ عُقْدَةَ النِّكَاحِ حَتَّىَ يَبْلُغَ الْكِتَابُ أَجَلَهُ وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ) (البقرة : ٢٣٥) (صِبْغَةَ اللّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَابِدونَ) (البقرة : ١٣٨)، (أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَآئِكُمْ هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ عَلِمَ اللّهُ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَخْتانُونَ أَنفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنكُمْ فَالآنَ بَاشِرُوهُنَّ وَابْتَغُواْ مَا كَتَبَ اللّهُ لَكُمْ وَكُلُواْ وَاشْرَبُواْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتِمُّواْ الصِّيَامَ إِلَى الَّليْلِ وَلاَ تُبَاشِرُوهُنَّ وَأَنتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ تِلْكَ حُدُودُ اللّهِ فَلاَ تَقْرَبُوهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللّهُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ) (البقرة : ١٨٧)، (نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُواْ حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ وَقَدِّمُواْ لأَنفُسِكُمْ وَاتَّقُواْ اللّهَ وَاعْلَمُواْ أَنَّكُم مُّلاَقُوهُ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ) (البقرة : ٢٢٣)	٧٧، ١٣٧، ١٣٨، ١٤١، ١٤٣.

	(فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَـذَا مِنْ عِندِ اللّهِ لِيَشْتَرُواْ بِهِ ثَمَناً قَلِيلاً فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُمْ مِّمَّا يَكْسِبُونَ) (البقرة : ٧٩) (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَقُولُواْ رَاعِنَا وَقُولُواْ انظُرْنَا وَاسْمَعُوا ْوَلِلكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ) (البقرة : ١٠٤)، ،	
سورة آل عمران	(وَأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَةِ اللّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ) (آل عمران : ١٠٧)	١٤٠
سورة المائدة	(مَّا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلاَنِ الطَّعَامَ انظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الآيَاتِ ثُمَّ انظُرْ أَنَّى يُؤْفَكُونَ) (المائدة : ٧٥)	١٤١
الأنعام	(وَعَلَى الَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمْنَا كُلَّ ذِي ظُفُرٍ وَمِنَ الْبَقَرِ وَالْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَا إِلاَّ مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَا أَوِ الْحَوَايَا أَوْ مَا اخْتَلَطَ بِعَظْمٍ ذَلِكَ جَزَيْنَاهُم بِبَغْيِهِمْ وِإِنَّا لَصَادِقُونَ) (الأنعام : ١٤٦)	١٣٦
سورة التوبة	(قُل لَّن يُصِيبَنَا إِلاَّ مَا كَتَبَ اللّهُ لَنَا هُوَ مَوْلاَنَا وَعَلَى اللّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ) (التوبة : ٥١)	١٢٢، ١٢٣
سورة هود	(فَلَمَّا جَاء أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنضُودٍ) (هود : ٨٢)، (قَالُواْ يَا شُعَيْبُ أَصَلاَتُكَ تَأْمُرُكَ أَن نَّتْرُكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا أَوْ أَن نَّفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاء إِنَّكَ لَأَنتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ) (هود : ٨٧)	١٣٩،١٦٢
سورة هود	٨٧،٨٢(فَلَمَّا جَاء أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا	١٣٩،١٦٢

	وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنضُودٍ) (هود : ٨٢)، (قَالُواْ يَا شُعَيْبُ أَصَلاَتُكَ تَأْمُرُكَ أَن نَّتْرُكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا أَوْ أَن نَّفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاء إِنَّكَ لَأَنتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ) (هود : ٨٧)	
سورة الرعد	١٢(هُوَ الَّذِي يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفاً وَطَمَعاً وَيُنْشِئُ السَّحَابَ الثِّقَالَ) (الرعد : ١٢)	٧٥
سورة النحل	(ثُمَّ كُلِي مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلاً يَخْرُجُ مِن بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاء لِلنَّاسِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ) (النحل : ٦٩)	٦٧
الكهف	(فَانطَلَقَا حَتَّى إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطْعَمَا أَهْلَهَا فَأَبَوْا أَن يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَاراً يُرِيدُ أَنْ يَنقَضَّ فَأَقَامَهُ قَالَ لَوْ شِئْتَ لَاتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْراً) (الكهف : ٧٧)	١٣٥
سورة طه	٣٦(وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِي) (طه : ٢٧)	٦٤
سورة الأنبياء	(لَوْ أَرَدْنَا أَن نَّتَّخِذَ لَهْواً لَّاتَّخَذْنَاهُ مِن لَّدُنَّا إِن كُنَّا فَاعِلِينَ) (الأنبياء : ١٧)، (خُلِقَ الْإِنسَانُ مِنْ عَجَلٍ سَأُرِيكُمْ آيَاتِي فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ) (الأنبياء : ٣٧)	١٣٧ ، ١٤٠
سورة الفرقان	٧(وَقَالُوا مَالِ هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ لَوْلَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُ نَذِيراً) (الفرقان : ٧)	١٤١
سورة سبأ	(يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِن مَّحَارِيبَ وَتَمَاثِيلَ وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَاتٍ اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْراً وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ) (سبأ : ١٣)	٣٨

سورة ص	٣١(إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِالْعَشِيِّ الصَّافِنَاتُ الْجِيَادُ) (صـــ : ٣١)	٨٨
سورة الزمر	(لَكِنِ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ غُرَفٌ مِّن فَوْقِهَا غُرَفٌ مَّبْنِيَّةٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَعْدَ اللَّهِ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ الْمِيعَادَ) (الزمر : ٢٠)	٦٤
سورة فصلت	١١(ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاء وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعاً أَوْ كَرْهاً قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ) (فصلت : ١١)	١٣٤
سورة الشورى	(وَهُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ الْغَيْثَ مِن بَعْدِ مَا قَنَطُوا وَيَنشُرُ رَحْمَتَهُ وَهُوَ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ) (الشورى : ٢٨)	١٦٢
سورة الدخان	٣٩(فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاء وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنظَرِينَ) (الدخان : ٢٩)	١٣٨
سورة الحجرات	١٢(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيراً مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضاً أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتاً فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ) (الحجرات : ١٢)	٦٧
سورة الرحمن	(فَبِأَيِّ آلَاء رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ) (الرحمن : ١٣)،	١١٥، ١٤٠
سورة الحشر	١٩(وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ أُوْلَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ) (الحشر : ١٩)	١٣٨
سورة القلم	١(ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ) (القلم : ١)	٥٧
سورة المدثر	٤ (وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ) (المدثر : ٤)	١٣٧
سورة الطارق	(وَأَكِيدُ كَيْداً) (الطارق : ١٦)	١٣٨
سورة الضحى	(فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ) ، (وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ)	٧٤

	(الضحى :٩، ١٠)	
سورة العلق	(اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ) *(الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ) (العلق:٣، ٤)	٥٧
سورة الكافرون	(قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ) (الكافرون : ١)	١٣٩
سورة المسد	(وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ) (المسد : ٤)	١٣٥

فهـــــرس الأحــاديث:

فهــرس الأمـــاكن والبقـــاع:

فهـــــرس الأعــلام

فهــرس الموضوعات